43361

العنوان
شارع الملك فيصل هاتف ٤٠٢٢٩١٥
ص.ب ١٣٧ الرمز البريدي ١١٤١١
الرياض - المملكة العربية السعودية

العرب
مجلة شهرية تعنى بتراث العرب الفكري
صاحبها ورئيس تحريرها حمد الجاسر

الاشتراك السنوي
١٠٠ ريال للأفراد و ٢٠٠ ريال لغيرهم
الإعلانات: يتفق عليها مع الإدارة
ثمن الجزء: ١٧ ريالاً

ج٣، ٤ س ٢٢ ـ رمضان/ شوال ١٤٠٧هـ ـ ايار/حزيران (مايو/ يونيو) ١٩٨٧م

انطباعات مسافر عابر

ـ ١ ـ

بين الإمارات العربية وعُمَان

إلى دُبَـــيّ :

ومن مطار الملك خالد في الرياض كان إقلاع الطائرة في الساعة الثانية عشرة إلاّ ثلثا صباح يوم الجمعة الخامس من شهر ربيع الأول سنة ١٤٠٧ (١٩٨٦/١١/٧م) ثم البقاء في مطار الظهران إلى الساعة الرابعة إلا ثلثاً بعد الوصول في الواحدة. ووقت الانتظار مُمِلٌّ ولو قَصُر ، فكيف إذا كان المرء لايجد خلاله مايريح ذهنه ، وهكذا الحال بالنسبة لي لولا أنَّ أخـاً كريماً من موظفي الخطوط حين سمعني أعتب على أحد موظفيها عدم تهيئة مكان لارتياح المسافرين إلى دُبَـي ، ممن قدم من الرياض ، فلم يجد من يستقبله ، ذالك الأخ هو علي بن صالح آل قُرَيع اليامي من نجران ، فقد اجلسني في المكتب الذي يعمل فيه ، وأكرمني بما يُكْرَم به الضيف عادة فارتحت في الجلوس ، وفي مبادلة الأحاديث مع الإخوة الحاضرين ، وكان علي يعرف أخـاً كريماً من إخوتنا في نجران ، كان قبل سنتين يُمِـدُّ قراء «العرب» من المعلومات عن تلك البلاد بما يفيد ، من أنساب أهلها ووصف بلادهم ، هو محمد المَهَّان ـ بفتح الميم وتشديد الهاء المفتوحة وبعدها ألف فنون ـ وهذا اسم أُسرة كريمة كثيرة الفروع ، عريقة النسب ، بارزة الحسب في قبيلة يام الشهيرة . لم يَدَعْني الأخ علي بن صالح حتى أجلسني بين المسافرين حين قرب موعد السفر ، بعد أن هَيَّـأَ جميع مُتَطلباته ، فَبِه وبِأمثاله من

ذوي النُّبْلِ وكرم الخلال ، تستقيم الأحوال ، وتحسن سمعة القائمين على المرافق الحيوية في البلاد .

لم تزد مدة الطيران إلى (أبي ظَبي) على الساعتين ، ولكن الانتظار في الطائرة في المطار بلغت ساعةً بحيث كان الوصول إلى مطار دُبَيٍّ بعد مضي ما يقرب من ست ساعات بينه وبين مطار الرياض ، ولكنها لم تكن مملة ، فقد كنت متفقاً مع الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز الخيال ، على القيام بتلك الرحلة ، فكان الاجتماع في الطائرة . وأبو فهد ــ رعاه الله ــ ممن عرف البلاد التي اتجهنا إليها حقَّ المعرفة ، فقد أقام فيها سفيراً أكثر من عامين ، كان أول من افتتح السفارة السعودية في (أبي ظبي) بعد تنقله بين بغداد وواشنطن ومن (أبي ظبي) إلى (فِينَّا) حيث طلب الإحالة إلى التقاعد ، بعد أن خدم بلاده ودولته نصف قرن من الزمان ــ من سنة ١٣٥٠ ــ موظفاً في المكتب الخاص لفيصل ــ رحمه الله ــ ثم في (مالية الرياض) حتى ألحق بالبعثة السعودية في القاهرة سنة ١٣٥٥ ــ وتخرج في (دار العلوم) بمصر سنة ١٣٥٩ ــ وتولى إدارة التعليم في الأحساء في المحرم سنة ١٣٦٠ ، وفي المحرم من سنة ١٣٦٢ (١٩٤١م) عمل في وزارة الخارجية ، موظفاً في مفوضية بغداد ، فوزيراً مفوضاً ، فسفيراً ، تنقل في البلاد المذكورة حتى سنة ١٤٠٣ (١٩٨٢م) (بعد أن مضى له في السلك السياسي ٤١ عاماً) .

ومعرفتي الأستاذ الخيال تزيد على نصف قرن من الزمان بعشر سنوات ، فقد تعارفنا وتصادقنا منذ عام ١٣٤٦ ــ حين قدمت مدينة الرياض في رحلتي الثانية إليها ــ لطلب العلم ــ فانضممت إلى الطلبة ، وكان الأستاذ الخيال أحدهم ، وأذكر أن لوالده عبدالعزيز ــ رحمه الله ــ مدرسة تقع على حافة الصَّفَاة الموالية لمحلة الظهيرة ، على جانب منحدرها من السوق الممتد إلى الجامع ، وكانت تلك المدرسة ــ على ماعلمت من الأستاذ عبدالله ــ قد أوقفها الإمام فيصل ــ رحمه الله ــ وعَيَّنَ جدَّ الأستاذ عبدالله ــ واسمه عبدالله ــ مدرساً فيها وكانت تعرف بـ (مدرسة فيصل) وآخر من تولى التدريس فيها الأستاذ صالح بن عبدالعزيز بن

عبدالله الخيال ، أخو الشيخ عبدالله ، ومن بعده أحد آل مُدَيْميغ ، وقد أُزيلت ، وموقعها بقرب المكان الذي أقيم فيه برج الساعة ــ بقرب (قصر الحكم) .

لأدع الحديث عن الصديق الأستاذ عبدالله الخيال لمناسبة أخرى .

مما أعجبني في مطار دُبَيٍّ سعته ، وجمال بلاطه ، فقد ذكرت وأنا أسير في بهوه الواسع جدًّا الصَّرْح الذي أعد لاستقبال ملكة سباء : ﴿فلما رَأَتْهُ حَسِبَتْه لُجَّةً وكَشَفَتْ عن ساقيها ، قيل : إنهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيْر﴾ ، ونُورُ ثُرَيَّات الكهرباء ينْعكس بصفاء الرخام الأملس الصافي الذي بُلِّطَ به الأرض ، فيزداد الموضع إشراقاً وحسناً .

أما ترتيب مواضع حقائب القادمين فلم أر له مثيلاً فيما مررت به من المطارات الأخرى ومأأكثرها ــ هناك لوحات طويلة معلقة ، كتب في كل لوحة اسم الطائرة والجهة التي قدمت منها ورقم الرحلة ــ كتبتْ بصفة دائمة ــ وتحت تلك اللوحة تَمُرُّ الحقائب أمام الباحثين عن أمتعتهم .

عند النزول من الطائرة استقبلتنا إحدى موظفي الخطوط السعودية .

وكان هذا بإشارة من الاخوة في مطار الظهران ، وَدَعَتنا الفتاة للاستراحة حتى أخرجت حقائبنا ، فأفضل أحد الإخوة الذين عرفتهم في مطار الظهران أثناء جلوسي في مكتب الخطوط بإيصالنا إلى الفندق في سيارة أحضرت له في مطار دبي إنه الأخ يوسف بن عبدالعزيز المنصور من رجال المال من أهل المجمعة ، كان النزول في فندق (انتركنتنتال) ويعد من أفخم فنادق هذه المدينة ، وأجرة الغرفة ــ ٣٣٧,٥٠ درهماً ــ وهي تقارب مئة دولار .

والجو يميل إلى الحرارة ، فدرجة الحرارة المئوية وإن لم تتجاوز الثلاثين إلا أن حرارة الشمس لاتطاق بعد الساعة التاسعة صباحا حتى الساعة الرابعة مساء ، وفرق التوقيت بين الإمارات وبين المملكة ساعة .

في القنصلية السعودية في دبـي :

كانت زيارة قنصلية بلادنا أول مافكر فيه الأستاذ الشيخ عبدالله ، فقمنا به في صباح يوم السبت (١٤٠٧/٣/٦) والقائم بالعمل فيها هو الشيخ عبدالملك بن الدكتور بشير الرُّومي ، وصلة المعرفة بينه وبين أبي فَهْدٍ على درجة من القوة ، برز أثرها بما أضفاه من لطف وكرم ، حيث هيأ وسيلة التنقل إكراماً بدون طلب ، وكرر الدعوة ، وأحسن الاستقبال والتوديع بعد أن أمر أحد موظفي القنصلية من إخواننا من السودان بالقيام بجولة بنا في سيارته داخل مدينة دبي ، لمشاهدة أبرز معالمها .

هاهو (سوق مُرْشِدِ) من أهم أسواق المدينة التجارية لبيع الأغذية بالجملة ، بحيث يُغَذي جميع الإمارات ، وتجاره إيرانيون ، أما سوق الذهب فللهنود والباكستانيين منه أَوْفَرُ نصيب ، بل قُلْ : إن أغلبَ الأعمال التجارية ليست في أيدى أبناء دُبَـي باستثناء المصارف (البنوك) والفنادق ، وما أكثرها في هذه المدينة فلأمراء البلاد وبعض تجارها ، هذا فندق (ريجنسي) الفخم للشيخ مكتوم ، وهذا (انتركنتنتال) و . . و . . للشيخ راشد ــ إلى آخر الأسماء اللامعة .

يظهر أن البلدة أنشئت في أول أمرها على خَوْرٍ من البحر (رأس) ممتد من الخليج ، وكانت ممتدة على شاطيء هذا الخور ، الغربي الجنوبي ، ثم توسعت حتى بلغت الشاطيء الآخر ، الذى كان يعرف باسم (بَرّ دُبَـي) وهاهو نفق تحت هذا الخور يدعى (نفق الشَّنْدغَةَ) بعد الشين المعجمة نون فدال مهملة فغين معجمة فهاء ــ ينفذ إلى جانب الخور المعروف باسم (بَرّ دُبَـيّ) غير الطريق العام المتصل به عند انتهاء الخور ، حيث يقع أوسع جانب من مدينة دُبي في هذا البر ، فهاهو (المركز التجاري) الذي يرتفع بناؤه أكثر من ثلاثين دوراً ، بمعارضه الواسعة ومساكنه الكثيرة التي تحلها أكبر الشركات العالمية ، وبعض قنصليات الدول الشهيرة ، وتدعى المنطقة (زَعبْيل) وفيها قصر الشيخ راشد .

وها هي منطقة (الجُمَّيْرةِ) بعد الجيم ميم مشددة فمثناة تحتية فراء مهملة فهاء ــ حيث منازل الطبقة الراقية ، من قصور أمراء ، ودارات (فلل) أثرياء ومنازل

كبار موظفين ، وهذه المنطقة من السعة بحيث تمتد على الساحل نحو عشرة أكيال أو أكثر ، وبامتداد الساحل من الرأس الواقع في وسط المدينة نحو ثلاثين كيلاً ــ ماراً بمنطقة (الجُمَّيرة) يقع (ميناء جبل علي) أكبر ميناء على الخليج ، أنشيء في عهد الشيخ راشد المكتوم ، وفيه أحواض لاصلاح السفن الكبيرة .

وفي ميناء الخور الواقع وسط المدينة ترسو السفن الشراعية حيث تصل من موانيء البحر العربي أو البحر الأحمر .

ومن دُبَي تمتد الطرق المعبدة إلى أمهات مدن الخليج ، فالشارقة لاتتجاوز المسافة بينها وبين دبي ١٠ أكيال بحيث أن العمران في المدينتين يوشك أن يتصل ، و(عجمان) نحو ١٧ كيلاً ، وأم القيوين ٤٠ كيلاً ، ورأس الخيمة ١٠٠ كيل ، والفجيرة ١٢٠ مئة وعشرون كيلاً ، والعين ١٣٠ كيلاً ، وأبو ظبي ١٦٧ كيلاً .

أما الحدود بين هذه الإمارات فمتشابكة بدرجة غريبة ، بحيث أنك قد تجد بلدة واحدة تشترك فيها إمارات ثلاث كالحال في بلدة (دَبَا) إذ يُطلق هذا الاسم على (دَبَا الحصن) تابعة لإمارة الشارقة و(دَبَا البيعة) لسلطنة عُمَان ، و(دَبَا) الفجيرة ، وما هذه المسميات سوى بلدة واحدة ، ذات محلات (حلل) متعددة لاتتجاوز المسافة بين أبعدها عشرة أكيال .

ويجر الحديث عن التشابك في الحدود إلى الإشارة أنه كان من أثر ذالك وقوع خلاف بين إمارتي دبي والشارقة ــ فيما مضى ــ وقد زال في الأيام القريبة حين قام أحد أبناء الشيخ راشد بزيارة حاكم الشارقة ، فأبدى كل جانب من التساهل وكرم النفس ماكان سبباً في حل هذه المشكلة ، ومثلها خلاف بين إمارة الشارقة وسلطنة عُمَان على الحدود ، زال حين زار حاكم الشارقة الشيخ سلطان بن محمد القاسمي السلطان قابوسا ، وأَظْهَرَا من سماحة النفس وكرم الطباع مادفع السلطان لإزالة ذالك الخلاف ، بالتنازل عن مساحة من الأرض ، ولكن هذا لايزال معلقاً حتى الآن ، إذ لابُـدَّ من أن يتم مثل هذا الأمر بصيغة قانونية بين دولة الإمارات وسلطنة عمان .

لم أر ــ فيما بين يديَّ من المؤلفات القديمة ــ ذكراً لمدينة دبي ، وأراها أُنشئت بعد ضعف (دبا) البلدة القديمة الممتدة إلى الساحل ، ومن هنا اشتق اسمها ، ومنازلها تنتشر شرق خَوْر البحر وغربه ، في مساحة واسعة من الأرض ، منبسطة ، خالية من الجبال والآكام والمنخفضات ، ولهذا فالمباني متفرقة ، وليست مرتفعة أكثر من خمس طبقات باستثناء بعض الفنادق والمحلات التجارية ، والمدينة ليست مهملة ، فهي معبدة الشوارع ، وشُجِّرَ أكثرها ، وتخلل ميادينها حدائق صغيرة ، وفيها حديقة للحيوان واسعة في منطقة الجُمَّيرة ، والشوارع تعرف بالأرقام لا بالأسماء التي قد تسمى بها بعض الشوارع مع ذكر الرقم ، وليست على درجة قوية من النظافة ، باستثناء أطولها الممتد من البلدة القديمة حتى منطقة الجميرة ، والشارع الموازي للخور حيث المرفأ في البلدة القديمة .

ويستغرب المرءُ قِلَّة من يشاهده حين يمر بالأحياء التجارية من أهل البلاد ، حيث يبدو السكان مختلفي الألوان والملابس التي يتميزون بها ، وأكثرهم من الهند وبلاد فارس ، وفيهم من مختلف الأجناس . رأيت جندياً يحرس محلاً تجارياً كبيراً بقرب الفندق الذي أسكنه فسألته عن الطريق الموصل إلى النفق المخترق للخور ، ففهمت من لهجته أنه يمني فبدهته بلهجة يمنية سائلاً عن اسم بلده ، فأجاب بأنه من سنحان من بلدة حمام دمث ، وعلمت منه أن كثيراً من أهل اليمن يعملون في الشرطة ، وقليل منهم يتعاطى الأعمال الأخرى .

وشاهدت كثيراً من الدكاكين والمنازل ــ في الأحياء القديمة ــ خالية .

ويلفت النظر كثرة المصارف (البنوك) في هذه المدينة وقلة الحركة حولها .

في (الشارقـــــة):

في هذه الأيام يقام في مدينة الشارقة (المعرض الخامس للكتاب المعاصر) فكانت زيارته من المناسبات الطيبة، ومدينة الشارقة يكاد يتصل عمرانها بعمران مدينة دُبَيٍّ ، أي بامتداد بضعة عشر كيلاً .

لقد أقيم المعرض في مكان خصص له بقرب ديوان الحاكم الذي دعا لإقامته،

وبذل جهداً كبيراً لتشارك فيه جميع دور النشر والجامعات والهيئات العلمية، في العالم العربي، وهكذا كان .

بعد عصر يوم السبت (١٤٠٧/٣/٦ ـ ١٩٨٦/١١/٨م) كانت جولةً سريعةً داخل المعرض، وكان اللقاءُ ببعض إخواننا وأبنائنا كالأستاذ مبارك بن عبدالله المبارك ـ الملحق التعليمي السعودي في دولة الإمارات العربية ـ وبعض الإخوة من المشرفين على معروضات الجامعات ورعاية الشباب في بلادنا.

لعل حاكم الشارقة الأمير سلطان بن محمد القاسمي ألمَعَ شخصية بين حكام الإمارات العربية في ثقافته وعلمه وأدبه ، وقد واصل دراسته حتى نال درجة (الدكتوراه) وقد نشرت سنة ١٩٨٦ باللغة الانجليزية بعنوان:

«THE MYTH OF ARAB PIRACY IN THE GULF»

«خرافة قرصنة العرب في الخليج» ويُعِدُّ هذه الدراسة للنشر باللغة العربية، وهو ذو اطلاع واسع على تاريخ هذه البلاد، لديه خزانة كتب حافلة بمختلف الدراسات الحديثة عنها، وله اهتمام بالاتصال بمراكز البحث خارج البلاد.

وأسرة القواسم الذين ينتمي إليهم الأمير سلطان ذات تاريخ بارز في الخليج، وكانوا من أوائل من ناصر الدعوة الاصلاحية السلفية التي قام آل سعود بنشرها ، واستمروا على التمسك بها حتى في عهد ضعف القائمين عليها، ولما أراد أحد سلاطين تلك الجهة أن يستغلَّ جفوةً وقعتْ بين أحد حكام الشارقة من القواسم وبين أحد ملوك آل سعود ـ رفض الحاكم القاسمي ذالك قائلاً مامعناه: إنَّ ماحدث بيننا هو من قَبيل مايحدث بين الابن وبين أبيه ، ولا تأثير له فيما نعتقده حقاً ، ونتمسك به دائماً .

وللأمير سلطان بن محمد القاسمي اهتمام قويٌّ بنشر التعليم في إمارته لايتسع المجال للإفاضة في تفصيله .

ولقد كان للرفيق الكريم الأستاذ عبدالله الخيال من شؤونه الخاصة مادعاه لمقابلة الأمير سلطان ، فحدثني عنه وعن سعة اطلاعه، وعن محبته للبحث،

ورغبته في مقابلة طلبة العلم، ورآى الأستاذ عبدالله أن نذهب معاً الساعة التاسعة من صباح يوم الاثنين (١٤٠٧/٣/٨ ـ ١٩٨٦/١١/١٠م) حيث حدد هذا الوقت للمقابلة ، فكان ذلك. وقد شاهدتُ من حسن استقبال الأمير ماملأ نفسي غبطة وانشراحاً، ورأيت من تواضعه مالم أعهد مثله ممن له مكانة في السلطة والدولة كمكانته، وأدركت أنه على جانب كبير من الفضل والمعرفة بأحوال هذه البلاد، وانصرفنا من عنده بعد أن ودعنا خارج قصره الداخلي ولسان الحال ينشد قول الشاعر :

كَانَتْ محادثَةُ الرُّكْبَانِ تُخْبِرُنَا عنْ جَعْفَرِ بْنِ فلاح أَطْيَبَ الْخَبَرِ
ثُمَّ الْتَقَيْنَا فَلَا والله ماسَمِعَتْ أُذْنِي بِأَبْلَغَ مِمَّا قد رَآى بَصَرِي

لقد كانت جلسة استغرقت ساعة كاملة ـ مرت كلمح البصر بإمتاعها ولطفها ـ والأمير يُفيضُ في أحاديثه المتعلقة بتاريخ بلاده، بل تتدفق تلك الأحاديث العذبة التي تناولت جوانب مختلفة من ماضي هذه البلاد منذ العهد البرتغالي ـ القرن العاشر الهجري ـ فما بعده مما كان ذا عناية به، وكان له لإتقانه اللغة الانجليزية من الاطلاع على ماأُلِّفَ بها من المؤلفات ـ وماأكثرها !! ـعن مختلف أحوال هذه البلاد مامكنه من التعمق بمعرفة ماتحتويه تلك المؤلفات، ولعل من أشهرها كتاب: «GAZETEER PERSIAN GULF» تأليف J.G. Lorimer ـ ج.ج. لوريمر الذي عربه (قسم الترجمة في مكتب أمير قطر) باسم «دليل الخليج» في قسمين: تاريخي وجغرافي ـ كل قسم في سبعة مجلدات ـ .

وكان من حديث الدكتور سلطان عن هذا الكتاب أن مؤلفه سرد أسماء مصادره الكثيرة، ولكن مما يصعب تصوره أنه لم يَرْجع إلى كثير منها، أو أنه لم يكن على درجة من التعمق في فهم نصوص ماقرأ ليبنيَ نتائجه على فهم صحيح لتلك النصوص، وفي كتاب الدكتور سلطان مايوضح هذا الأمر المزري حقاً ممن يتصدى لدراسة تاريخ بلادنا، بمثل ذلك الأسلوب ، وقد لايعدم من الباحثين من يثق بعلمه فيعتمد على آرائه، وهذا لايمنع من الاعتراف بالفضل لحكومة قطر بنشرها هذا الكتاب الذي كان ولايزال يعد أهم مرجع تاريخي ـ لاعن سكان الخليج

العربي وحدهم ــ بل عن العرب في قلب جزيرتهم وشرقها في خلال أربعة القرون التي مضت ــ لكي يكون الدارسون على بينة بما يحوي مما لايتفق مع الحقيقة، وليستفاد بما فيه من معلومات قد لاتوجد في غيره ، فهو من أوسع المراجع وأشملها، وحسناً لو أسندت تلك الحكومة أَمْرَ التعريب إلى علماء ذوي اطلاع ومعرفة تامة بالموضوعات التي طرقها المؤلف ، ليخلو من الهفوات الكثيرة التي غيرت المعاني بدرجة تحول دون الاستفادة منه في مواضع كثيرة ــ انظر مجلة «العرب» س ١٤ ص ٦٢٨ ــ .

واسم (الشارقة) يطلق على الإمارة وعلى قاعدتها التي تعد ثالثة مدن الإمارات المتحدة ، ولاذكر لهذا الاسم فيما اطلعت عليه من المؤلفات القديمة، مع أنه كشف في هذه المنطقة عن آثار ترجع إلى الألف الثالثة قبل الميلاد، تدل على اهتمام البابليين والأشوريين والفرس واليونانيين والفينيقيين والرومانيين للسيطرة عليها لكونها تحتل مركزاً تجارياً هاماً منذ القدم ــ كتاب «دولة الإمارات العربية» ــ ٦٩٧ ــ .

ويظهر أن اسم (الشارقة) كـ(الباطنة) و(الظاهرة) المنطقتين في عُمَان ـ ذو صلة بصفة الموقع، فهي تقع شرق الخليج بامتداد أكثر من عشرة أميال على ساحله، وتتوسط دولة الإمارات وتتصل بها بحدود مشتركة ، وتصل إلى الساحل الشرقي لخليج عُمَان: حيث تقع دبا وكلبا وخور فَكَّان التابعة لها .

وقد أنشئت الشارقة قاعدة البلاد على خور ــ رأس الخليج العربي ــ ولهذا كانت في الماضي من أهم موانئه، ثم نمت وانتشرت في الأرض البراح، حتى أصبحت المدينة الثالثة في دولة الإمارات ــ بعد أبي ظبي ودبي ــ وخططت ضواحيها تخطيطاً حديثاً ، فازدهر فيها العمران، وكثرت الميادين الواسعة، واتسعت الشوارع وامتدت بطول المدينة، ورُصف ساحلها، وأنشىء لها ميناء حديث في عمق البحر، بحيث كانت ترسو فيه السفن الكبيرة.

وفي إحدى ضواحي المدينة يقع المطار، ويظهر أن نزول الطائرات فيه ليس في كل وقت، فقد مررت بقربه في طريقي إلى دبا فشاهدت الحركة فيه ضعيفة.

ومن أبرز ماشاهدته في المدينة الجامع الكبير الذي أمر بإنشائه الملك الشهيد ـ فيصل رحمه الله ـ وكلف تعميره نحو أربعين مليون ريال ، ويبدو بارزاً لمن يمر من أهم شارع في هذه المدينة، على مقربة من ديوان حاكم الشارقة، وبقربه أقيم (المعرض الخامس للكتاب المعاصر) في براح من الأرض، أقيمت فيه خيام واسعة، ونسقت أمكنة العرض تنسيقاً حسناً ، بحيث خصص لكل دار نشر أو جامعة أو هيئة علمية المكان الملائم .

وتبدو مدينة الشارقة ـ لمن يتخلل شوارعها الرئيسة ـ على حالة من الهدوء ، ولا أدري هل يعود هذا لسعة شوارعها، وتباعد مبانيها، أو لحالة الركود الاقتصادي الشاملة .

بين دبـــي ودبـا :

دَبَـا ـ بفتح الدال بعدها باء موحدة مفتوحة فألف ـ كانت قاعدة عُمَان في صدر الإسلام وهي (المصر والسوق العظمى) كما وصفها ابن جرير في تاريخه ٣/٣١٥ ، فلماذا لايُبْحَثُ تاريخها ؟

لايزال الاسم يطلق على جهة معروفة، فأين موقع المدينة التاريخية من تلك الجهة ؟

لهـذا كـان الاتجـاه مـن دبي إلى دَبَـا صبـاح يـوم الأحـد (١٤٠٧/٣/٧هـ ـ ١٩٨٦/١١/٩م) مروراً بمدينة الشارقة، ثم الاتجاه غرباً، وبعد مسيرة نحو ٢٠ كيلاً كان المرور بقرب مطار الشارقة .

وبعد مسيرة نحو ٥٠ كيلاً كان الوصول إلى منطقة الذَّيْـد ـ بالذال المعجمة بعدها مثناة تحتية ساكنة فدال مهملة ـ وهي منطقة خصبة تابعة لإمارة رأس الخيمة تنتشر البساتين فيها حيث يمر بها وادٍ يعرف بهذا الاسم، قامتْ عليه قرية الذَّيد ، وفيه تجود زراعة النخيل التي تسقى من فَلَجٍ يبلغ طوله ١٧ كيلاً يتفرع إلى فرعين، وقد ضعف ماؤه كحالة مياه الأفلاج في هذه المنطقة، وتبعد منطقة الذَّيد إلى الشرق من مدينة الشارقة بنحو ٥٠ كيلاً ، وسكان المستوطنات في هذه

المنطقة يقال لهم: الطنيج ممن ينضوي تحت لواء القواسم .

وجاء عن وصف هذه المنطقة في كتاب «دولـة الإمارات العربية المتحدة» ــ ص ٥٦٤ ــ مانصه: (واحة الذيد تمثل منخفضاً واسعاً من الأرض تنتشر فيه البساتين والمزارع الكبيرة وتتميز الزراعة بأنها منظمة ومزدهرة ، وتكشف عن عناية كبيرة، ومعظم المزارع مسيَّجَةٌ بأسلاك حديدية أو بسعف النخل كما أن البعض محاط بأشجار الكينا التي تستخدم كمصدَّاتٍ للرياح. انتهى .

وكانت المسافة التي قطعناها فيما بين الشارقة والذيد أرضاً سهلة تتخللها كثبان رملية .

ومن الذيد كان الاتجاه إلى بلدة ٱلمَسَافِي وتبعد عن الذيد ٣٢ كيلاً وقد مررنا بقرية صغيرة تركناها يسارنا تدعى (مَرْبض) ــ بالميم المفتوحة بعدها راء ساكنة فباء موحدة فضاد معجمة ــ وذالك بعد أن توغلنا في سلسلة من الجبال المرتفعة قبل أن نصل إلى المسافِي .

والمسافي ــ بالميم بعدها سين مهملة فألف ففاء مكسورة فياء ــ وهي من المراكز الزراعية في هذه المنطقة ، تقع على رأس واد يدعى وادي (حام) ينحدر من جبال الحَجْرِ العُمَانية ، وفي هذه المنطقة آبار ارتوازية يؤتى بالماء المعدني العذب منها إلى بلدان الإمارات .

وبعد بلدة المسافي اتجه الطريق إلى دبا يساراً شرقياً حيث توغل في سلسلة من الجبال البركانية فيما يبدو من سواد لونها، وتكثر بينها الشعاب الصغيرة التي تنتشر فيها أشجار الطلح والسلم .

ثم اخترقنا ثنية في السلسلة الجبلية فبدأ الطريق بالانحدار الشديد على جانب واد غائر ضيق، حتى بلغنا قرية تدعى (الغُدْنَة) ــ بالغين المعجمة بعدها دال مهملة فنون فهاء ــ تركناها ذات اليسار سائرين على جانب هذا الوادي العميق الغور ونحن نشاهد على يسارنا حدائق ومنازل في شكل قرى صغيرة ، وهذا الوادي هو وادي (دَبَـا) الذي تقع على ضفافه حلل دبا الثلاث، ثم خرجنا من

هذا الوادي يساراً داخل السلسلة الجبلية، وبعد مسيرة خمسة أكيال انحسرت عنا الجبال وبدا لنا على اليسار سلسلة أخرى من الجبال الشامخة ولكنها ليست سوداء اللون، ثم بلغنا منبسطاً من الأرض يحف به من الجنوب الشرقي طرف من السلسلة التي اجتزناها، ومن الشمال الشرقي سلسلة الجبال الشامخة الحمر التي شاهدناها، وبين هاتين السلسلتين مُنْخَفَضٌ مستطيل من الأرض يدعى (الفـج) وهو يمتد إلى البحر، ودبا تقع في هذا الفج، وقبلها بخمسة أكيال مررنا بمصانع اسمنت الفُجيرة، ثم بالراشدية والمُهَلَّب، وهما محلتان من محلات دَبَـا ذات الأقسام الثلاثة، دبا الحصن تابعة للشارقة، ودبا البيعة تابعة لِعُمَان، ودبا التابعة للفجيرة، وكلها حلل متقاربة والشرقية الموالية للبحر منها هي التابعة للفجيرة.

هذا الوادي الذي تقع فيه دبا يبلغ امتداده إلى البحر، أما سلسلة الجبال الشامخة اليسرى فقد انقطعت بينما استمرت اليمنى تماشينا في الاتجاه الشرقي نحو الفجيرة حتى بلغت البحر بِقُرْبِ محل يدعى (رول دبا) وهنا برزت أمامنا في البحر صخرة عظيمة كأنها جبل صغير، فسرنا على الساحل بعد مجاوزة شاطيء دبا، وعلى مقربة من هذا الشاطيء تنتشر حدائق النخيل.

وكنا قطعنا في سيرنا من الشارقة حتى بلغنا محلات (دبا) ١٢٦ كيلاً في نحو ساعة وثلث.

كيف الاهتداء إلى الموقع القديم لبلدة دَبَـا، واسم دبا يشمل كل ما نشاهده من هذه القرى في هذا الوادي الذي انحدرنا فيه منذ تجاوزنا بلدة المسافي، والذي يمتد إلى شاطيء البحر، ومواطن الاستقرار والحدائق تنتشر فيه، انه كما جاء وصفه في كتاب «الإمارات العربية» ــ ص ٩٣ ــ: يدعى أعلاه (وادي الشمال) ويمتد من شمال (المسافي) ويتجه شمالاً ستة أكيال، ثم ينحرف باتجاه الشمال الشرقي حتى بداية انفراج أرض الوادي، ويستمر في الاتساع حتى دوحة دبا بعرض خمسة أكيال بعد أن يقطع سبعة عشر كيلاً، فيبلغ امتداده ٣٣ كيلاً.

ومن مراكز الاستقرار فيه غير دبا: عجمية وطيبة وطيبان وعينية.

هاهي المحلات المتفرقة التي يطلق عليها اسم (دَبَـا) كلها حديثة العمران ولا

آثار للقدم تبدو على أحدها، فليكن الاتجاه إلى المدرسة فقد لانعدم من بين مدرسيها من يعنى بتاريخ بلاده .

وقفنا عند أقرب مدرسة تقع في أبرز تلك المحلات عمراناً وأكبرها، ولكننا وجدنا نوبة الفتيات في الدراسة قد بدأت ، فسألنا أحد الإخوة عن أكبر مدرسة في هذه البلاد ، فأشار إلى سلسلة الجبال الممتدة على ضفاف الوادي في شماله قائلاً : (في الميل وانتبه الطريق شَرْشَر) أي إنها تقع في الجبل، والطريق غير معبد، لهذا يحدث الاهتزاز الشديد، بعد أن قطعنا ثمانية أكيال في طريق تكثر فيه الصخور، ويصعب السير فيه، وحيث أوشكنا أن نبلغ الجبال، بعد منحدر من مجرى الوادي بلغنا المدرسة ، وتدعى (مدرسة عقبة بن نافع).

كانت استراحة قصيرة مع تناول (فنجان) من القهوة المُرَّة، وحديث قصير مع ناظر المدرسة الأستاذ عبدالقادر ذياب من غزة، ومع غيره من المدرسين من مصر وفلسطين، ولم نر بينهم أحداً من أهل هذه البلاد، إنَّ الأستاذ عبدالقادر هو مدرس التاريخ في هذه المدرسة الثانوية التي أنشئت في هذا المكان البعيد عن (دبا) لتتوسط بين قرى الوادي في (سيح دبا) أي هذا المتسع الواقع على ضفاف الوادي الطويل، ولهذا فهي تضم طلاباً من مختلف القرى باستثناء (دبا البيعة) التابعة لسلطنة عمان .

كان الحديث مع الأستاذ عبدالقادر عن موقع دَبَـا البلدة القديمة، فذكر أنه كتب بحثاً في مجلة يصدرها (نادي دَبَـا الرياضي) تدعى (الوعي) تعرض فيه لتاريخ دبا القديم، وأن الموقع هو مايعرف الآن باسم (دبا البيعة) التابعة للسلطنة العمانية، ويستدل على هذا بوجود مقبرة قديمة بقربها، تعرف بـ (مقبرة أمير الجيوش)، وأنه قد يفهم من كلمة (البيعة) قدم القرية، واعتذر عن وجود نسخة من بحثه للاطلاع عليه، ونصح بالاتصال بالأخ عبدالله بن سلطان السلامي ووصفه بأنه خبير بتاريخ هذه البلاد، وهو عضو في المجلس البلدي في دَبَـا ــ وقد اتصلت بالهاتف بهذا الأخ فوعد خيراً عند مقابلته، فلم تتم .

إنني ــ وان كانت مشاهدتي للموقع لاتعدو لمحات خاطفة أثناء السير ــ قد

لاحظت أن مواقع المحلات المعمورة الآن مرتفعة عن ضفاف الوادي التي في الغالب تُكَوِنُ أماكن الاستقرار، في الأزمنة الماضية لقربها من المياه، وقد شاهدت في وسط الأرض البراح المعروفة باسم (سيح دبا) فيما بين البلدة وبين المدرسة آثار عمران قديم بقرب مجرى الوادي، لا أستبعد أن يكون موقع البلدة القديمة، ثم رأيت في كتاب «البحث عن دلمون» تأليف جيو فري بيبي تعريب الأستاذ أحمد عبيدلي ــ مايقوي هذا ونصه ــ ٤٥٥ ــ : إن رأيي أن موقع دبا والذي يبعد ميلاً ونصف ميل جنوب غربي دبا نفسها ــ سيدل على أنه موقع استيطان ، فربما كانت هناك مدينة أو قرية، وأن الثلاثة أقدام من الحصا المتراكم فوقها إنما هو تراكم حديث كنتيجة للسيول. انتهى ــ كذا وردت كلمة (جنوب) ولا أدري عن صحتها، والذي انطبع في ذهني أن ذالك الحصا المتراكم يقع في (الشمال) الغربي من دبا، لا في (الجنوب).

ويربط المؤرخون المتأخرون بين (مقبرة أمير الجيوش) التي لاتزال معروفة وبين المعركة التي وقعت في السنة الحادية عشرة من الهجرة في عهد الخليفة أبي بكر الصديق فيقول صاحب كتاب «المفصل في تاريخ الإمارات العربية»: ١/٣٦: وفي دبا حدثت المعركة الأخيرة فكانت مذبحة مات فيها أكثر من عشرة آلاف قتيل بين الطرفين، وانتهت بمصرع رأس المتنة لقيط ذي التاجين، ومازالت قبور ضحايا تلك المعركة شاهدة إلى يومنا هذا، في مقبرة أمير الجيوش، بالقرب من دَبَا . انتهى . ولكن من أمير الجيوش هذا ؟ وخبر الوقعة قد فصله ابن جرير في «تاريخه»: ٣/٣١٥، وابن الأثير في «الكامل»، وإن كان مؤرخو عُمَان كالشيخ السالمي في «تحفة الأعيان» ممن لا يتفق معه في كل ماذكر، ولي عودة للبحث عن موقع (دَبَا) .

خَـوْرُ فَكَّانَ والفجَيْــرة :

ثم واصلنا السير من مدرسة (عقبة بن نافع) في (دَبَا) فمررنا بمكان ذي بساتين من نخل وأشجار يدعى (رَوْل ضِدْنَة) ــ بالضاد المعجمة والدال بعدها نون فهاء ــ ولعل (رول) بمعنى (دَوْحة) وهذا المكان منبسط مستطيل من الأرض ، ثم كان

المرور بقرية (ضِدْنَة) واجتزنا طرف السلسلة راجعين إلى البحر حيث تبدو فيه صخور بارزة كالروابي . وكان مما مررنا به بعد ذالك من القرى (العقة) و(شرم) و(بادية) وهذه الأخيرة يكثر فيها النخل ، ثم بقرية اللَّجَّة (اللَّيَّة) ومنها يفضي الطريق إلى عقبة ينزل منها إلى خَوْر فَكَّانَ حيث يمتد طرف من السلسلة الجبلية فيبلغ البحر .

وَفكَّانُ ــ الذي أُضيفَ إليه الخور ــ بفتح الفاء والكاف المشددة ، بعدها ألف فَنْونٌ ــ اسم قديم .

ومع اكتشاف آثارٍ في خَوْر فَكَّانَ يرجع تاريخُها إلى الألف الثاني قبل الميلاد على ماجاء في كتاب «آثار الشارقة» فإن البلدة القائمة الآن بلدة حديثة بمبانيها ، ذات سوق صغير ذي طراز جميل متميز ، وفيها حدائق من النخيل ، وتقع أمام خَوْرٍ واسع شبه مستدير، لإحاطة سلسلة الجبال به من الغرب والشمال وقد وصف صاحب «معجم البلدان» خَوْر فَكَّانَ في أول القرن السابع الهجري بقوله : بُلَيْدٌ على ساحل عُمَان ، يحول بينه وبين البحر الأعظم جبل ، وبه نخل وعيون عذبة . انتهى .

وبلدة خَوْر فَكَّان تبعد عن الفُجيرة ٢٠ كيلاً ، وهانحن قد قطعنا من (المسافي) حتى بلغنا الفُجَيرة نحو أربعين كيلاً ، ومن خَوْر فَكَّان تبدأ حدود الفُجيرة حيث تنتشر حدائق النخيل فتمتد إلى وسط المدينة ، بحيث يصح وصفها بأنها غابة من النخيل تتخللها المنازل والشوارع الواسعة وتنتشر الدور بين الحدائق وتتكون في الغالب من دورين أو ثلاثة ، ماعدا بعض المباني التجارية فقد تبلغ خمسة أدوار .

وموقع البلدة ــ لخصبه وسعته وحسن ساحله ــ مما يحمل على الجزم بأنه من الأماكن المأهولة منذ عصور قديمة ، وإن لم يرد لاسم الفُجَيرة ــ فيما بين يَدَيَّ من المؤلفات ــ مايدل على ذالك سوى قول ياقوت وغيره : الفُجَيرة اسم موضع . ويظهر أن الاسم مشتق من فُجْرة الوادي ــ بضم الفاء ــ وهي متسعه الذي ينفجر إليه الماء ، وهكذا موقع الفجيرة فهو أرض واسعة في امتداد سهل الباطنة الخصيب ، تنفجر نحوها مياه الأودية من الجبال العُمَانية الواقعة غربها ، وأشهرها

وادي حام الذي يقارب طوله ــ مع تعرجه ــ نحو ٤٥ كيلاً من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي ، بحيث يكون حوضين : أحدهما تقع فيه الفُجيرةوأغلبُ قراها ، ومن أشهر قراه المسافي والبثنة ودفنة .

والبلدة في طرف الباطنة الشمالي على شاطيء خليج عُمَان ، وتحيط إمارة الشارقة بحدود إمارة الفجيرة من الغرب ، أما من الشمال فَخْور فَكَّان ، ثم ساحل دَبَا التابع للفجُيَرة ، ثم سلطنة عُمَان ، وفي الجنوب كَلْبَا فبلاد عُمَان .

وتعتبر إمارة الفجيرة من أصغر الإمارات مساحة ، وأقلها سكاناً .

وأغلب سكانها القدماء من الأزد ، يدعون الشرقيين (المساكرة) .

ويظهر أن بلدة الفجيرة نشأت أول مانشأت ميناء صغيراً على الخليج ، ثم انزاحت في اتساعها عن الشاطيء الذي كان عرضة للإغارة ولطغيان البحر ، فانتشرت في أرض خصبة واسعة ، واقعة في مفيض أودية تنحدر من سلسلة من الجبال ، ولها ميناء على البحر حيث تقع الغَرْفة البلدة القديمة ، ومطار صغير بقربه ، دون خَوْر فَكَّان ، وينتشر حولها قرى عديدة ذات مزارع للخضر ، شاهدتُ بعضهم يعرض على المارة مع الطريق العام بعض ثمار مزرعته ، فأردت أن أسمع لهجة أحدهم ، فوقفت عند انسان لفتني سواد سحنته ، وعدم اهتمامه بمظهره أن أسأله عن ثمن قفص ورق (كرتون) مملوءاً بالليمون ، فأشار بأصابعه السبعة مضيفاً كلمة (درهم) فأخرجت من جيبي درهما واحداً ، وقلت : أعطني ليمونة واحدة ــ وفي القفص مايزيد على الثلاثين ، ولكنه أومأ برأسه ، فَتَخَيَّلْتُ أنه لم يفهم كلامي فتقدمت إلى آخر بجواره ، وقد اشترى منه أحد المارة ، فما كان من هذا المشتري إلا أن أخذ حفنة مما اشترى وقدمها لي ، فأفهمته أنني أقصد التخاطب ولست بحاجة إلى الليمون ، فقال : (لاتواخذهم . . مايفهمون)!

ويظهر أن العجمة الدخيلة في هذه البلاد منتشرة بين أهل القرى .

وأهم (شوارع المدينة شارع زايد بن سلطان) حيث المباني الحكومية ، وتبدو المدينة لسعة موقعها وقلة سكانها على جانب كبير من الهدوء ، ساعة دخولها ،

وكانت الواحدة ظهراً ، ولا أدري كيف ساورتني فكرة الاستقرار في هذه البلدة فترة من الزمن ، وأنا أسير في تلك الشوارع التي تخيم عليها البساطة ، وتزهو بخضرة البساتين القريبة منها ، على مرآى من شاطيء البحر الممتد بامتداد النظر .

كانت الاستراحة في فندق (هلتن) حتى الساعة الثانية ، وتقدم فيه أنواع المأكولات على نمط فنادق المدن الكبيرة ، وفيه قليل من النزلاء الغربيين ، ويكثر ارتياد أهل البلاد له ، ومن المناظر غير المألوفة أن يشاهد المرء على المائدة التي بجواره شرطياً ببزته وقد علق بمتنه بندقه .

وفي الساعة الثانية كانت العودة إلى الشارقة حيث استغرقت مسافة الطريق البالغة ١١٥ (خمسة عشر ومئة) من الأكيال ــ ساعةً واحدة من ذالك الفندق ، مروراً ببلدة (المسافي) ٣٨ كيلاً من الفجيرة ، ثم الذَّيد ٦٠ منها ــ بعد أن شاهدنا عن بعد ــ عدداً من القرى بمنطقة إمارة الشارقة ، منها ــ على الترتيب : البَثْنة ، ثم دفنا ، ثم المنامة ، وبعد مجاوزة قرية الذيد انزاحت الجبال ، واتسعت الأرض البراح ، مما يذكر بفيافي نجد ، وطبيعة أرضها وأشجارها وخاصة الدهناء حيث تقل ارتفاع كثبانها ، لولا هذه الأمكنة المنخفضة بين الكثبان ، الشبيهة بأرض الساحل ، إلا أن الرمال تُغَالِبُها فتطغى عليها في كثير من المواضع فتتغير طبيعة الأرض .

ولقد تمنيت أن أجد أحداً من أهل تلك البلدة التي أحسست بانشراح وسرور حين أبصرتها وقد انفرجت عنها الجبال فبدت في ذالك المنبسط الواسع الممتد بين الشاطيء وسفوح تلك الجبال الممتدة غربها ، تنتشر البساتين التي تتخللها الأبنية الحديثة المتفرقة على شوارع مستطيلة هادئة الحركة ــ تمنيت أن ألقى من ازداد منه علماً عن هذه البلاد الطيبة الحبيبة إلى النفس ، ولكن :

استعجمتْ دار نُعْمٍ لاتُكَلِّمُنَا والدارُ لو كلمتنا ذاتُ أخبارِ

إلى رأس الخيمة (جلفار) :

وفي الساعة العاشرة من صباح يوم الاثنين (١٤٠٧/٣/٨هـ ـ ١٩٨٦/١١/١٠م) كان الاتجاهُ من مدينة الشارقة إلى إمارة رأس الخيمة ، فاجتزنا بعد إمارة الشارقة حدود إمارة عجمان المتصلة بعمران مدينة الشارقة. وبعد عشرين كيلاً من الشارقة كنا بمحاذاة بلدة أم الْقَيْوَيْن الواقعة على شاطيء الخليج ، وكان الاتجاه نحو الجنوب، والطريق معبد، يخترق صحراء واسعة ، خالية من الجبال إلا مايشاهد عن بعد على يمين المتجه جنوباً .

وبعد مسيرة مايقرب من مئة وعشرة من الأكيال كان الوصول إلى مدينة رأس الخيمة، وهي مدينة تقع في أرض منبسطة واسعة، وفي غربها تمتد سلسلة جبال عُمَان رأي العين. ومع أنها بقرب الساحل، إلا أن تربتها خصبة وخالية من الأملاح، أشبه ماتكون بتربة أرض نجد، تكثر فيها الأشجار وتنتشر كثبان الرمال .

والمساكن في هذه البلدة متباعدة، قسم منها يقع بقرب البحر، ويظهر أنه بقايا البلدة القديمة، أما القسم الغربي الحديث فينتشر فيه العمران الجديد ويبعد عن الساحل نحو عشرة أكيال. وقصر الحاكم يتوسط القسم الجديد من البلدة. ومن شوارع المدينة شارع الملك فيصل بطول كيل ونصف تقريباً.

وفي مدينة رأس الخيمة معهد تابع لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، فيه عدد من الطلاب من هذه البلدة ومن غيرها من بلاد عمان ومن الإمارات، ويظهر أن الإقبال على الدراسة في هذا المعهد ليست على درجة قوية من النشاط، مع أنه قد أُعِدَّ إعداداً حسناً من حيث البناء وحسن الترتيب، وفيه مكتبة تحوي طائفة من الكتب في مختلف العلوم، وبَهْوٌ واسع (صالة) لإلقاء المحاضرات، وقد خصص لأساتذته بجانب مقرِّ المعهد بناء لسكناهم، وقد اجتمعنا بهم وأنسنا بالحديث معهم .

ويقع المعهد متوسطاً بين قسمي المدينة، وهو أقرب إلى القسم القديم.

وفي المدينة عدد من المدارس من ابتدائية ومتوسطة وثانوية وروضة أطفال، ومستشفيات، وإدارات حكومية للتعليم والأشغال والبريد وغيرها، وفيها فندق حديث كانت الاستراحة فيه في الساعة الواحدة، وتناول طعام الغداء وهو على درجة حسنة من النظافة .

ومع أن موقع هذه المدينة على مقربة من جُلَّفار البلدة التي كان لها ذكر كثير في المؤلفات القديمة، إلا أننا وقد سِرْنَا على الساحل وشاهدنا مابقي من آثار البلدة القديمة لم نر فيها مايلفت النظر من حيث القدم .

ويعلل المتأخرون تسمية رأس الخيمة بأمور منها ماسمعناه من أحد الإخوة في المعهد من أن رأس البحر يشابه الخيمة في استدارته ، وفي كتاب «دولة الإمارات العربية» ــ ص ٢٧ ــ: وكان زعيم القواسم هو الشيخ قاسم الذي نصب خيمته في منطقة على الساحل مقابل جلفار فكانت تراها جميع السفن المارة في الخليج، ومن ثم أطلَقَ البحَّارةُ على هذا المكان اسم رأس الخيمة، وبعد ذالك نشأت مدينة عربية حملت ذالك الاسم . انتهى . وينبغي أن يكون هذا في عصور متأخرة لم تسبق القرن الحادي عشر الهجري .

ولأهل رأس الخيمة ــ بل للقواسم في هذه البلدة وغيرها ــ مقام محمود في مؤازرة الدعوة الاصلاحية إبَّانَ قيام الدولة السعودية في عهدها الأول .

وقد تعرضت رأس الخيمة في سنة ١٢٢٣ ــ لهجوم الانكليز عليها، وإحراق سفن أهلها، وتدمير البلدة كلها، ثم تَتَبُّع قُرى القواسم في ساحل الخليج شرقاً وغرباً بالإحراق والتخريب ــ وفي كتاب الدكتور سلطان بن محمد القاسمي «خرافة قَرْصَنَةِ العرب في الخليج» مايوضح حقيقة الأسباب .

أم القيـــــويـن :

كان الإتجاه من رأس الخيمة إلى أم القيوين ، وقد أعياني الاهتداء إلى أصل التسمية، وأقدم ذكر لها رأيته في كتاب «لمع الشهاب» المؤلف سنة ١٢٣٣هـ

تقريباً، والمسافة بينها وبين رأس الخيمة ستون كيلاً .

وتقع بلدة أم القيوين على الشاطيء ، وتحيط بداراتها الحديثة حدائق واسعة، وشوارعها فسيحة مشجرة، وفيها معهد تابع لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وملحق تعليمي يشرف على شؤون الدعاة والمرشدين والقضاة الذين تندبهم المملكة للعمل في هذه المدينة .

وسكان أم القيوين من بني (أبو علي) وهم غافريو النسب، ومن (آل بو مهير) و(الجفالة)، وتمتد الإمارة على الساحل نحو ٢٥ كيلاً بين إمارتي الشارقة ورأس الخيمة، كما تمتد في الداخل حوالي ٣٠ كيلاً .

عَجْمَـــان :

ومن أم القيوين إلى بلدة عَجْمان، والاسم ينطق بفتح العين لا بضمها. ويقال في تعليل هذا الاسم: انه من اسم قبيلة العجمان. وليس المقصود بهاؤلاء قبيلة العجمان المعروفة في المملكة التي يرجع بنسبها إلى يام، ثم قحطان، ولكن هاؤلاء قبيلة أخرى قال عنهم صاحب كتاب «لمع الشهاب» ــ ص ١٧٦ طبعة دارة الملك عبدالعزيز ــ في كلامه على قبيلة نعيم القحطانية النسب: ومنهم فخذ يبلغ عدده أربع مئة رجل يسكنون ساحل البحر بقرب الشارقة من الجنوب إلى الشرق بأربعة فراسخ، ويسمون هاؤلاء العجمان، واسم بلدهم كذالك. انتهى.

ولا يعرف من تاريخ هذه الإمارة شيء إلاَّ منذ نحو قرن ونصف من الزمان، وتحيط إمارة الشارقة بالإمارة من جميع جهاتها، إلا أن لها إطلالة على الساحل بنحو ١٦ كيلاً بين أم القيوين والشارقة، وتتبعها قرى بعيدة عنها منها مصفوت في الجنوب الشرقي من عُمَان على مسافة ١١٠ أكيال من عجمان، والمنامة على بعد ٦٥ كيلاً شرقاً بقرب الذيد .

للحديث صلة **حمد الجاسر**

43361

تحقيقات جغرافية عن بعض الأماكن الدينية

ـ ٣ ـ

حدود منى وحدود مزدلفة

حدود منى :

صدر قرار من وكيل وزارة الحج إلى مدير الإدارة الفنية في الوزارة برقم ١/٥٢٢ وتاريخ ١٣٩٣/١/٢٨هـ بشأن إنشاءِ أعلامٍ لحدود مزدلفة ومنَى ، لتوضيح حدود هذين ٱلْمَشْعَرَيْنِ، وتشكيل لجنة من وزارة العدل والإشراف الديني بالمسجد الحرام ، والرئاسة العامة لهيئات الأمر بالمعروف ، وأمانة العاصمة المقدسة ، والإدارة الفنية في وزارة الحج ، فَشُكِّلَتِ اللجنةُ المذكورة وقامت بالعمل المذكور ، وتحقق لديها بموجب قرارها المؤرخ في ١٣٩٣/٢/٢٥هـ مايلي :

أ ــ ظهر أنَّ مُبْتَدَأَ مِنَى من جهةِ مكة المكرمة هو جَمْرَةُ العَقَبة ، وحدُّ مِنَى من جهةِ مُزْدَلَفَةَ ضفَّةُ وادي مُحَسِّرٍ مما يلي مِنَى ، ليكون وادي مُحَسِّرٍ فاصلاً بين مِنَى ومُزْدَلِفة وذالك استناداً مِنَّا إلى ماجاء عن عالم مكة ومفتيها ــ عطاء بن أبي رَبَاحٍ ــ قال الأزرقي في «أخبار مكة» بسنده عن ابن جُرَيْجٍ قال: قلت لعطاءِ بن أبي رَبَاح أيْنَ مِنَى ؟ قال: من العقبة إلى مُحَسِّرٍ قال: فلا أُحِبُّ أنْ ينزلَ أحدٌ إلاَّ فيما بين العقبةِ إلى مُحَسِّرٍ ــ هذا طُولاً .

ب ــ ظهر أنَّ عَرْضَ مِنَى مابَيْنَ ٱلْجَبَلَيْنِ ٱلْكَبيرينِ بامتدادِهِمَا من ٱلْعَقَبَةِ إلى وَادِي مُحَسِّرٍ ، ليكون مابينهما من الشعاب والهضاب ، ومالهما من السفوح والوجوه الموالية لِمِنَى كلها من مَشْعَرِ مِنَى ، وليكون كلُّ ما أدخله وادي مُحَسِّرٍ ابتداءً من روافده في أَصْلِ جبل ثَبِيْرٍ ، حتى يصل إلى حدِّ مِنَى في أصل جَبَلِهَا الجنوبيِّ بامتداد ضَفَّتِهِ الغربية كلُّ ذالكَ داخلٌ في حدود مِنَى .

وهذا التحديد استناداً إلى مانَصَّ عليه العلماءُ ، وَطَبَّقناه على الحدود المذكورة بالمشاهدة . قال النَّوَوِيُّ في «المجموع»: واعلم أنَّ مِنَى شِعْبٌ محدودٌ بين جبلين أحدُهما ثَبِيْر ، والآخر الصَّابِحُ ، قال الأصحاب: ما أقبل على مِنَى من الجبال فهو

مِنْها ، وما أدبر فليس منها . انتهى كلامه . وقد وجدنا أعلاماً على ضَفَّةِ وادي مُحَسِّرٍ مابين مِنَى ، ليستْ بعيدةَ العهْد ، ووجدْنا وضعها مقارباً للحدِّ الشَّرْعيِّ فأَقْرَرْنَاها وأوصينا أَنْ تُجْعَلَ الأعلامُ الجديدة بجانبها ، إلَّا أن تلك الأعلام لم تَسْتَوفِ تمام الحَدِّ ، فقررنا استيفاء مابقِي منه بالأعلام الجديدة .

حدود مزدلفة :

أما حدود مُزْدَلِفَة من قرار لجنة وزارة العدل والإشراف الديني وهيئات الأمر بالمعروف ووزارة الحج ، ومندوب أمانة العاصمة المقدسة المشكلة من قبل وكيل وزارة الحج برقم ١/٥٢٢ في ١٣٩٣/١/٢٨هـ المؤرخ في ١٣٩٣/٢/٢٥ هـ فهي :

جـ ــ ظهر أنَّ متبدأً حَدِّ مُزْدَلِفَةَ مما يلي مِنَى هو ضَفَّةُ وادِي مُحَسِّرٍ الشرقية ، ليكون الوادي المذكور فاصلاً بينها وبين مِنَى ، فإذا وصل الوادي المذكور إلى جَبَلِ مِنَى الجنوبي وتَغَيَّرَ اتجاهُهُ من الجنوب إلى الشرق جاعلاً الجبل المذكور يمينيه ومزدلفة يساره ثم فاض مع سفح الجبل المسمى ــ (دَقْمَ ٱلْوَبْرِ) ــ حيث يعتدل اتجاهه إلى الجنوب ــ كما كان ــ فظهر أنَّ ضفة الوادي الشمالية هي حَدُّ مزدلفة من هذه الجهة .

كما ظهر أَنَّ حَدَّ مُزْدَلفة مما يلي عرفاتٍ هو مفيضُ ٱلْمَأْزِمَيْنِ مما يليها ــ يلي مزدلفة ــ كما أَنَّ حدَّها من طريق ضَبٍّ ما يُسَامِتُ مفيضَ ٱلْمَأْزَمَيْنِ . وقد وجدنا أعلاماً فأبقيناها ، وأوصينا بأن تجعل الأعلامُ الجديدة بجانبها ــ هذا هو حدُّ الطول .

أَمَّا حدُّ مزدَلِفَةَ من العرض فما بين هذين الجبلين الكبيرين هو مزدلفة .

فظهر لنا أنَّ مابين حَدَّيْ مُزْدَلِفَةَ طولاً ومابين حَدَّيْهَا عَرْضاً من الشِّعَابِ والهِضَاب والتِّلاع والروابي ووجوهِ الجبال كلها تابعة لمشعر مُزْدَلِفَةَ وداخلٌ في حدودها . وذلك استناداً إلى النصوص التي قمنا بتطبيقها على الحدود المذكورة ، حين الوقوف والمشاهدة ومن تلك النصوص مايلي :

روى الإمام أحمد ومسلم وأبو داوود عن جابر أن رسول الله ﷺ قال: «وقفت

هاهنا وجَمْعٌ كلها موقف» .

وروى الإمام مالك في «الموطإ» أن رسول الله ﷺ قال: «المزدلفة كلها موقف وارتفعوا عن بطن مُحَسِّرٍ» .

وروى ابن جرير في «تفسيره» قال: عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «مابين الجبلين اللَّذَيْنِ يَجْمع مَشْعَرٌ» .

وقال في «المغني»: عن حدِّ مُزْدَلِفَةَ ــ : مِنْ مَأْزِمَيْ عَرَفَةَ إلى قَرْن مُحَسِّرٍ ، وما على يمين ذلك وشماله من الشِّعَابِ ففي أيِّ مَوْضِعٍ وَقَفَ أَجْزَأَهُ .

وقال الأزرقيُّ : حَدُّ مزدلفة مابين وادي مُحَسِّرٍ ومَأْزِمَي عَرَفَةَ

وليس الحدَّانِ من المزدلفة ، فجميع تلك الشِّعَابِ القوابِل والظواهرِ والجبال الداخلة في الحدِّ المذكور . هذا ماقررناه ــ بخصوص حدود هذين المشعرَيْنِ العظيمين ــ مِنَى ومزدلفة ــ .

بعد هذا أثير موضوع حدي مزدلفة الشمالي الغربي ، والجنوبي الغربي ، ودُرِسَ من عِدَّةِ لجانٍ ، وأخيراً دُرِس من هيئة كبار العلماء واشتركت معهم أنا محرر هذه الأسطر ــ وقائم مقام العاصمة المقدسة شاكر بن هزاع والشريف محمد بن فوزان الحارثي بصفتهما من أهل البلاد ، وصاحبا خبرة ودراية بهذه الديار .

وعقد في نفس الحدود مخيم اجتمع غالب أعضاء هيئة كبار العلماء وأقاموا فيه يومين ، وقفوا على الحدود ، ودرسوا الموضوع بما أُعِدَّ فيه من نصوص وقرارات سابقة ، وتَدَاولوا الرأيَ وذالك برئاسة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز ، وبعد هذا صدر من المجلس القرار الذي ننقل منه الغرض المطلوب في الموضوع وهو: استمع المجلسُ إلى نصوص العلماء في تحديد مزدلفة ، ورجع إلى محاضر اللجان السابقة ، فاطلع على قرار اللجنة المؤرخ في ١٣٩٣/٢/٢٥هـ الموقع من مندوب وزارة العدل ورئاسة الاشراف الديني بالمسجد الحرام والرئاسة العامة للهيئات بالحجاز ووزارة الحج وبلدية مِنَى واطلع على المحضر المؤرخ في ١٣٩٦/١٠/١١هـ الموقع من رئيس المحكمة الكبرى بمكة وعضو هيئة التمييز ،

وقائم مقام العاصمة ، ومندوب إمارة مكة ، ومندوب أمانة العاصمة ــ الخاص بالحد الجنوبي الغربي لمزدلفة ، واطلع على المحضر الموقع في ١٤٠٢/١١/٣هـ من فضيلة الشيخ سليمان بن عُبَيْدٍ وفضيلة الشيخ عبدالله بن مَنِيع ، وفضيلة الشيخ عبدالله بن بسام والخاص بالحدَّيْنِ الشماليِّ الغربي والجنوبي الغربي لمزدلفة ، وانتهى المجلس ـ بالأكثرية ــ على مارأته اللجنة السابقة في محضر ١٣٩٦/١٠/١١هـ أنَّ الحد للجهة الجنوبية الغربية من هذا المشعر يبتديءُ من الجهة الشمالية بالجبل المسمى بـ (قرن) الواقع شرقي وادي مُحَسِّرٍ ، والمقابل لَدَقْم ٱلوَبْر ، فيقع دَقْمُ ٱلوَبْر عنه غرباً شمالاً ، ويمتدُّ الحدُّ من جهة الجنوب من قِمَّة القرن المذكور إلى خشم الجبل الذي يقع في نهاية الجبال الممتدة من مزدلفة جهة الجنوب ، فكل ما وقع شرقيَّ هذا الحدِّ يعتبر من مشعر مزدلفة ، وماكان غربيَّهُ فهو خارجٌ عنها ، وبهذا يَتَّضِحُ أَنَّ جُزْءاً كبيراً من حدائق أمانة العاصمة الموجودة هناك داخلٌ في حدود مزدلفة .

وتقترح اللجنة أنَّ الأعلام الموضوعة في الجانب الشرقي الشمالي من وادي مُحَسِّرٍ توضع أعلامٌ مماثلةٌ لها بمحاذاتها حتى تصل إلى خشم الجبل الجنوبي الموضح أعلاه. انتهى ما يتصل بحدود مزدلفة من هذا القرار .

المعارضون :

توقف عن التحديد جملة وتفصيلاً بعضُ الأعضاءِ ، وبعضهم غائب ، ولكن حصل القرار المذكور بأكثرية المجلس ممن تم بهم النصاب وعارض في الحد الجنوبي الغربي :

١ ــ الشيخ محمد بن جُبير. ٢ ــ الشيخ عبد الله بن منيع . ٣ ــ الشيخ عبدالله بن بسام ــ محرر هذه الأسطر .

ويرون أنه ــ كما نص العلماء ــ جميع الحدّ الغربي لمزدلفة هو وادي مُحَسِّرٍ ، وأَنَّ الحدَّ الجنوبيَّ لمزدلفة هي جبالها الجنوبية ، فإذا انحرفتْ تلك الجبال إلى الغرب فيكون تمام الحد الجنوبي هو مابينها وبين وادي مُحَسِّرٍ وبهذا تَمَّ الحدُّ الجنوبيُّ الغربيُّ

لمزدلفة بمحاذاة الوادي ، وتسمى تلك الجبال الجنوبية لمزدلفة جبال المريخيَّات ، وبهذا تكون حدائق أمانة العاصمة كلها داخلة في حدود مزدلفة .

هذا مانقرره ونعتقده ونرى أن النصوص تدل عليه والله من وراء القصد .

أما الحدُّ الشمالي الغربي لمزدلفة فقد قرر هيئة كبار العلماء عنه قراراً نأخذ منه قدر موضع الحاجة بما يلي :

في الدورة العشرين لمجلس هيئة كبار العلماء المنعقدة في الطائف من الخامس والعشرين في شوال حتى السادس من ذي القعدة عام ١٤٠٢هـ ، نظر المجلس في تحديد مزدلفة من الناحية الشمالية الغربية بناءً على الأمر السامي رقم ١١١٤٨ في ١٤٠٢/٥/١٢هـ . واستمع المجلس إلى نصوص العلماء في تحديد مُزْدَلِفة ، ورجع إلى محاضر اللجان السابقة ، واطلع المجلس على المحضر المؤرخ في ١٤٠٢/١١/٣هـ والموقع من فضيلة الشيخ سليمان بن عُبَيْدٍ وفضيلة الشيخ عبدالله بن مَنيع وفضيلة الشيخ عبدالله بن بسام والخاص بِالْحَدَّيْنِ الشمالي الغربي والجنوبي الغربي . وفي الدورة الواحدة والعشرين أعاد بحث الموضوع فرآى أنَّ البتَّ فيه ينبغي أن يكون بعد وقوف المجلس على الموقع وتطبيق كلام أهل العلم . وفي الدورة الاستثنائية السادسة المنعقدة في مكة المكرمة في الفترة من يوم الأربعاء الموافق ١٤٠٣/٥/٣هـ حتى يوم الأحد الموافق ١٤٠٣/٥/٧هـ رجع المجلس إلى كلام أهل العلم مرة أخرى ، وإلى محاضر اللجان السابقة ، ووقف في المكانين المذكورين عدةَ مرَّاتٍ ، واستمع إلى مالدى كل من فضيلة الشيخ عبدالله بن بسام والشريف شاكر بن هزاع والشريف محمد بن فوزان الحارثي وانتهى بعد ذلك إلى مايلي :

نظراً إلى أن العلماء قد نَصُّوا على أنَّ حدَّ مِنَى من الجهة الشرقية وادي مُحَسِّرٍ ، وحَدَّ مزدلفة من الجهة الغربية الوادي نفسه ونَصُّوا أيضاً على أنَّ حَدَّ مزدلفة شمالاً جبل ثَبِير ، وحيث أن جبل ثَبِير ينعطف شمالاً قبل أنْ يصل إلى وادي مُحَسِّرٍ فَإنَّ المجلس ــ بالأكثرية ــ يرى أنَّ الحدَّ يمتدُّ غرباً من منعطف ثَبِير ماراً بجنوبيِّ الجبل ←

مطالعات في كتاب :

«فصول في فقه العربية»

«فصول في فقه العربية» دكتور رمضان عبد التواب ــ الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة ودار الرفاعي بالرياض. الطبعة الثانية ١٤٠٤/١٩٨٣. سفنكس للطباعة ــ تاريخ ط ١ سنة ١٩٨٠ ــ ٤٥٩ ص .

١ ــ كتاب قَيِّمٌ وجُهْدٌ مُجْدٍ : في أَوَّلِيَّةِ اللغة العربية ، في العربية الفصحى واللهجات ، بين الشعر والنثر ، الثراء اللغوي في العربية ، من قضايا اللغة ومشكلات العربية .

٢ ــ ص ١٣ : عبد الملك بن قُريب الأصمعي (المتوفي سنة ٢١٦ هـ) . . .

٢١٦هـ تاريخ مقبول يذكر لوفاة الأصمعي ولكنه ليس فذاً قاطعاً . قال ابن خلكان «توفي في صفر ست عشرة وقيل أربع عشرة وقيل سبع عشرة ومائتين» .

المقابل لمنعطف ثَبِير ، إلى وادِي مُحَسِّرٍ ، فما أَقبل من الجبَّال جنوباً فهو من مزدلفة ، وما أدبر شمالاً فهو خارج عنها . وبالله التوفيق . ورقم القرار ــ ١٠٥ ــ وتاريخه ١٤٠٣/٥/٧هـ .

وسبق قرار الحدِّ الغربي الجنوبي بالقرار رقم ١٠٦ في ١٤٠٣/٥/٧هـ وتأكد هذان القراران بالموافقة السامية بخطاب موجه من ــ رئيس مجلس الوزراء ــ إلى وزير الداخلية ــ برقم ٩٨٦/٤/م في ١٤٠٥/٤/٣٠هـ وجاء فيه: (نخبركم بموافقتنا على ماقرره مجلس هيئة كبار العلماء بقراريه رقم ١٠٥ ــ ١٠٦/٥ في ١٤٠٣/٥/٧هـ بالأكثرية من حيث تحديد مزدلفة من الناحيتين الشمالية الغربية والجنوبية الغربية ، وعلى وزارتكم إنفاذ مقتضاه وقد زودنا الجهات المعنية بنسخة من أمرنا هذا للاعتماد فأكملوا مايلزم بموجبه) .

مكة المكرمة: عبدالله بن عبدالرحمن البسام

٣ ــ ص٣٣ : (ومن لهجات الآرامية (. . .) ما يسمى «باللغة المنداعية» وهي لهجة طائفة (العارفين) المسيحية ، التي لاتزال توجد في جنوبي العراق إلى اليوم . . . » .

أ ــ المنداعية : المندائية .

ب ــ طائفة العارفين : الصابئة .

جـ ــ الصابئة دينٌ قائم برأسه ، وهكذا ورد ذكرهم في القرآن الكريم . . . وهكذا هم في جنوبي العراق . . . وامتدوا إلى بغداد . . .

٤ ــ ص ١٠٢ : (وأما الطبقة الرابعة) يفهم أن يقصد بهم شعراء العصر العباسي [الأول] ــ فالصحيح أنه لا يستشهد بكلامهم مطلقاً ، وقيل : يستشهد بكلام من يوثق به منهم ، واختاره الزمخشري ، فاستشهد في تفسير أوائل سورة البقرة ، في «الكشّاف» ببيت من شعر أبي تمام . . .) .

يحسن استقصاء الزمخشري في كتابه «أساس البلاغة» فقد رأيته مثلاً : (يستشهد بابن الرومي في كلمة (دحو) ، واستشهد (بديباجة البحتري) في كلمة (دبج) . . . ويستشهد بالمعري في كلمة (نبط) .

٥ ــ ص ١٠٣ : (ونقل ثعلب عن الأصمعي قال : خُتِمَ الشعر بابراهيم بن هَرْمَة ، وهو آخر الحجج) .

المؤلف في معرض الرواية ومن يصحُّ أَنْ يُسْتشهد بهم ، ولا يحسن ــ في هذه الحال ــ الوقوف عند ابن هرْمة وحده بل إن ذكر الأصمعي يحثنا إلى إثبات ما روي عنه ــ هنا كاملاً . قال : (كان ابراهيم من ساقة الشعراء) ، وروى عبدالرحمن [ابن أخيه] عنه أنه (قال : ساقة الشعراء : ابن ميادة ، وابن هرمة ، ورؤبة ، وحَكم الخضري ، ــ (حي من محارب ــ ومكين العذري ، وقد رأيتهم أجمعين) ــ الشعر والشعراء تحـ. شاكر في ترجمة ابن هرمة .

٦ ــ ص ١٠٣ : (في القرن الرابع الهجري نجد أبا نصر الفارابي (المتوفي سنة ٣٥٠هـ) يضع قائمة بأسماء قبائل معينة . . .) .

(نجد) هذه زائدة ، وهي من الأسلوب الأوربي we find

وتتكرر ص ١٦٤

توفي هذا الفارابي سنة ٣٣٩هـ ــ تنظر المادة (١٧) في أدناه .

٧ ــ ص ١٠٤ : (كما يقول ــ ابن خلدون ــ في مقدمة كتابه «العبر وديوان المبتدأ والخبر» ، تحت فصل عنوانه . . .).

أ ــ (تحت فصل عنوانه : (تحت) هذه من الأسلوب الأوربي sous ، ويمكن الاستغناء عنها .

ب ــ لم تَعُدْ حاجةٌ إلى قولنا : (مقدمة . . . «العبر وديوان المتبدإ والخبر» و«المقدمة» وحدها كافية فقد تكرر طبعها مستقلة في كتاب ، والمؤلف إنما يحيل على هذه الطبعة المستقلة في كتاب ويسمّيها في هـ ص ١٠٥ «مقدمة ابن خلدون» إنه حين يذكر مراجعه آخر الكتاب لا يذكر «العبر. . .» وإنما «المقدمة» ــ ص ٤٤٢ .

٨ ــ ص ١٧٦ ــ ١٧٧ : (ولا تقتصر الضررات الشعرية ، على الإعراب وحده ، بل تمتد إلى بنية الكلمة نفسها ، فتصيبها بالتّغير والتحول ، فقد تُقَصَّر الحركات الطويلة في مثل قول (. . .) أبي خِرَاش الهذلي :

وَلَا أدرِ من أَلْقَى عَلَيْـهِ إزارهُ خَلَا أَنَّهُ قَدْ سُلَّ عَنْ ماجِدٍ مَحْضِ

المصدر «ديوان الهذليين» : ٣/١٢٣٠ ، وتكرر ص ٢٢٦ .

جاء في كتاب «شرح ديوان الحماسة» للمرزوقي ، نشرة أحمد أمين وعبدالسلام هارون ٢/٧٨٧ :

ولم أَدْرِ منْ ألقَى عَلَيْـهِ رِدَاءَه ولكنَّهُ قَدْ سُلَّ عن ماجدٍ محضِ

وفي الحاشية : كذا رواية الأصل والديوان. . .».

٩ ــ ص ١٨٧ : (قال ابن منظور. . .) ، ص ٢١١ (ويقول ابن منظور. . .)

لم يقل ابن منظور ، لأنَّ ابن منظور لا يملك قولاً أوْ رأْياً ، وإنما هو مؤلف متأخر لَفَّقَ كتابه من مجموعة كتب . ونقول ــ على هذا ــ: جاء في «لسان العرب» .

١٠ ــ ص ١٨٩ : (ويقول القاضي علي بن عبدالعزيز الجرجاني (المتوفي سنة ٣٦٦هـ) . . .» .

الصحيح : «المتوفي سنة ٣٩٢هـ» ينظر الزركلي في «الأعلام» ٤/ ٣٠٠ ، وكتاب الدكتور محمود السمرة عنه .

١١ ــ ص ٢٢٥ : (قولهم: (لم أُبَلْ) (ولا أَدْرِ) فقد كثر استعمالهم لهاتين الكلمتين في النثر بهذه الصورة . والقياس فيهما: (لم أُبَالِ) (ولا أَدْرِي) . . .) وذكر المؤلف أمْثِلَةً من الشعر في عصور الاستشهاد .

ولابأس أن أذكر ــ خارج عصور الاستشهاد ــ بيت المعري:

إذَا أَنْتَ أُعْطِيْتَ السَّعَادَةَ لَمْ تُبَلْ وإنْ نَظَرْتَ شَزْراً إلَيكَ ٱلقَبَائِلُ

١٢ ــ ص ٢٢٩ ــ ٢٣٠ : المعاجم: (ونوع رتَّبَ الكلمات ترتيباً أبجدياً (بحسب الأصل الأخير ، أول الأول للكلمة) مثل «الصحاح» للجوهري ، و«لسان العرب» لابن منظور ، و«القاموس المحيط» للفيروز أبادي و«أساس البلاغة» و«المصباح المنير») .

أ ــ قولنا: أبجدي يذهب به الظن إلى أ ب ج د . . .) على حين المقصود، أ ، ب ، ت ، ث ، ج . . . من حروف الهجاء . . . ، وتتكرر ص ٢٧٩ لدى الكلام على «مجمل اللغة» لابن فارس .

ب ــ كان المناسب أن تتوالى «المعاجم» في سياق تاريخي .

جـ ــ لم يرد «التقفية» للبندنِيْجي مع المعجمات . . .

«التقفية في اللغة» لأبي بشر اليمان بن أبي اليمان البندنيجي (المتوفي سنة ٢٨٤هـ) ، حققه الدكتور خليل إبراهيم العطية ، بغداد (وزارة الأوقاف) ـ الكتاب الرابع عشر) مطبعة العاني ١٩٧٦ ــ ٨٠٠ ص . [وانظر عنه «العرب»

س ١ ص ٥٧٧].

١٣ ــ ص ٢٦٧ : (وأقدم معجم (. . .) هو: «كتاب العين» للخليل. . .) وفي الهامش: «طبعت منه قطعة صغيرة في ١٤٤ صفحة بعناية الأب انستاس ماري الكرملي، في بغداد سنة ١٩١٤م ، ثم ظهر الجزء الأول منه بتحقيق الدكتور عبدالله درويش ، في بغداد سنة ١٩٦٧م» .

هذا كلام لم يعد مقبولاً ــ بعد اليوم ــ أي بعد أن شرعت طبعة محققة للعين كلـه تصدر في بغداد ــ بتحقيق الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي ــ وقد صَـدَرَ الجزء الأول سنة ١٩٨٠ حسب تجزئة المحققين ، وصدر آخرها (الثامن) سنة ١٩٨٥ .

١٤ ــ ص ٢٧٤ : (والمعجم الذي تلا «جمهرة ابن دريد» في الظهور ، هـو: «ديوان الأدب في بيان لغة العرب» لإسحاق بن ابراهيم الفارابي (المتوفي سنة ٣٥٠هـ): وهذا الكتاب لا يَمُتُّ إلى الأدب بصلة ــ كما يوهم عنوانه ــ بل هو معجم لألفاظ اللغة العربية. . .) .

أ ــ من قال: إنَّ معجم ألفاظٍ للغة العربية ليس من الأدب ؟

ب ــ يريد المؤلف بالأدب ما يذهب إليه الذهن في أيامنا هذه من (القرن العشرين) . وهذا المعنى متأخر . وإننا لا نفرض متأخراً على متقدم ، ولا نُعَلِّم الفارابي مدلول (الأدب) وإنَّما نَتَعَلَّمُهُ منه .

جـ ــ إذا كان الأنباري قد جعل اللغويين ، (أدباء) في «النزهة» ، وجعلهم ياقوت كذلك في «الإرشاد» فما المانع في أن تكون (اللغة) (أدبا) ، وقد صاروا بها (الأدباء) ؟ المسألة مسألة مصطلح في زمن .

١٥ ــ ص ٢٨٢ : «الزمخشري» ، وهو أبو القاسم محمد بن عمر بن محمد. . .»: محمود

١٦ ــ المراجع العربية. . . . ص ٤٣٠ : «التكملة» لأبي علي الفارسي ـ تحقيق

مصطلحات عربية في المعايير والأوزان
من
كتاب الجوهرتين العتيقتين للهمداني

بقلم : الدكتور كريستوفر تول
ترجمة : الدكتور يوسف محمد عبدالله

تمهيد من المترجم :

عهد إليّ أستاذي الكبير العلامة الشيخ حمد الجاسر بنقل هذا المقال من اللغة الألمانية إلى اللغة العربية فلعل مافيه يلقي ضوءاً على بعض المصطلحات في المعايير والأوزان التي ذكرها

كاظم بحر المرجان (رسالة ماجستير) مخطوط) .

طبع سنة ١٩٨١ .

ـ ص ٤٣٦ : (طبقات فحول الشعراء ، لمحمد بن سلام الجمحي تحقيق محمود محمد شاكر ـ القاهرة ١٩٥٢م): ط ١٩٧٤ هي الأولى بالمراجعة والبحث .

ـ ص ٣٠٦: «نزهة الألباء في طبقات الأدباء ، لأبي البركات بن الأنباري . . .»: لأبي البركات الأنباري

١٧ ـ فارابيان وليسافاربياً واحداً . ورد ص ١٠٣ «نجد أبا نصر الفارابي المتوفي سنة ٣٥٠هـ . . .» وفي ص ٢٧٤ «اسحاق بن ابراهيم الفارابي المتوفي سنة ٣٥٠هـ».

والحقيقة أن الأول غير الثاني ، الأول الفيلسوف والثاني اللغوي ، توفي الأول سنة ٣٣٩هـ والثاني سنة ٣٥٠هـ ! وإذا كان اسم الثاني إسحاق (وكنيته: أبو إبراهيم) فإن الأول (أبا نصر) اسمه محمد بن محمد بن طرخان

د. علي جواد الطاهر .

الحسن بن أحمد الهمداني (القرن الرابع الهجري) في كتاب «الجوهرتين العتيقتين المائعتين من الصفراء والبيضاء» (الذهب والفضة).

وكان الشيخ حمد الجاسر من أوائل من نبَّه إلى أهمية هذا الكتاب ويدين له أهل العلم بكثير من المعارف والتصويبات والاحالات فيما يخص هذا الكتاب ، وفضله في غير هذا ذائع ومشهود ، أطال الله عمره ونفعنا بعلومه .

والدكتور كريستوفر تول هو عالم محقق من السويد وأستاذ للدراسات العربية في إحدى جامعات الدنمرك . وتلميذ نجيب للعالم السويدي المعروف أوسكار لوفجرن الذي قضى سنين طويلة ينقب عن المخطوطات اليمنية ولا سيما آثار الهمداني . ولا يزال يعمل في هذا السبيل إلى اليوم ونتمنى له دوام الصحة والعافية .

وكان الدكتور تول قد حقق كتاب الجوهرتين عام ١٩٦٨ ونقله إلى الألمانية وقدم له بدراسة نقدية جيدة . إلاَّ أنَّ الكتاب نُشِر بنسخ قليلة ، وبخط المحقق في نصه العربي ، وبالآلة الكاتبة في النص الألماني ، ولم يتسَنَّ له أن يُصَفَّ بالمطبعة مما أعاق سهولة تداوله .

وفي عام ١٩٨٢ أصدر الأخ الصديق محمد الشعيبي طبعة جديدة للكتاب اعتماداً على كتاب الدكتور تول ، ولكن طبعة الشعيبي والتي تنمُّ عن جهد طيِّب تناولت النصَّ فقط ، وأغفلتْ ماعدا ذالك . وكنت قد التقيت بالدكتور تول خلال فترة حضوره الندوة العلمية العالمية بمناسبة الذكرى الألفية للهمداني في صنعاء ــ ديسمبر عام ١٩٨١ ــ واتفقت معه على إصدار الكتاب ضمنَ منشورات مشروع الكتاب التابع لوزارة الاعلام والثقافة في الجمهورية العربية اليمنية . وفعلاً عهدتْ لجنةُ مشروع الكتاب بالوزارة إليَّ بالمهمة ، فكان أن نقَّحتُ النَّصَّ ونقلت الدراسة التي تتصدره من الألمانية إلى العربية ، وأثْبَتُّ الهوامشَ الأصلية والفهارس الملحقة كما هي خوفاً من مزالق الطبع ، وحِفَاظاً على ترقيم صفحات المخطوطة الأصل والنص المحقق . وصدر الكتاب في عام ١٩٨٥ .

وكنت أعلم أنَّ هذه الطبعة لن تغني عن طبعة أخرى ينوي إصدارها أستاذنا العلامة القاضي محمد علي الأكوع ، أو عن طبعة جديدة بتحقيق الشيخ حمد الجاسر الذي تَدِين له الطبعات السابقة بالفضل ، وتحمل الكثير من بصماته ، ولكني كنت أعلم أيضاً أنَّ كتب الهمداني تحتاج دوماً إلى تحقيق جديد . وما ضَرَّ لو تداول الكتاب عالِمان ، فلربما كان الجهد أبلغ في الافادة . وقد حُقِّقَ كتابُ «صفة جزيرة العرب» إلى اليوم ثلاث مرات ، وصدر حسب مبلغ علمي في طبعات أكثر من ذالك . ولا أظن أنَّ أحداً من أهل الشأن لايتمنَّى أنْ يُحَقَّقَ الكتابُ من جديد ، على ضوء المعارف الجغرافية الجديدة ، وأن يُلْحَقَ النص بخرائط دقيقة مفصلة . وتبرُزُ الحاجةُ إلى ذالك كلما أكثر المرءُ من استعماله أو سُلِّطَتْ عليه جهود الباحثين الجدد المتزودين بأدوات صناعة العلم الحديث . راجع مثلاً : أطروحة الدكتور

روبرت ويلسن ـ كامبردج ١٩٨٠ ، وأطروحة الدكتور عبدالله الشيبة ـ ماربورج ١٩٨٢ ـ وكلتاهما تعنيان بجغرافية اليمن التاريخية .

لقد قصدتُ بهذا التمهيد أن أضع مقال الدكتور تول في إطاره العلمي وسياقه التاريخي إذ أنَّ عملَهُ هذا هو تكملة لجهده السابق ، ولربما تكون فيه فائدة لعمل لاحق . ومن يتأمل كتاب الجوهرتين لاريب أنه سيجد ألفاظاً ومصطلحات أخرى تحتاج إلى دراسة وتحقيق ، وفجواتٍ مازالتْ تنتظر مخطوطةً جديدة ، حتى يُعْمَل على سدّها ، وسواء يتفق المرء مع تخريجات الدكتور تول ومناقشاته اللغوية أم يخالفه ، إلا أنه سيغبطه على حسن اطلاعه على المصادر ، وقدرته الفذة على التحليل اللغوي ، وإلمامه بذالك العدد الوافر من اللغات الحديثة والقديمة .

ولقد حرصت على نقل النص دون تصرف ، ولكني حاولت أن أنقل معظم الإحالات إلى اللغة العربية ، وكذالك الألفاظ والتعابير والنصوص التي أثبتها الكاتب بلغاتها أو كتاباتها الأصلية في ثنايا النص الألماني تيسيراً للقارىء العربي ، وتجنُّباً لمزالق الطبع وهي عندنا كثيرة والحمد لله .

أما ما عَنَّ لي من ملحوظاتٍ فهي إما موضوعة بين قوسين مربعين في ثنايا النص ، أو موسومة بنجمة في الهامش . وقد نشر مقال الدكتور تول باللغة الألمانية[١]. وهاهو :

* * * *

يورد كتاب «الجوهرتين العتيقتين» والذي نشر في أبسالا ١٩٦٨[٢]، مصطلحات عديدة أصولها غير عربية في مجالي المعايير ، والتعدين . وموضوع هذا المقال هو بحثُ بعض تلك المصطلحات التي وردت في كتاب الهمداني المذكور الذي يُعْنَى بالتعدين وصَنُعة النقد .

١ ـ القفلـــة :

يرد اللفظ قفلة منصوباً بمعنى دفعة واحدة ، على الجملة ، بالجملة في قوله : وكان لعلَّه ينفخ من الصُّرَّة الكبيرة الثلاثة دراهم قفلة (ص ١٣١) وفي قوله : وكان وزنه قفلةً أربعة دراهم (ص ١٦٨) واللفظ بهذا المعنى معروف ، فقد جاء في «اللسان» [والقفلة] إعطاؤك إنساناً شيئاً بِمَرَّةٍ ، يقال : أعطاه ألفاً قفلة . [ابن دريد : ودرهم قفلة أي وازن والهاء أصلية ، قال الأزهري : هذا من كلام أهل اليمن ، قال : ولا أدري ما أراد بقوله الهاء أصلية][٣].

وقد يرد اللفظ في صيغة «درهم قفلة» في قوله : فكان يقع المَطَوَّقُ من الفضة عشرين درهماً قفلة ، والدينار المطوق يعادل عشرين درهماً قفلة من الفضة (انظر مادة مطوق أدناه) وقوله : يكون وزنه من درهم قفلة إلى مثقال (ص ١٤٥). وقوله : [وهو يحتاج من الإعادة إلى] ماينقص من كل مئة درهم قفلة درهم[٤]. وفي حالة الجمع تكون الصيغة : دراهم قفلة ، كقوله : يخلص منها عشرة دراهم قفلة (ص ١٩٨) وقوله : وإما ربع حبة في جميع العيار الذي هو أربعة دراهم قفلة (ص ١٧٠). ويمكن أن يكون اللفظ قفلة في المثال الأول في حال النصب أيضاً . ولكن الأمر يختلف تماماً عندما يكون اللفظ معرفاً ، كقوله : سعة الدرهم القفلة (ص ١٧٩) وقوله : غلظ الدرهم القفلة الوسط (ص ١٣٤)، أي في سمك درهم قفلة .

إن معنى اللفظ واضح : فصاحب «اللسان» وصاحب «تاج العروس» وابن سيدة في كتاب «المخصَّص» ١٢/ ٢٩ ، ينقلون عن ابن دريد قوله : ودرهم قفلة أي وازِنٌ ، والهاء أصلية ، ويضيف صاحب «اللسان»، قال الأزهري : هذا من كلام أهل اليمن ، قال : ولا أدري ما أراد بقوله : والهاء أصلية . وقوله إن الهاء أصلية يفيد أنها غير تاء التأنيث . وهو قول صحيح ، إذ أَنَّ الاسم درهم مذكر . أي أنَّ اللَّفظ قفلة ليس نعتاً مشتقاً للفظ درهم ، وإنما هو اسم جامدٌ ، ومحلُّه من الإعراب بدلٌ من درهم[٥]، وفيها قرِيء اللفظ : درهمُ قفلةٍ ، وهي قراءة غير ممكنة ، لأن لِلَّفظ استعمالان فيقال درهماً قفلة في حال كون اللفظ نكرة ، ويقال الدرهم القفلة في حال التعريف . والجذْرُ (ق ف ل) من الجذور المألوفة في اللغة العربية . وله ــ كما يبدو ــ معنيان ، الأول : قفل بمعنى رجع ، ومنه اشتق اللفظ المعروف قافلة ، وهو بهذا المعنى يشترك مع الجذر نفسه في اللغة الآرامية والمندائية والحبشية بمعنى تحول ، رد، نَقَل. المعنى الثاني : قفل بمعنى يَبِس ، وهو معنى شواهده ضعيفة في اللغات السامية الأخرى ، ويتناول «فرنكل» الجذر نفسه في كلامه عن الألفاظ الآرامية الدخيلة رقم ١٦ : انكمش النبات = يَبُسَ ، ويبدو أنَّ المعنى الثالث للجذر وهو أَغْلَقَ ، مشتق من الاسم قُفْل ، مِزْلاَج ، عبر اللفظ

الآرامي قفلاً (لم يوردها فرنكل) من اللفظ Copula . وبهذا المعنى يقال الرجل قفلة أي حافظ لكل مايسمع[٦].

ليس فيما سلف من معان مايسعف على تبيان اشتقاق اللفظ الذي نحن بصدده ، غير أن هناك (قفلة) أخرى ، قد تؤدي مناقشة لفظها إلى الوصول إلى المعنى الحقيقي للفظ ، وهو قفا الرأس فربما كان أصل اللفظ آرامي قفايثا من اليونانية قَفَلَيِس قَفَلِدوس (وهو تصغير قفلى إمالة ــ بمعنى رأس) بمعنى مؤخرة الرأس[٧]، وفي الآرامية ألفاظ عدة تشتق من قفلى إمالة اليونانية ، ويجد المرءُ واحداً منها في الحبشية كفل = رأس ، وفي بعض اللهجات السريانية العربية : قَفَّل الشجرة أي قطع رأسها . غير أن ما يهمنا في هذا السياق هو اللفظ السرياني قَفَلِيون ، من اليونانية قِفَلَيُون ، ومعناها مبلغ من المال . وقولهم في السريانية : بِكِفَليون من اليونانية ان قِفَلَيو بمعنى بالجملة ، وفي هذه الأخيرة يكمن أصل معنى قفلة في قولهم درهم قفلة ، وفي حالة النصب قفلة بمعنى جملة بالجملة بالكامل ، وفي اللغات الأوربية ألفاظ دخيلة تعبر عن مثل هذه المصطلحات أي مثل : جملة ، وبالجملة ، بكامله .

فدرهم قفلة يعني درهم جملة ، أي درهم كامل دون نقص[٨] ويشبه هذا المعنى ماقرره بيستن[٩]. حيث اعتبر [قوله تعالى]: ﴿دراهم معدودة﴾ من سورة ١٢ الآية ٢٠ ، مأخوذاً من التعبير اليوناني : ارتميا نمرسَمِتيا ، قارن أيضا التعابير المشابهة مثل دينار عدد ، عين معدد[١٠]، فقد كانت النقود المعدودة توزن أيضاً (راجع المصدر السابق نفسه).

وقد ورد في «اللسان» وغيره (أنظر أعلاه): درهم قفلة أي وازن .

أما قيمة درهم واحد قفلة فيمكن أن يستنتج ذالك بالتقريب من خلال إشارة للهمداني في «صفة جزيرة العرب» ص ١٩٤[١١]: ويكون العسل هنالك ستة أرطال بالبغدادي وسبعة وثمانية بدرهم قفلة . وانظر أيضاً فيما يلي : دينار مطوق .

٢ ــ مطـوّق :

يذكر المُقدّسي في كتابه «أحسن التقاسيم» (تحقيق دي خويه ، ليدن ١٨٧٧ ٠٠٠) أن أهل مكة كانوا يستعملون الدنانير المطوقة ، ويشبهها بالدراهم اليمانية ، فهي كالمكية تقبض عداً . (انظر أعلاه : درهم قفلة)، ويساوي الدينار منها ثلثي مثقال . ويؤيد ذالك ماأورده الهمداني في «صفة جزيرة العرب» حيث قال : إن الدرهم المطوق يعادل الدرهم القفلة (ص ١١٤)[١٢] . وفي كتاب «الجوهرتين العتيقتين» أدق في تحديده للقيمة ، حيث يقول : المطوق ثلثا مثقال وحبتان والعشرة المطوقة وُقِيَّة وهي سبعة مثاقيل[١٣] . ومن المعلوم أن قيمة الدرهم إلى الدينار (المثقال) ثلثا مثقال بينما هي في الشريعة سبعة أعشار المثقال[١٤] .

ونعلم من كتاب العلوي نسبة القيمة بين الدينار المطوَّق والدرهم الفضة[١٥]، ففي عام ٢٩٢هـ الموافق ٩٠٥م كان الدينار المطوق يساوي $\frac{1}{6}$ ١٢٠ درهم أي عشرين درهما . وفي «الأعلاق النفيسة» لابن رستة (طبعة دي خويه ، ليدن ١٨٩٢) وهو معاصر تقريباً ، يذكر أنَّ الدينار المطوق يساوى ٦٠ إلى $\frac{1}{6}$ ١٠٠ الدرهم ، أي ١٠ ــ $\frac{2}{3}$ ١٦ من الدرهم ، ويروي الهمداني في «الجوهرتين[١٦] العتيقتين» أَنَّ ٢٠ درهماً قفلة من الفضة كان يعطي ديناراً مطوقاً . أما عندما انقطع معدن الرضراض سنة ٢٧٠/٨٣٣ فقد صارت الفضة بصنعاء إلى وقية بدينار مطوق ، أي عشرة دراهم فضة . وفي عام الحطمة (سنة القحط الشديد) سنة ٢٩٠/٩٠٣ عادت النسبة إلى دينار مطوق بعشرين درهم فضة . ويلحظ المرءُ مثلَ هذا التقلب في جداول جروهمان التي أوردها في كتابه السالف الذكر (ص ١٩٠ فما بعدها[١٧]). ويساوي الدينار المطوق ٢٤ درهماً مُزَبَّقاًعند المقدسي . ويذكر البيروني الزيبق (أو المزبق) إلى جانب الدينار المطوق)، «الجماهر في معرفة الجواهر» تحقيق كرينكوف ، حيدر آباد ١٣٥٥ صفحة ٢٣٠ ، الترجمة الروسية لبلينتسكي ، ولملاين ليننجراد ١٩٦٣ ص ٢١٦). ونقله المترجم بمعنى الدينار الزئبق أو المطلي أو المزيف ، وظن أن المطوق كما يفهم من السياق مأخوذ في معناه عن زيبق . على أن نص المقدسي ينبغي أن يقرأ (الدرهم) المزبق . أما معنى

مزبق هنا فلا أعرف غير أنه يصعب علي اعتبار اللفظ بمعنى مزأبق أو مزيبق ، إذ أنَّ هذا النوع من النقود مزيف حقاً مثلها مثل المكحلة (قارن سوفير رقم ١٥٣ ، وكتاب «الجوهرتين» ص ٢٣٩ ، وكذالك مرتكية في المصدر نفسه). أما المزبقة التي تساوي المطوقة الذهب فهي عملة متداولة . بل تعد المطوقة من أجود النقود الذهبية التي سكت في الدولة الإسلامية . ومع ذالك فلربما كانت صيغة اللفظ (مزبق) هي في الأصل صيغة اللفظ (مطوق) نفسها كما سيأتي ، ومن الجدير بالذكر أَنَّ أبا مخرمة ذكر المطوقة أيضاً (أَلَّفَ كتابه في نهاية القرن الخامس عشر الميلادي ، انظر : «تاريخ ثغر عدن» تأليف بامخرمة ، تحقيق لوفجرن ، أبسالا ١٩٥٠ ص ١٢٩).

لقد عُرِفَ منذُ زمن ليس بالقريب أن اسم المفعول مُطَوَّق مشتق من الفعل (طوق). فقد نقله سوفير إلى الفرنسية بمعنى مدور ، وترجمه دنلوب منذ عهد قريب فقال : يظهر أن معناه دينار بحلة أو طرف[١٨].

أما عن شكل الدينار المطوَّق فنفيد من مصدرَيْن أولاً : وصف الهمداني في كتاب «الجوهرتين» للنقود وصناعتها ، ولكن وصفَ الهمداني في ص ٢٣٤ تتعذر قراءته (في المخطوطة) مع الأسف : والطبع (على طوق على ثلثي طوق وعلى نصف طوق ، ماكان الدينار والدرهم أفسح من الطوق فحزَّ منه جميعاً ، وذو الثلثين ماوقعت حروفه في نصف الطوق فامتدَّ فصار تاماً ، وسمي المردود وذو النصف يكون قصيراً يأخذ حروفه أداني الطوق ، فإذا أمِدَّ في الحديد أخذ الطوق أكثر من نصفه إلى ثلثيه والمدوَّر حفرها). ويبدو أن الختم قد اتسع بغرض ضرب النقود ذات ثلثي الطوق ونصف الطوق ، ووفقاً لذالك فإنَّ مساحة سطح الدينار المطوق اتسعت بحيث صارت تقريباً بشكل الدنانير المعهودة ، رغم أنها أقلَّ وزناً منها بالثلث . ولهذا فإنه من الممكن أن يُفْهَم معنى المصطلح دينار مطوق كالآتي : دينارٌ محلًّى بطوق نتيجة الاتساع لدى الضرب .

وأخيراً نَوَدُّ أن ننقد النقود نفسها ، حيث نَعْرِضُ قائمةً للنقود اليمنية التي ضربت في الفترة بين (٢٢٢ ــ ٣٤٠) ونعرف من كتب النقود أوزانها وأقطارها .

وجميع هذه النقود ضُرِبَتْ في صنعاء باستثناء تلك التي ضربت في صعدة عام (٢٩٨):

السنة	القطر	الوزن	المصدر في كاتلوج النقود
٢٢٢	٢٢ مم	٣,٤٥ جرام	فهمي ٢٠٠٣
٢٢٤	١٩ مم	٣,٢٢٥ جرام	المصدر نفسه
٢٢٤	٢٠,٦ مم	٤,١٥٤ جرام	النقشبندي ١١٤١
٢٢٤	١٩,٤ مم	٣,٤٨ جرام	المصدر نفسه ب
٢٢٤	١٨,٥ مم	٣,٣٤ جرام	جي سي مايلز ، نقود اسلامية نادرة نيويورك ١٩٥٠ ، هوامش وأشكال ١١٨ ، ١٣٩
٢٢٨	١٩ مم	١,٨٧ جرام	فهمي ٢٠٤٧
٢٢٩	٢٠,٥ مم	٣,٤٨ جرام	مايلز ١٤٣
٢٣٧	١٩ مم	٣,١٧٥ جرام	ب م لين ــ بول ٩:٦٢، ٣١٧ ب
٢٣٨	٢٠ مم	٣,١٦ جرام	بولين ، نوتزل ١٤٦٢، مقصوص بشدة
٢٤٩	١٨ مم	٢,٨٧ جرام	ب ن لافوا ٩٧٣
٢٤٩	١٨ مم	٢,٩١ جرام	ب ن ٩٧٤
٢٥٦	١٧,٥ مم	٢,٩٥ جرام	برلين ١٥٢٧
٢٥٦	١٨ مم	٢,٩ جرام	ب ن ٩٩١
٢٥٧	٢٠ مم	٢,٩١ جرام	مايلز ١٥١
٢٥٩	٢٠ مم	٢,٩ جرام	المصدر نفسه ١٥٧
٢٦٥	٢٠ مم	٢,٩١٥ جرام	ب م ٩:٦٩، ٣٥٥ ك
٢٨٠	٢٠ مم	٢,٨٦ جرام	فهمي ٢٣٩٣
٢٨٣	١٨ مم	٢,٩ جرام	ب م ٣٧٨
٢٩٨	٢٠ مم	٢,٧٨٥ جرام	ب م ٣٦٠ ــ ٢٠٠

٢٩٨	٢١ مم	٢,٨٢ جرام	فهمي ٢٤٦٢ مقصوص
٢٩٨	٢١ مم	٢,٨٥ جرام	المصدر نفسه ٢٤٦٣
٢٩٩	٢٠ مم	٢,٨٢ جرام	مايلز ١٧٧
٣٠٤	١٧,٥ مم	١,٩٤٤ جرام	ب م ٩: ٧٥، ٤١١ ومايليه.
٣٠٦	١٧,٥ مم	٢,٩١ جرام	برلين ١٦٤٤
٣٠٧	١٨ مم	١,٩٥ جرام	ب م ٣٦٠ ــ ١٤٠
٣١٣	١٨ مم	١,٨٧٩ جرام	ب م ٣٦٠ ــ ١٤٥
٣١٤	١٨ مم	١,٩ جرام	ب ن ١١٢١
٣١٥	١٨ مم	١,٩٢ جرام	ب ن ١١٢٢
٣٣٥	١٨ مم	١,٨٧٩ جرام	ب م ٣٦٠ ــ ١٦٠
٣٣٨	١٨ مم	١,٨١٤ جرام	ب م ٣٦٠ ــ ١٦٣
٣٣٨	١٨ مم	١,٧٤٩ جرام	ب م ٣٦٠ ــ ١٦٤
٣٤٠	١٩ مم	١,٧٤٩ جرام	ب م ٣٦٠ ــ ١٦٧
٣٤٠	١٨ مم	١,٨١٤ جرام	ب م ٣٦٠ ــ ١٦٨

إن الوزن العادي للدينار (٤,٢٥ جرام) ولم يبلغ هذا الوزن أي من الدنانير المذكورة في القائمة من الفترة ٢٢٢ ــ ٢٣٨ ، بل إن معظمها تقلُّ عن ذالك كثيراً . وقد استعمل الدينار المطوق بين عامي ٢٣٨ و ٢٤٩ وكانت بوزن الدرهم ، أي (٢,٩٨ جرام). وبقي مقدار مساحته دون تغيير يذكر ــ وكان معدل تنقيص القطر (٠,٧٥ مم) وكانت النقود لاتنقص في وزنها عن الدرهم إلا قليلاً . وفي عام ٣٠٧ بدأت تَحلُّ الدنانير محل الدنانير المطوقة التي كانت تقل في وزنها عن جرامين وينقص قطرها ملمتر واحد . (في المتحف البريطاني وضعت النقود في الكاتلوج تحت عنوان «أنصاف الدنانير» ولكن النص على النقود هو : (ضرب هذا الدينار) وليس هذا النصف) ــ أما نقصان الوزن فلا يمكن الحكم عليه دون أن تفحص النقود نفسها ، فقد يكون بسبب الطَّرق الذي يُرِقُّها ، كما يفهم من الهمداني ، أو قد يكون بسبب تغيير العيار .

وأخيراً ينبغي ذكر ما أورده المقدسي من أن المُطَوَّقَة مساوية للعَشَرِيَّة «أحسن التقاسيم» ٩٩، قارن ابن حوقل BGA 2, 20 والنصَّان ترجمهما سوفير رقم ٩٠ ، فإن لوفجرن في دائرة المعارف الإسلامية مادة (عشر وكذالك النصوص العربية نفسها وثبت الألفاظ) ومبلغ العلم أن هناك دينارين عَشَرِيَّيْن فقط ، أحدهما من عام ٣٤٢ ووزنه ٢,٤٧ جرام (ب ن ١٢٦٨) والآخر من عام ٣٤٨ وقطره ١٦,٥ مم ووزنه ١,٣ جرام (ب م ٤٧٨) ولكن ذالك لايخرج عما ذكره المقدسي .

ولكن دي خويه اقتصر على القول أنه : DENARIUS MECCANUS وذالك في «معجم الألفاظ» لكتاب المقدسي (BGA 4:292) . ومعنى طوق عند LANE [أي في قاموسه] كل شيء يحيط بشيء آخر ، والطوق معروف كما قيل في المثل : كَبُرَ عَمْرٌو عن الطوق . أي لقد شبَّ عمرو ولم يعد يلبس طوقاً (راجع كتاب الجوهرتين ص ٢٠٢) . وزاد دوزي فقال : إن معناه حافة كأن يقال حافة الاسطرلاب ، حاشية قماش (دائرة المعارف الإسلامية ، مادة أسطرلاب) ويشتق من طوق صيغة الفعل طَوَّق ، ومعناه حلي بطوق . وفي كتاب «شذور العقود» للمقريزي (تحقيق تيكسن) TYCHSEN ، روستوك (١٧٩٧ ص : ١٥ ، وتحقيق الكرملي في النقود العربية ، القاهرة ١٩٣٩ ص ٣٦). وَرَدَ مايلي : وطوق الدرهم على وجهه بطوق ، وكتب في الطوق الواحد . . . أي أن طَوْق في النقود تعني إطار يكتب عليه . وهذا المعنى يتكرر في كتاب «الجوهرتين» ص ٢٢٥ ومابعدها و ص ٢٣١ ، ومازال يستعمل بهذا المعنى إلى اليوم مقابلاً للفظ مركز ومرادفاً للفظ هامش . راجع (ناصر محمود النقشبندي : الدينار الإسلامي في المتحف العراقي ــ الجزء الأول ــ بغداد ١٣٧٢/١٩٥٣ ص ٥٦ . وعبد الرحمن فهمي : «موسوعة النقود العربية» الجزء الأول ــ القاهرة : ١٩٦٥ عندما وصف النقود في الكاتلوج . وهذا يقودنا إلى السؤال : لماذا سُمِّي الدينار اليمني (المحلى بطوق) بالدينار المطوق؟ فالدنانير الأخرى يكتب عليها أيضاً؟ دعونا إذن ننظر في اشتقاق الكلمة وتطورها ، إذ يبدو أن لاعلاقة للفظ طوق بأيٍّ من الجذور العربية ، ومازالتْ صيغة فَعَّلَ تحمل المعنى المجازيَّ للفظة الأصلية كقولهم طَوَّقَهُ بالصعاب أو الثناء أو العِتَاب أو الطاقة . ويأتي من طوق بمعنى قوة من الفعل طوق وأطوق

(طاق ، أطاق) مامعناه أعطاه القوة أو مكنه ، والمطوق هو الممكن لعمل شيء . وقد جاء في كتاب «الجوهرتين» ص ٢١٩ مُطَوَّق بالنار مقابل صليب على النار ، وفي «الصفة» للهمداني ص ١٢٦ (تحقيق موللر ــ ي ٠ م) طائق / طاق اسم جبل . . . [؟ ــ ي ٠ م]

ويبدو أن الجذر طوق غير معروف في بقية اللغات السامية . وتقديري أن اللفظ صيغة مأخوذة عن الايرانية (طبق) من البهلوية «تابك» وهي في الفارسية الحديثة «تاب»[١٩] ومعناه في الأصل وعاءٌ مُدَوَّرٌ . قارن «تابيدن» يدور ويشبهُ إبْدَالَ الباءِ بالواو ، مانعرفه في لفظ كبكب > كوكب ، ويؤيد ذالك في السريانية طوقاً وطبقاً واللفظان في السريانية بمعنى واحد أي طبق .

وجاء في كتاب : GKOHMANN, EINFUEKUNG 183 أن (دينار) في اللغة القبطية أصله من اليونانية ومعناه : (بدائرة كاملة) ولهذا فان اللفظة الايرانية ربما كانت أيضاً نقلاً عن اليونانية .

٣ ــ سقوم :

حسب علمي أن اللفظ (سقوم) ورد في كتابين عربيين فقط . جاء في كتاب «الجوهرتين» ١٧٦ مايلي : الوزن يصحُّ على وجهين : إما برأسينِ وإمَّا بسقوم . . وأما السقوم فأن لا يكون المالُ مما ينقسم مثل القطعة الواحدة ، والدينار الواحد ، والدرهم الواحد ، والوجه في ذالك أن تعمدَ إلى تلك القطعة من المال فتصيرها في الكِفَّة اليُمنى وتجعل مثقالها في الكفة الثانية ماتشاء من أوزان أو حديد أو حجارة أو ملح أو غير ذالك من الرصاص والصُّفْر وما أمكن ، فإذا قام الملسن أو اعتدل عمود الشاهين ، واستوت ووقعت الكفتان منه أخرجت قطعة المال ونَظَرْتَ ما يقوم مقامه في الميزان من الأوزان المعروفة ، فما كان فهو وزنها بالصحة ، لأن قطعةَ المال تصير كأنها تلك الأوزان في كفتها ، والذي في الكفة الأخرى هو السقوم ، وبه شبهت رمانة القرسطون . . .

أما الكتاب الآخر الذي يرد فيه هذا اللفظ فهو «مقالة في الأوزان والمكاييل»

لإيلياء (إلياس بن سنايا) مطران نصيبين . وتوجد مخطوطات من هذا المؤلف في باريس BIBL. NAT. ARABE 206 BL. 164 B. - 184 B غير كاملة) و GOTHA (١٣٣١) والقاهرة (التيمورية، رياضة ٣٤١) وقد ترجم المخطوطة الباريسية هـ . سوفير إلى الفرنسية في مجلة GRAS. N.S. 9/1877, 293-311 وترجمة الفصول الناقصة في المخطوطة الباريسية عن مخطوطة GOTHA في مجلة GRAS. N.S. 12/1880, 110-125 جاء في مخطوطة باريس BL. 182a مايلي : (فإنْ كان السعر أقل من عشرة دراهم للدينار تركنا الكفة التي هي الرُّمانة على ذالك المقدار من العمود ، وجعلنا في الكفة اللطيفة التي في الطرف الأطول من السقوم ما يعتدل معه الكفة الكبيرة والعمود . ثم تَجعل الذهب في الكفة التي هي الرمانة وتضع في الكفة الكبيرة من الدراهم ما يستقيم معه الوزن ويوازي العمود للأفق) .

وفي BL, 183a جاء أيضاً ما يلي : (ثم أخرج الدراهم من الكفة واعزلها واجعل الكفة التي هي الرمانة من العمود على علامة تمام مبلغ السعر ، وعَدِّلْها بالسقوم .) ويفهم معنى اللفظ من السياق ، فهو عند الهمداني الوزن الذي يكون في إحدى كفتي الميزان ويعادل تماماً الوزن الذي يكون في الكفة الأخرى من الذهب الموزون . وهو عند إيليا الوزن المقابل الذي يقوم به اعتدالُ الميزان ، أي الذهب الذي يوضع في كفة الميزان المتحركة ليستقيم معه الوزن ويوازي العمود للأفق لوضع عدد من كسر الدرهم على الِكفَّة المقابلة التي يجعل فيها السقوم .

ويبدو من قراءة حروف اللفظ المصوتة أنه لا لبس فيه ولا غموض . على أننا نجد في مخطوطة الهمداني (أبسالا رقم ٥٥١ ، كاتلوج تستر شتين ٢٠٤) أن اللفظ قد ورد مرتين بحروف مهملة سموم وثلاث مرات بأعجام القاف (سقوم). وفي مخطوطة إيليا جاء في المرتين السّقوم . ولي عود للحديث عن الضبط بالحركات ، إذْ أَنَّ قراءة اللفظ برفع السين ممكنة من حيث المبدأ . سَقِم وسَقُم ، والمصدر سَقْم وسُقْم وسقامة وسقام ، تعني في العربية مرض (انظر قاموس لاين و«اللسان») وليس في مصادر الفعل سَقوم . وفي (دوزي) سَقوم يعني جُمِّيز . وهو في (لاين) سوقم وفي ثبت لاندرج للهجة دثينة : سُقُم .

أي أن لفظتنا هذه يبدو وكأنها غير عربية . ولما كانت مصطلحات الأوزان إجمالاً تؤخذ عن اليونانية فإنه من الممكن افتراض أنَّ سقوم لفظ دخيل أُخِذ عن اليونانية وفعلاً يبرز لنا دون عناء لفظ يوناني (سكوما) ومعناه الوزن المعاير ، الوزن المقابل ، ويرد اللفظ في السريانية (سقوما بمعنى مقياس ، ويشتق منه الفعل (سقم) بمعنى قاس . وللفعل نفسه في اللغة المندائية (الصابئة) معنى آخر هو يوفي يتمم . ويتوقع المرء أن يصاغ من اللفظ اليوناني (سكوما) الصيغة العربية (ساقوم) وينبغي أن اللفظ سقوم أصله ساقوم ، وكان سوفير قد اعتبرها جَمْعاً سُقُوم ومفردها سَقْم ، ونقلها إلى الفرنسية بمعنى (أوزان صغيرة[٢٠]).

وكذالك وضع مثله ث . إبل في رسالته : «الميزان في العصور القديمة والوسطى» ، ارلنجن ١٩٠٨ ص ١٠٢ حيث ذكر أن معناها (قطع وزن صغيرة) إلا أن قول الهمداني: هو السقوم وبه شبهت رمانة القرسطون، يدل على أن اللفظ مفرد وليس جمعاً .

وخلافاً للسريانية يبدُو أنه لم يُشْتَقَّ فعل من سقوم . كما أني لا أعرف الفعل سقم في العربية (في مايخص الفعل سقم في الدارجة انظر أدناه).

ويمكن أن يشتق المصدر (سقوم) من الفعل (سقم) ويكون في هذه الحالة فعلاً مزيداً من قام[٢١] ويؤدي معنى فعل التعدية (أقام) (مثل أقام وزنه) أي وزنه . انظر كتاب «الجوهرتين» ص ١٦٦ وما بعده ، ويتشابه أيضاً الفعلان استقام من سقم واستقام من قام ، وتعتبر بعض المزيدات بالسين هي في الأصل من صيغة استفعل[٢٢].

وتسمى عملية الوزن بالسقوم تقسيم (انظر كتاب «الجوهرتين» ١٦٩ ، ١٧٦ ــ ويتبادر إلى الذهن أنه اشتق من سقوم المصدر تسقيم من الفعل المشدد سقَّم (كما جرى في السريانية) وهذا المصدر يستعمل عادة في تسمية الأعمال التقنية والفعل سقم موجود في اللهجة المغربية ، وفي اللغة سقم تعني نظَّم ومسقم تعني صحيح مستقيم[٢٣]. ويكون اسم العمل من سقم تسقيم . وإذا ما اعتد المرء أن

قلبا حدث في اللفظ فإن اللفظ (تقسيم) يبدو أقرب وأسهل ، علماً بأن معناه قد يوافق أيضاً المعنى في هذه الحالة .

٤ ــ الزرسيـم :

يرد في كتاب «الجوهرتين» لفظ لم يفهمه الناسخ فكان أن رسمه في مواضع عدة بأشكال مختلفة : ررسّم وررسّم ودرسم ودرسّتم .

وينبغي أن يُقْرَأَ اللفظ زرسيم ، فهو يتألف من كلمتين فارسيتين (زر) ومعناها ذهب و(سيم) ومعناها فضة . ونجد مثل هذا التركيب المزجي في السريانية ولكن يقصد به عادة الأول فيه .

ويتحدّد اللفظ قراءة واشتقاقاً من معرفة معناه . فإذا ما أراد المرء استخلاص المعدن النفيس من خام الذهب ــ الفضة ، يعمد إلى التلغيم بالزئبق . وإذا ما سخن المُلَغَّم هذا يقطرُ الزئبق ويتبقى خليط من الذهب والفضة ، ويسمى الهمداني ذالك بفضة الزرسيم ، وكذالك يحصل المرء على الزرسيم عن طريق عملية (الفصل) بالكبريت (كتاب «الجوهرتين» المقدمة ص ٢٨ ، ٣٠ = ٤٠ ، ٣٢ طبعة ثانية). والزرسيم يقاوم النارَ ، ولكنه يَلِيْنُ تحتَ مطرقة الصائغ ، فالأساور والحجول التي تصنع من الزرسيم لاتعمر كثيراً بسبب ليونتها . أما الزرسيم الذهبية (الزرسيم مؤنث) فله درجة انصهار أعلى من فضة المعدن (الخام) ولا يحتاج المرء إلى أَنْ يُجَرِّبَهُ فهو يتنظف خلال عملية الفصل بالكبريت وينتج في الأصل عن فضة خالصة .

على أنني لم أعثر على هذا اللفظ في أيِّ نص عربي آخر . فهو عند ابن بعرة سرسيم في كتابه «كشف الأسرار العلمية بدار الضرب المصرية» نشرة عبد الرحمن فهمي في القاهرة ١٣٨٥/١٩٦٦ ــ ص : ث ٥٣ ــ وهو عنده نتيجة لعملية الفصل بالملح . ولعل خليط الفضة هذا هو ماعناه ابن بعرة بقوله (فضة ذهبية). الفضة التي تأتي من الذهب وتعود إليه . وإذا مابقي في معدنه فإنه حسب نظريته ليس إلا ذهباً غير ناضج (ابن بعرة ص ٥٤).

ولكن الإبْدَالَ بين الزاي والسين لا يحول دون تبين كل من اللفظين إذْ أنَّ مثل هذا الإبدال شائع في اللغة العربية . ونجد في كتاب «الجوهرتين» نفسه مثالين على ذالك . زحق (في ص ١٨٤) = سحق (في ص ٢٠٨ و ٢١٢) والمعنى (دَقَّهُ حتى صار ذرات) والتزاق (في ص ١٣٤) = التصق (راجع المصدر نفسه[٢٤]).

ويزعم ايرين كروتيز في تحليله لكتاب ابن بعرة[٢٥]، وفي صفحة ٤٢٨ ، أن سرسيم (هكذا يقرأها) مصحفة من سر السيم أي جوهر الذهب أو لُبُّه ، واستشهد بما أورده ابن سيده في كتاب «المخصص» ٢٢/١٢ : سيم تعني ذهب . ومبلغ العلم أن ماأورده ابن سيده هو لفظ سِيَم جمع سامَةٍ وليس اللفظ سِيْم .

الحواشي :

١ ـ نشر هذا المقال بعنوان بعض المصطلحات العربية في المعايير والأوزان في مجلة ORIENTALIA SUECANA VOL. XVIII, UPPSALA (1970) .

٢ ـ نشر منقحاً في طبعته الثانية ضمن منشورات مشروع الكتاب ، بوزارة الاعلام والثقافة في الجمهورية العربية اليمنية ، صنعاء ، باشراف د. يوسف محمد عبدالله (١٩٨٥) وسيكون المعول على هذه الطبعة في الاحالات الواردة في المقال ـ المترجم ـ .

٣ ـ مابين معقوفين من زيادة المترجم .

٤ ـ في الطبعة المنقحة : ماينقص : في كل مئة درهم قفلة درهم ، انظر ص(١٦٣).

٥ ـ - H.L. FLEISCHER KLEIMERE SCHRIFTEN 2:1, LEIPZIG 1888, 44FF).
- FI GROHMAMM (SUDARABIEN ALS WIRTSCHAFLSGEBEIT, I, WIEN, 1922, 201 FUSSN. 1.
- SIFAT AL ARAB, HOSG. VAN D. H. MULLE, LEIDEN 1884, 1:194.

٦ ـ انظر اللسان وراجع الصيغة في (BROCHELMANN, GRUMDAIS I: 352)
(J. LEVY, NEUHEBR. UNEL CHALD. WORTERBUCH)

٨ ـ وقريب مما يرمي إليه الكاتب مايقال عادة في سجلات العقود والبيع والشراء : اشتراه بثمن قدره خمسون ريالاً حجراً أو صحيحاً . وقد لفت انتباهي الأخ المقدم علي المؤيد إلى أن اللفظ مستعمل في كتب الفقه ولا يزال يستعمل في أسواق الذهب بصنعاء إلى اليوم وفي الحالين يدل اللفظ على معيار وزن وليس مايراه الكاتب .

٩ ـ ARABIC AND ISLAMIC STUDIES IN HONOR OF H.A.R. GIBB, LEIDEN, 1965, 103).

١٠ ـ GROHMANN, EINFUHRUNG UND CHRESTOMATHIE ZUR ARABISCHER PAPYRUSKURDE, 1, PRAHA 1952, 187.

١١ ـ هذا في طبعة ليدن ، وفي طبعة دار اليمامة ص ٣٥٠ . ←

من أعلام الدعوة الاصلاحية السلفية :

الشيخ محمد بن أحمد الحفظي
(١١٧٦/ ١٢٣٧ هـ)

محمد بن أحمد الحفظي :

نسبه : هو محمد بن أحمد بن عبدالقادر [الحفظي][١] بن بكري[٢]، يتصل نسبه بالشيخ العلامة . . . المشهور في البراري والبحور أبي العباس أحمد بن موسى بن علي بن عمر بن عُجَيْل[٣]، كانت أسرته تسكن بيت الفقيه بتهامة اليمن ، ثم نزحت (إلى قرية رُجال البلدة المعروفة في بلاد رجال ألمع)[٤]، (سنة واحدة بعد الألف)[٥].

---

١٢ ـ هذا في طبعة ليدن ، وفي طبعة دار اليمامة ص ٣٥٠ .

١٣ ـ كتاب «الجوهرتين العتيقتين» طبعة مشروع الكتاب ص ١٢٧ .

١٤ ـ (W. HINZ, ISLAMISCHE MASSE UND GEWICHTE, LEIDEN 1955, HO ERG. BD. 1: 1,1).

١٥ ـ (GALS 1:230, SIRAT IL. HADI), (VAN ARENDONK, DE OPKORNST VAN HET, ZRIDIETISCHE IMAMART IN YEMEN, LEIDEN 1919, 215 FUSSN. 10).

١٦ ـ المصدر نفسه ص ١٢٧ .

١٧ ـ مصدر سابق .

١٨ ـ الهامش رقم ٣ في STUDIA ISLAMICA 8/1957).

١٩ ـ راجع : (P. HORN, GRUNDIS NR 372, H. HUEBSCHMANN, PERSISCHE STUDIEN 46)

٢٠ ـ GRAS 9/1877, 311

٢١ ـ يتعدى الفعل في اللغات العربية القديمة (السامية) إما بزيادة الألف أو الهاء أو السين كقولك : أُحدث وهَحَدث وسَحدث .

٢٢ ـ راجع BROCKELMANN, GRUNDRIS 1:522.

٢٣ ـ راجع M. BEAUSSIER, DIET. PRATIGUE ARABE - FRANC, AIS, ALGER, 1887 .

٢٤ ـ وانظر أيضاً /لزق /لسق/ لصق A. FISSHER IN WZKM 29: 433FF. وهناك أمثلة عديدة في BROCKELMANN, GRUNDRIS 1:156, H. FLEISCH, TRAITE, DE PHILOLOGIE ARABE 1:80, LANDBERG, GLOSSIARE DATINOIS 401, 1815, 1833 LANE سندوق /زندوق /صندوق .

٢٥ ـ BSOAS 15/1953, 423-447.

مولده : ولد سنة ١١٧٦هـ/١٧٦٢م[٦]، وقيل سنة ١١٧٨هـ/ ١٧٦٤م[٧] على اختلاف فيهما[٨]، ومع ذالك يمكن أن تُعَدَّ سنة ١١٧٦هـ هي السنة الحقيقية لمولد هذا العالم ، لأنه تمَّ العثور على ورقة خطية تدل على مولده وأن أباه أحمد بن عبدالقادر الحفظي[٩] قد أرخ له فيها بسنة ١١٧٦هـ ، إذ قال: (ولد الولدِ المبارك محمد بن أحمد بن بكري . . . ليلة الأربعاء لأربع وعشرين خلون من ربيع الأول سنة ست وسبعين ومائة وألف)[١٠].

تعليمه: طلب العلم في صغره على يد والده أحمد بن عبدالقادر الحفظي[١١]، ثم ارتحل في سبيله إلى: صَبْيا ، والقنفذة ، والرجيع ، وزَبِيد ، وحضرموت[١٢] ، وقد لبث في رحلته العلمية عشر سنوات[١٣] ، (قضاها في الدرس والتحصيل العلمي)[١٤].

أعماله: اشغل بعد عودته إلى وطنه بالتعليم[١٥]، إذْ (أسس هو وأخوه إبراهيم بن أحمد الحفظي الزمزي مدرستين في قريتي: رُجَال وعثالف)[١٦]، وقد تولَّى من بعد ذالك القضاء في بلاد عسير ، وكان ــ كما قال زبارة ــ : (المرجع لأهل جِهَته)[١٧] .

شعره : يُعَدُّ محمد بن أحمد الحفظي من أبرز شعراء رجال ألمع ، إذْ حفلت مصادر الفكر والأدب لتلك المنطقة بشيء من نتاجه الشعري . وكان كثير المشاركة بشعره في قضايا مجتمعه ، وأحداثه السياسية ، فقد ناصر حينذاك دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب[١٨] (١١١٥ ــ ١٢٠٦هـ) ، وأيد القائمين عليها، وله في الدعوة إليها قصيدة، طالعها :

هَامَ الشَّجِيُّ وهَاجَ شَوْقُ المُمتلى وَبَدَتْ صَبَابَاتُ ٱلْغَرامِ الأَوَّلِ[١٩]

وكان كثير التأييد للقائمين على تلك الدعوة من أئمة آل سعود الأوائل، مثل: الإمام سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود[٢٠] (١١٦٥ ــ ١٢٢٩هـ) الذي قال فيه :

وَهَـذَا سُعُـودُ ذُو السَّعَـادةِ سَـاعِيـاً يُجَـاهِـدُ لَمْ يَـرْدَعْـهُ بَـادٍ وحَـاضِرُ

يَبِيْتُ يُجَافِي جَنْبَهُ عَنْ فِرَاشِهِ عَلَى صَهَوَاتِ الصَّافِنَاتِ يُغَامِرُ
ودانتْ لَهُ الأَعْرَابُ بَعْدَ جَفَائِهَا ودَالتْ عَلَى الأَمْصَارِ مِنْهُ عَسَاكِرُ
وطَهَّرَ سَاحَاتِ المحجَّةِ بَعْدَمَا عَرَاهَا الأَذَى وَهْيَ الطُّهُورُ الطواهر[٢١]

مؤلفاته : له عدد من المؤلفات المختلفة ، أهمها: «تكملة الظل الممدود في الحوادث والوقائع في عهد آل سعود»[٢٢] و«اللجام المكين والزمام المتين»[٢٣] و«ذوق الطلاب في علم الإعراب»[٢٤] و«درجات الصاعدين إلى مقامات الموحدين»[٢٥] و«النفحات العنبرية في الخطب المنبرية»[٢٦]، وغيرها (من الرسائل والأجوبة المفيدة)[٢٧] .

وفاته : توفي ــ رحمه الله ــ سنة سبع وثلاثين ومائتين وألف من الهجرة بقرية رُجَال[٢٨] من أعمال تهامة عسير ، وقد رثاه عدد من الشعراء[٢٩].

توثيق رسالتيه الآتيتين ووصفهما :

أولاً : توثيقهما: عُرف محمد بن أحمد الحفظي بِتأييده لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ونصرته للقائمين عليها، فقد اعتاد مكاتبة الإمام سعود بن عبدالعزيز وأبيه وولده عبدالله بن سعود ، خلال الثلث الأول من القرن الثالث عشر الهجري ، وذالك قد يُطَمْئِنُ إلى وجود شيء من تلك الرسائل الإخوانية المخطوطة التي تم تبادلها بين الحفظي وولاة الأمر السعوديين ، ولقد حفلَ كتاب: «أثر دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في الفكر والأدب بجنوبي الجزيرة العربية»[٣٠] بشيء من تلك الآثار الأدبية التي تبين مدى ارتباط أولئك العلماء بأمراء الدولة السعودية في نَجْد .

ولعل مما يؤكد هذا القول ، ويثبت نسبة هاتين الرسالتين لمحمد بن أحمد الحفظي قول مفهرس كتب آل الحفظي الموقوفة[٣١]: (ثم رسالة الوالد محمد[٣٢] إلى سعود[٣٣]) ، هذا إلى جانب ماورد في رسالة الحفظي نفسه إلى الإمام سعود، إذ قال: (سبق إليكم كتب صحبة الإخوان: رشيد، ومسفر)[٣٤]، وهذا كله يزيد في صحة نسبة هاتين الرسالتين للحفظي .

ثانياً: وصفهما: يوجد أصل رسالة الحفظي إلى الإمام سعود بن عبدالعزيز لدى المحقق، كما توجد صورة خطية لديه أيضاً من رسالة الحفظي إلى الأمير عبدالله ابن سعود ، وهذا يشير إلى أن الاعتماد في تحقيق هاتين الرسالتين يتمثل في أصل الرسالة الأولى ، وصورة الثانية ، وهما متشابهتان في رسم الحروف، وطريقة الكتابة ، إلى جانب تماثلهما في أسلوب التعبير، لولا اختلاف المقام بين الإمام سعود، وولده الأمير عبدالله ، فالحق أن الحفظيَّ قد راعى هذا الجانب عند مخاطبتهما .

وتقع الرسالة الأولى في ١٩ سطراً ، في كل سطر ١٥ كلمة تقريباً ، وكانت مكتوبة بخط نسخي معتاد ، كما أنها تامة في كلماتها غير ناقصة فيها، وغير مسهبة في مضمونها، ولكنها لم تؤرخ ، ولم تختم بخاتم مرسلها، وإنما هي بالفعل مكتوبة بخط الحفظي نفسه ، نظراً لتشابه خطها بخطوط مؤلفات مرسلها ورسائله الأخرى .

أما الرسالة الثانية فتقع في ٢٣ سطراً ، في كل سطر ١٧ كلمة تقريباً ، ولم تسلم هذه الرسالة من التلف ، وبخاصة في آخرها ، إذْ طُمِسَتْ بعضُ كلماتها ، وكانت غير مؤرخة وغير مختومة بخاتم مرسلها ، ولكنها مكتوبة بخط نسخي معتاد، وتشبه إلى حد كبير الرسالة الأولى في طريقة الكتابة ورسم الحروف ، بالإضافة إلى أنها تضمنت معلومات مهمة لم ترد في الرسالة الأولى، وقد أفاد كاتبها من حاشيتها حيث كتب فيها بعض العبارات، نظراً لسعة مضمونها .

أولاً : رسالته إلى الإمام سعود بن عبدالعزيز بن محمد (١١٦٥ ــ ١٢٢٩هـ):

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن أحمد الحفظي[٣٥] إلى الأخ الإمام أمير المسلمين سعود بن عبدالعزيز[٣٦] حرس الله مهجته ، وأدام بهجته ، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد: حمد الله على نعمته الإسلام ، وصلى الله وسلم على سيد الأنام، وآله وصحبه الكرام .

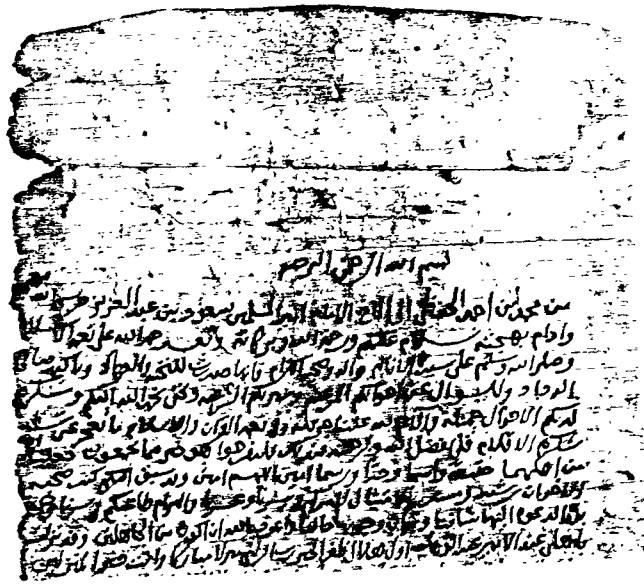

من رسالة الحفظي إلى الإمام سعود بن عبدالعزيز

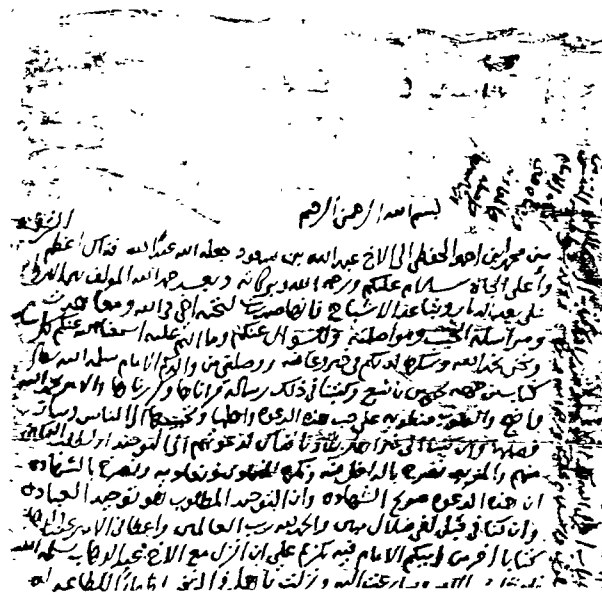

من رسالة الحفظي إلى الأمير عبدالله بن سعود .

فأنَّها صدرت للتحية والعهاد ، وتأكيد صافي الوداد ، وللسؤال[٣٧] عن أحوالكم المرعية، وسيرتكم الشرعية، ونحن نحمد الله إليكم ونشكره[٣٨] لديكم ، الأحوال جميلة ، وآلاء الله علينا جزيلة ، وفي نعمة القرآن[٣٩] والإسلام ما تعجز عن تسطير شكره الأقلام : ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾[٤٠]، جعلنا الله من أهلها حقيقةً واسماً وحداً ورسماً آمين ، اللهم آمين .

وقد سبق إليكم كتب[٤١] صحبة الإخوان رشيد[٤٢]، ومسفر[٤٣] بالامتثال لأمركم في يسرنا وعسرنا ، والتزام طاعتكم في سرِّنا وجهرنا ، بل الدعوة إليها شأننا، وبيان وجوبها حالنا ، وأعوذ بالله أن أكون من الجاهلين، وقد نزلتُ بأهلي عند الأمير عبدالوهاب[٤٤] أول هلال ظفر[٤٥] الخير: ﴿رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلاً مُبَارَكاً وأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾[٤٦].

وبعد الإذْعان باللسان والأركان ، أرجو[٤٧] من الله اللطف في القضاء ، والسلامة من القضاء[٤٨]. وقد خلفت أبي شيخاً كبيراً[٤٩] وأولادي صغيراً وكبيراً ، مع ضعف الحال عن السكنى في تلك المحال[٥٠]، لعظم ضررها على الحلال ، وهذا أمر يشق علينا جداً ، فارفق بنا جزاك الله خيراً ، ومثلك لا يحسن لديه التطويل ، لمعرفتكم بما دلت عليه السنة ، وندب إليه التنزيل .

فارحم يرحمك الله ، واغفر يغفر الله لك ، وجوابك مطلوب عجِّل به جزاك الله خيراً ، وسابقْ إلى الخيرات بجمع الشتات ، ووالدنا الشيخ أحمد[٥١] وإخواني وأولادي يسلمون عليكم ، وسلم لنا على أولادكم الفضلاء[٥٢]، وآل الشيخ النبلاء[٥٣] ولازلتم في حفظ الله وحمايته ، وحسن رعايته ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

ثانياً : رسالته إلى الأمير عبدالله بن سعود بن عبدالعزيز بن محمد :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن[٥٤] أحمد الحفظي إلى الأخ عبدالله بن سعود[٥٥] جعله الله عبداً

لله ، فذاك أعظم الشرف وأعلى الجاه ، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد: حمداً لله المؤلف[٥٦] بين الأرواح ، على بعد الديار ، وتباعد الأشباح :

فأنها صدرت لتحية أخي في الله ، ومعاهدته، ومراسلة[٥٧]الحبيب ومواصلته، وللسؤال عنكم ، وما أنتم عليه ، أسمعنا الله عنكم كل سارٍّ ، ونحن نحمد الله ونشكره[٥٨] لديكم في خير وعافية ، ووصلني من والدكم الإمام سلمه الله تعالى كتاب من جهة يحيي بن ناشع[٥٩]، وكتبنا في ذالك رسالة: قرأناها[٦٠] وكررناها والأمر بحمد الله واضح ، والقلوب منطوية على حب هذه الدعوة[٦١]، وأهلها، وتحبيبها إلى الناس، وبيان فضلها، وإن كتبنا إلى غير أهل بلادنا[٦٢] فذاك لدعوتهم إلى التوحيد ، أو لطلب التمكين منهم والمزيد ، نفرح بالداخل فيه ، ونكره المتمادي ونعاديه ، ونصرح بالشهادة أن هذه الدعوة صريح الشهادة ، وأن التوحيد المطلوب هو توحيد العبادة: وإن كنا ﴿مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾[٦٣]، والحمد لله رب العالمين .

وأعطاني الأمير عبدالوهاب[٦٤] كتاباً آخر من أبيكم الإمام فيه تلزيم عليَّ أن أنزل مع الأخ عبدالوهاب سلمه الله ، فامتثلت الأمر ، وسارعت إليه ، ونزلت بأهلي في الثغر ، اظهاراً للطاعة له والموالاة ، وإرغاماً لمن نابذه وعاداه ، ولكن أعلم ياأخي أن تلك البلاد غير مناسبة لنا ، بل يحصل منها ضرر نخشى منه الهلاك[٦٥] مع مفارقة الأهل والوطن ، ثم أبي شيخ كبير[٦٦]، وبِرُّهُ واجبٌ مقدم على الجهاد والنفير[٦٧]، ويلحقه بهذا ضرر بين ، وإلحاق الضرر به مني لأجل سفري عنه محرم إجْمَاعاً ، والأحاديث في فضل الرفق والشفقة كثيرة جداً ، وأنتم أهلها ومحلها ، وماجزاء مَنْ يُحِبُّ ألاَّ يُحب ، وأنتم أحبابنا وإخواننا ، وخيرتنا من أخلائنا[٦٨] ، ولم يحصل لنا منكم إلا الخير الكثير ، والحشمة والتوقير ، جزاكم الله خيراً آمين .

والحاصل إني أتوجه بك على أبيك أن يعاملني بالرفق ، وأن يَرُدَّني إلى وطني سالماً مسلماً ، فأنت تفضل اشفع لي عنده ، وادِّخِرْ هذا عند الله سبحانه ، وبالغ في هذا فإني . . .[٦٩] بصحبتك ، مغبوط بمحبتك ، وهذا أوان المنفعة مع طيبة

النفس ، وتفضل عليَّ بالجواب ، مقروناً بالبشارة بالعودة والإياب ، أجزل الله لك الثواب ، وصدر إليك كتاب إلى أبيك الإمام[٧٠] أيده الله ، وذالك بشرط طيبة النفس من أبيك الإمام ، ورضاه عني ، والمعاونة حاصلة إن شاء الله تعالى ، والجواب مطلوب ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

المصادر والمراجع :

أولاً : المخطوطات : ــ الحفظي ، عبدالرحمن بن محمد بن أحمد . «نسب الفقهاء آل عجيل» ، نسخة مخطوطة ، توجد لدى عبد الخالق بن سليمان الحفظي بأبها .

ــ الحفظي ، محمد بن أحمد . «مجموعة أشعار الحفظي» ، نسخة مخطوطة ، توجد في قسم المخطوطات بالمكتبة المركزية ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض ، تحت رقم ٢٣٣٤ .

ــ ابن سعود ، عبدالله . «رسالته الخطية التي بعثها إلى الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأولاده» توجد في مكتبة الحسن بن علي الحفظي الخاصة بأبها .

ــ عاكش ، الحسن بن أحمد . «عقود الدرر في تراجم علماء القرن الثالث عشر» نسخة مخطوطة ، توجد في قسم المخطوطات ، المكتبة المركزية بجامعة الملك سعود ، الرياض تحت رقم ١٣٣٤ .

ــ عاكش ، الحسن بن أحمد . «قمع المتجري على أولاد الشيخ بكري» ، نسخة مخطوطة توجد بمكتبة الحسن بن علي الحفظي أبها .

ــ مجهول ، بيان كتب آل الحفظي الموقوفة ، يوجد لدى عبدالخالق بن سليمان الحفظي في أبها .

ــ الورقة المخطوطة التي كتبت في تاريخ ولادة محمد بن أحمد الحفظي ، توجد لدى الباحث .

ثانياً : المطبوعات : ــ القرآن الكريم .

ــ ابن بشر ، عثمان . «عنوان المجد في تاريخ نجد» ، توزيع مكتبة الرياض الحديثة .

ــ البهكلي ، عبدالرحمن بن أحمد . «نفح العود في سيرة دولة الشريف حمود» ، تحقيق محمد أحمد العقيلي ، مطبوعات دارة الملك عبدالعزيز (٢٢) ، مط دار الهلال ، الرياض ١٤٠٢هـ/١٩٨٤م .

ــ جمعة ، إبراهيم . «الأطلس التاريخي للدولة السعودية ، من مطبوعات دارة الملك عبدالعزيز ، دار الكتاب المصري ، دار الكتاب اللبناني ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م .

ــ الحفظي ، محمد بن إبراهيم . «نفحات من عسير» ، مط عسير ، أبها ، ١٣٩٣هـ/١٩٧٤م .

ـ الحفظي، محمد بن أحمد. «اللجام المكين والزمام المتين»، تحقيق عبدالله أبو داهش، ط ١، مط مازن بأبها، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

ـ أبو داهش، عبدالله . «أثر دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في الفكر والأدب بجنوبي الجزيرة العربية» ، ط ١ ، مط الشريف الرياض ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

ـ أبو داهش، عبدالله . «الحياة الفكرية والأدبية بجنوبي البلاد السعودية» منشورات نادي أبها الأدبي، ط ٢ ، مط الجنوب ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

ـ ابن زبارة ، محمد محمد . «نيل الوطر من تراجم اليمن في القرن الثالث عشر» ، مط السبفية ، القاهرة، ١٣٤٨هـ/١٩٢٩م .

ـ ابن غنام ، حسين. «روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام، وتعداد غزوات ذوي الإسلام»، ط ١ ، مط مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، توزيع المكتبة الأهلية بالرياض ، ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م .

ثالثاً: الدوريات : ـ الحفظي، عبدالرحمن بن إبراهيم . «مؤلفات آل الحفظي»، مجلة العرب، ح ٣، س ٨ (رمضان ١٣٩٣هـ)، ص ٢٣٦ ـ ٢٣٨ .

الهوامش :

(١) هذا اللقب خاص بأحمد بن عبدالقادر بن بكري .

(٢) محمد بن أحمد الحفظي «اللجام المكين والزمام المتين» تحقيق عبدالله أبو داهش ، ص ٩ ونسبه بعد بكري يتصل بمحمد (بن مهدي بن موسى بن جفشم بن عجيل بن عيسى بن حسن بن محمد بن أسعد بن عبدالله بن أحمد بن موسى بن علي بن يوسف بن إبراهيم بن أبي العباس أحمد بن موسى بن علي بن عمر بن عجيل بن محمد بن حامد بن زرنوق بن وليد بن زكريا بن محمد بن حامد بن معزِّب بن عبيد بن محمد الفارس بن زايد بن ذؤال بن غالب بن عبدالله بن عك بن عدنان) الحسن بن أحمد عاكش «قمع المتجري»، ورقة ٥، ٦ .

(٣) الحسن بن أحمد بن عاكش «قمع المتجري» ورقة ٥ .

(٤) المصدر نفسه، ورقة ٢ .

(٥) «نسب الفقهاء آل عجيل» ورقة ١ .

(٦) ورقة خطية، توجد لدى المحقق.

(٧) محمد بن إبراهيم الحفظي: «نفحات من عسير» ص ٤٤ .

(٨) محمد بن أحمد الحفظي، كتابه السابق، ص ١١، ١٢ .

(٩) ولد سنة ١١٤٥هـ/١٧٣٧م بقرية رُجَال بتهامة عسير، طلب العلم على يد والده ، وعمه عبدالهادي، ثم هاجر في سبيله إلى زَبيد، ولما عاد إلى وطنه اشتهر بالتقوى والصلاح، فأقبل عليه طلبة العلم من أرجاء عسير، وبعض بلدان تهامة، توفي سنة ١٢٣٣هـ/١٨١٧م ، انظر عقود الدرر لعاكش، ونيل الوطر لزبارة .

(١٠) ورقة خطية، توجد لدى المحقق .

(١١) الحسن بن أحمد عاكش «عقود الدرر» ورقة ١٠٤ .

(١٢) محمد بن أحمد الحفظي، كتابه السابق، ص ١٣ .

(١٣) محمد بن إبراهيم الحفظي، كتابه السابق، ص ٤٤ .

(١٤) محمد بن أحمد الحفظي، كتابه السابق، ص ١٣ .

(١٥) الحسن بن أحمد عاكش، كتابه السابق، ورقة ١٠٤ .

(١٦) عبدالله أبو داهش، «الحياة الفكرية والأدبية بجنوبي البلاد السعودية، ص ٦٨، ٦٩ .

(١٧) نيل الوطر، ح ٢، ص ٢٢٥ .

(١٨) من بني تميم، أسرة آل مشرّف ، ولد سنة ١١١٥هـ/١٧٠٣م بالعُيَيْنة بنجد، وتلقى تعلميه فيها، إذ حفظ القرآن الكريم في وقت مبكر من عمره، وقد حَجَّ وهو في الثانية عشرة من عمره، ثم هاجر في سبيل العلم إلى: المدينة المنورة ، والأحساء ، والبصرة، وعاد من بعد ذالك إلى حريملاء ، إذْ أخذ يباشر دعوته الإصلاحية، ناصره أمير العينية في سنة ١١٥٥هـ/١٧٤٢م، حيث مال إلى دعوته، ولكنه لم يلبث أن تخلى عنه ، فهاجر إلى الدرعية سنة ١١٥٧هـ/١٧٤٤م، حيث ناصره أميرها حينذاك محمد بن سعود، وسعى في نشر هذه الدعوة والدفاع عنها، وظل هذا التأييد مستمراً في الأسرة السعودية بعد وفاة الإمام محمد بن سعود سنة ١١٧٩هـ/١٧٦٥م، ولقد أظهر الله هذه الدعوة ونفع بها الناس فانتشرت خارج الجزيرة العربية وداخلها، وقد توفي صاحبها سنة ١٢٠٦هـ/١٧٩١م، انظر تاريخ نجد لعثمان بن بشر، و«روضة الأفكار والأفهام» لحسين بن غنام .

(١٩) الحسن بن أحمد عاكش: «عقود الدرر» ورقة ١٠٥ .

(٢٠) ولد هذا الإمام سنة ١١٦٥هـ/١٧٥١م ، تلقى تعليمه على يد الشيخ محمد بن عبدالوهاب وغيره من مشايخ الدرعية، أولاه والده عبدالعزيز ثقته فباشر المعارك، وقاد السرايا منذ سنة ١١٨٢هـ/١٧٦٨م ، تولى الإمامة عام ١٢١٨هـ/١٨٠٣م ، توفى سنة ١٢٢٩هـ/١٨١٣م ، انظر «الأطلس التاريخي للدولة السعودية» لابراهيم جمعة ، ص ٦٤ .

(٢١) مجموعة أشعار الحفظي، ورقة ٤ .

(٢٢) توجد نسخة منه لدى محمد بن عبدالله آل زلفة .

(٢٣) حققه عبدالله أبو داهش سنة ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

(٢٤) حققه عبدالله أبو داهش سنة ١٤٠١هـ/١٩٨١م .

(٢٥) توجد منه نسخة خطية في المكتبة المركزية ، قسم المخطوطات ، جامعة الملك سعود .

(٢٦) عبدالرحمن بن إبراهيم الحفظي، «مؤلفات آل الحفظي»، مجلة العرب، ح ٣، س ٨، رمضان ١٣٩٣هـ، ص ٢٣٧ .

(٢٧) محمد بن أحمد الحفظي، كتابه السابق، ص ٢٥ .

(٢٨) من قرى رجال ألمع بتهامة عسير .

(٢٩) مثل: يحيي بن علي بن زغدين الزيلعي. انظر: «أثر دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في الفكر والأدب بجنوبي الجزيرة العربية» ، ص ٥٦١ .

(٣٠) للمحقق .

(٣١) يوجد هذا الفهرس لكتب آل الحفظي لدى عبدالخالق بن سليمان الحفظي بأبها .

(٣٢) محمد بن أحمد الحفظي (١١٧٦ ــ ١٢٣٧هـ) .

(٣٣) سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود (١١٦٥ ــ ١٢٢٩هـ) .

(٣٤) انظر الرسالة نفسها .

(٣٥) لقب أحمد بن عبدالقادر بن بكري .
(٣٦) انظر ترجمته في هامش ٢٠ .
(٣٧) في الأصل: (للسوال) .
(٣٨) في الأصل: (نسكره) .
(٣٩) في الأصل: (القرآن) .
(٤٠) الآية ٥٨ سورة يونس .
(٤١) رسائل .
(٤٢) لم أقف له على ترجمة فيما بين يدي من مصادر .
(٤٣) لعله الشيخ: مسفر بن عبدالرحمن الدوسري الحنبلي، انظر ترجمته في كتاب «أثر دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في الفكر والأدب بجنوبي الجزيرة العربية»، ص٩٨ ، ١٥٥ .
(٤٤) عبدالوهاب بن عامر المتحمي أمير عسير في الفترة: (١٢١٥ ــ ١٢٢٤هـ)، من أشهر أمراء عسير موالاة للدولة السعودية الأولى، وتأييداً لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب .
(٤٥) أراد شهر صفر .
(٤٦) من آية ٢٩ سورة المؤمنين .
(٤٧) في الأصل: (أرجوا).
(٤٨) كذا في الأصل.
(٤٩) أراد أباه أحمد بن عبد القادر الحفظي المولود سنة ١١٤٥هـ/١٧٣٧م .
(٥٠) لعله أراد عسير، وعلى وجه الخصوص بلدة طَبَب: بيت الإمارة ، ومعقل الدعاة العسيريين .
(٥١) أحمد عبد القادر الحفظي .
(٥٢) في الأصل: (الفضلا) .
(٥٣) في الأصل: (النبلا).
(٥٤) في الأصل: (ابن) .
(٥٥) تولى الإمارة بعد أبيه سنة ١٢٢٩هـ/١٨١٤م . وكانت البلاد عندئذ تموج بحملات محمد علي وأبنائه المتكررة ، إذ ظل الحرب سجالاً بينهم وبين أمراء الجزيرة العربية حتى سنة ١٢٣٣هـ/١٨١٧م تاريخ سقوط الدرعية ، وقد أسر هذا الأمير ، وأرسل إلى مصر ثم إلى الآستانة حيث قتل فيها ، وكان هذا الأمير على علاقة وطيدة بأمراء عسير، وعلماء رجال ألمع بتهامة ، ويدل على ذالك رسالته إلى الشيخ محمد بن عبدالهادي بن بكري أحد علماء هذه المنطقة المشهورين، ومنها :

(من عبدالله بن سعود إلى الأخ محمد بن عبدالهادي وأولاده سلمهم الله تعالى .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد : ــ

وصل الخط وصلكم الله رضوانه، وماذكرتوا من نصر الله للإسلام وأهله ، فإنه المحمود على ذالك . . . [والذي] نوصي به أنفسنا ونوصيكم به بتقوى الله وبالدعوة إلى الله ، قال تعالى: «ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين» ، فأنتم اجهدوا في حث الناس وأمرهم بما يصلح دينهم ودنياهم. و[أرجو] أن يستعملنا وإياكم في طاعته . . .) .
(٥٦) في الأصل: (المؤلف) .
(٥٧) في الأصل: (مراسلة) .
(٥٨) في الأصل: (نسكره) .

أديب أحسائي مغمور :

ـ ١ ـ

عبدالله بن المبارك بن بُشَيِّرٍ

هذا الأديب الذي سأتحدث عنه لم أَجِدْ له فيما بين يديَّ من المؤلفات التي تصدت للحديث عن علماء بلادنا وأدبائها وشعرائها أيَّ ذكرٍ ، بل لم أر اسمه مذكوراً في شيء منها ، مع أن له من المكانة العلمية ماليس لكثير من أدباء أهلِ عصره ، فقد ساجل أشهر شعراء اليمن ، وتصدَّى للرد على عالم ذالك القطر العلامة محمد بن علي الشوكاني ، مما دفع هذا العالم إلى أن يُؤَلِّفَ رسالة في الرد عليه ـ في مسألة علمية سيأتِي إيضاحُها ـ ويرجع الفضل في ذكر هذا الرجل وإبْرازِ جوانِبَ من أدبه وعلمه ـ يرجع لعالَمَيْنِ يَمَنِيَّيْنِ كانا معاصِرَيْنِ له .

أحدهما : لطف الله بن أحمد بن لطف الله جَحَّافٍ الصنعاني المولود في شعبان سنة ١١٨٩ والمتوفي فيها سنة ١٢٤٣ وهو من تلاميذ الإمام الشوكاني ، وقد ترجمه في كتابه «البدر الطالع» كما ترجمه السيد محمد محمد زَبَارَة وغيره من علماء اليمن .

---

(٥٩) قال عنه البهكلي في معرض حديثه عن عبدالوهاب بن عامر المتحمي : (وأمر عليهم يحيي بن ناشع أحد قواد قومه وفقهائهم وأهل الرأي فيهم) : «نفح العود في سيرة دولة الشريف حمود» ٢٠٧ .

(٦٠) في الأصل : (قراناها) .

(٦١) دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الإصلاحية .

(٦٢) يشير إلى : المخلاف السليماني، واليمن وغيرهما .

(٦٣) من آية ١٦٤ سورة آل عمران .

(٦٤) عبدالوهاب بن عامر المتحمي ، أمير عسير في هذه الفترة .

(٦٥) لعله أراد الظروف المناخية .

(٦٦) والده : أحمد بن عبد القادر الحفظي .

(٦٧) لعله هنا أراد حديث رسول الله ﷺ في هذا المعنى .

(٦٨) في الأصل : أخلابنا .

(٦٩) الكلمة هنا غير واضحة في الأصل .

(٧٠) يشير إلى الرسالة السابقة .

والعالم اليمني الثاني هو يحيى بن المطهر بن إسماعيل بن يحيى بن الحسين بن الإمام القاسم بن محمد الحسني الصنعاني المولود في جمادى الأولى سنة ١١٩٠ والمتوفي في شوال سنة ١٢٦٨ ، وهو ممن ترجمه الشوكاني وغيره .

أما لطف الله فقد اجتمع بعبدالله بن المبارك حين قدم إلى صنعاء في وفدٍ أرسله الإمام سعود إلى إمام صنعاء المنصور ، ونقل عنه في كتابه «درر نحور الحور العين» كثيراً من أخبار الدعوة السلفية ، وعن ترجمة الإمام الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، كما نقل عنه من أخبار ذكر أولاد الشيخ محمد مايدل على عُمْقِ مَعْرِفَةٍ بِهِمْ ــ انظر «العرب» س ٧ ص ٤٥ ــ فهو لما تكلم على الشيخ عبدالله بن الشيخ محمد قال: قال ابن المبارك فيما كتبه إليَّ عنه : هو رجل متضلع من حفظ متون الحديث وعقائد الناس ، وله مشاركة في علم اللغة والنحو والفقه ، وله أخ يسمى علي بن محمد بن عبدالوهاب وهو رجل عالم بتفسير كتاب الله تعالى ، يحفظ أقوال السلف ، وله مشاركة في علم الحديث والفقه والعقائد ، وهو أَشدُّهُمْ ورعاً وأقواهم في دينه ، ولهما أخ يسمى ابراهيم بن محمد بن عبدالوهاب هو رجل خرج من ديوان العلم إلى ديوان التجارة ، وله أموال عديدة ، ولا يخلو من مشاركة في العلم قليلة ، وله أخ يسمى حسين بن محمد بن عبدالوهاب رجل ضرير ، مُتَوَلٍّ للقضاء في ذالك المكان ، قرأ في الفقه والنحو وشارك في علم الحديث والتاريخ ، أربعتهم أخذوا عن أبيهم ولا أعلم لهم شيخاً غيره . إلى أن قال عن سليمان بن عبدالله بن محمد: قال ابن المبارك في آخر مكتوبه إليَّ: وبيني وبين سليمان صحبة متأكدة .

فكأن عبدالله بن المبارك كان يكاتب المؤرخ اليمنيَّ بأخبار الشيخ وأبنائه ، كما يفصل له أخبار آل سعود ، كما قال جحاف أيضاً: وكتب إليَّ ابن المبارك مفصلاً لأحوال أولاد عبدالعزيز ، فذكر سعود بن عبدالعزيز وقال: إنه ولد سنة ١١٦٣ ، ثم ذكر لي أولاد سعود فقال :

عبدالله بن سعود وهو أكبر أولاده وأعقلهم والمترشح للخلافة بعده ــ بهذا اللفظ ــ والغالب عليه محبة العلماءِ وأهلِ الصلاح .

ومنهم تركي بن سعود ، رجل لا يخلُو من ذكاءٍ ، وخفة ونظرٍ ، وجِدَّةٍ ، والغالب عليه محبته للشرف والرئاسة والأدب الجُمْلِي .

وذكر ولده مشاري ، وهو رجل يغلب عليه حبُّ الرماية بالبنادق ، وهو صالح في نفسه .

ومنهم فيصل بن سعود ، قال ابن المبارك : ولا أعلم من حاله شيئاً .

ومنهم ناصر بن سعود أبعدهم همة (أنف في السماء . . .) كثير الاصطناع للمعروف .

ومنهم ابراهيم بن سعود ، قال ابن المبارك : وهو قليلُ المخالطة للناس ، ولهم فيه رغبة لذالك .

ومنهم فهد بن سعود ، تخفى عليَّ كثيرٌ من أخلاقه إلا أنه يقال : إنه أحظاهم عند أبيه .

ومنهم سعد بن سعود ، وهو أجملهم خَلْقاً ، وأبهجهم منظراً ، وله همة بعيدة .

ومنهم عبدالرحمن ، قال : وهو صغير لايُدْرَى خيرُهُ من شَرِّهِ .

ومنهم عمر بن سعود : وهو كذالك إلا أنه حظيٌّ عند أبيه ، فهذا خبر ابن مبارك .

أما يحيى بن المطهر فقد أورد في ديوانه «الأسلاك اللؤلؤية والآداب اليحيوية» مساجلاتٍ شعرية بينه وبين ابن المبارك ، ونماذج من رسائل من إنشائه حين قدم صنعاء في الوفد الذي بعثه سعود إلى إمام صنعاء في ذالك الوقت سنة ١٢٢٢ ووصفه قائلاً : وعبدالله بن المبارك أعرفهم بالآلة ، وله ملكة في الأدب وهو المنشيءُ لما تقدم ، وأصله من الحساء .

ونقل عنه خبر استيلاء سعود على الأحساء ، وأَخْذِ بعض مشاهير البلاد معه إلى الدرعية ومنهم عبدالله بن المبارك هذا .

ومعروف أن استيلاء سعود المرة الأخيرة على الأحساء كان عام ١٢١٠ ، على ماأوضح ذالك ابن بشْرٍ وقبله ابن غنام ، ويذكر ابنُ بشر أن سعوداً أمسك رجالاً من رؤساء أهل الأحساء منهم علي بن حمد آل عمران ، ومبارك ، ومحمد العدساني ، القضاة ، ورجال كثير غيرهم ، وأسكنهم الدرعية . ولكن مباركاً ــ ورد في الطبعة الأولى من تاريخ ابن بشر مُحَرَّفاً (بريكان) ــ وهو الشيخ مبارك بن علي ، جَدُّ الأسرة المباركية المشهورة بالعلم والفضل إلى عهدنا هذا ــ انظر «العرب» س ٨ ص ٦٦٧ ومابعدها .

وما أرى صاحبنا عبدالله بن المبارك من أولئك الأعيان الذين أحضرهم سعود من الأحساء لإجبارهم على الإقامة في مدينة الدرعية ، ولكنني أرى أنه أُحْضِرَ للاستفادة من علمه وأدبه ــ كشيخه ابن غَنَّامٍ ــ وإلا كيف ساغ لسعود أن تبلغ ثقته به إلى أن يبعثه في الوفد الذي بعثه إلى صاحب صنعاء ، ويؤيد هذا أنه كان المتولي لإنْشاء الرسائل التي بعثها الوفد إلى رجال حكومة صنعاء إبَّانَ تلك الْوِفَادَة .

وَوَصْفُ المؤرخ اليمني السيد جحاف لابن المبارك حين تحدث عن الوفد بأنه من تلاميذ الشيخ حسين بن غنام يؤيد أن الرجل كان على جانب عظيم من العلم والمعرفة ، وأنه على مشرب شيخه ، وكذا قوله: نقله من الأحساء لمعرفته .

وهاهو ملخص ماذكر من أحواله ، قال في ذكر حوادث سنة ١٢٢٢ : وفي أواخر جمادى الآخرة وصل رُسُلُ مُتَوَلِّي نجد بلاد كوكبان ، واستقروا بحضرة شرف الدين فأكرمهم ، وفيهم رجلان من علمائهم ، أحدهما عبدالعزيز بن أحمد ابن ابراهيم بن عبد الوهاب ــ وساق نسبه وأثنى عليه بالعلم ، ووصفه بأن مادعى إليه ابن عبد الوهاب قد خالط عظامه ودمه ، وذكر أنه اعتنى بنسخ تفسير ابن كثير في صنعاء ، قال: والعالم الآخر هو عبدالله بن مبارك بن عبدالله بن حمد بن راشد بن بُشَيِّرٍ ــ مصغراً مشدَّد الياء التحتانية ــ لايتجاوز في عد نسبه بُشَيِّر ، وهو من بيت وزارة لملوك الأحساء ، ولي الوزارة لثلاثة من كبراء الأحساء ، لسعد بن عريعر ، ولعبد الله بن عبيد الله ، دخل هذا بلاد الهند فَجَابَها ، ورحل إلى ممالك الفرنج فتعلم هنالك صنايع عديدة كالصياغة والخياطة والإسكافة والبناء

وغيرها ، وكان شاعراً ودخل العراق ، فحظي عند ملوكها هذا وهو في الشباب ، ثم عاد إلى الأحساء ، وهي محل ولادته فوزر لمن ذكرنا ، وهم أَهْلُ بيتٍ مَدَنِيُّون ، رمى بهم الزمان من المدينة إلى الأحساء ، وكان هذا المترجم له ممن دخل تحت ولاية سعود عام أخذِهِ للأحساء ، فنقله عنها لمعرفته ، فإنه كما خبرناه له معرفةٌ تامَّةٌ بالتجويد والصرف ، وهو مالكيُّ المذهب ، عارفاً بمذهب مالك ، أتم المعرفة أديباً ظريفاً لطيفاً خفيفاً ، فيه رِقَّةُ أهلِ الحضر وسلاستهم ، مع رصانة وتُؤَدَةٍ وحذْقٍ باهر ، جهير الصوت ، طويل القامة ، بطيء الحركة ، كثير الصمت ، بعينه نُقْطَةُ بياضٍ من الجدري ، له يدٌ في الأدب طولى . وقال أيضاً : وقد أخذ ابن المبارك عن الحسين بن غنام علم الفقه والنحو ، وقليلاً في الحديث وعلم البيان ، وشيئاً من المنطق ، وعن عبدالوهاب بن غنام في «الرسالة» لابن أبي زيد في فقه مالك وفي «شرح الألفية» لابن هشام في النحو عن الحسين بن راجح في «تلخيص المفتاح» وفي «عقود الجمان في المعاني والبيان» وعن عثمان بن خضروه في «التصريح» لخالد بن أبي بكر الأزهري ، ولم ينقل لنا أحدٌ شيئاً من تراجم هاؤلاء المشايخ ، وأكبرهم شهرة الحسين بن غنام وهو الشيخ حسين بن أبي بكر بن عبدالله بن غنام . قال ابن المبارك : هذا النسب محفوظ عنه ، وهو إمام فاضل متضلع من علم الفقه ، يُؤْتَى بالمسألة الفقهية فيسرد فيها أقوالاً وتعليلات لا يتمكن الإنسان من نقلها ، برع في علم اللغة ونبغ في علم النحو ، وملك أَزِمَّةَ عِلْمِ الأصول والحديث ، وتصدَّر للإفتاء والتدريس وهو في ثلاث وعشرين سنة بالأحساء ، مولده عام اثنتين وخمسين بعد مئة وألف ، وله في الإنشاء يدٌ طُوْلَى ، وله القصيدة الطائية التي نقلها الناس .

وأما عبدالوهاب بن غنام فهو أخو الشيخ حسين ونسبه ظاهر ، متضلع من فقه مالك ، وأما الحسين بن أبي بكر بن محمد بن راجح فمتضلع من علم المعاني ، مشارك في النحو والفقه ، وأما ابن خَضْرَوَه فهو علي بن خضروه بن علي بن عثمان . قال ابن المبارك : وهذا النسب محفوظ عنه وهو أحسائي لايُجَارَى ولا يبارى في علم الفقه والنحو ، لَيْسَ إلَّا وهو في هذا العام قاضي الأحساء .

(للحديث صلة) **حمد الجاسر**

حول مقال:

المدارس الإسلامية في اليمن

[بعث إلى «العرب» أحد الاخوة من صنعاء هذا التعليق على المقال الذي نشرته العرب ـ ج ١ ، ٢ س ٢٢ ص٩٣ ـ للصديق العالم الجليل القاضي اسماعيل الأكوع .

وتنشر المجلة تعليق الدكتور سيف النصر إذ ذالك من حقه ليعرف القراء رأيه في الموضوع كما عرفوا رأي القاضي اسماعيل] .

إلى القاضي اسماعيل الأكوع :

فضيلة القاضي رئيس الهيئة العامة للآثار ودور الكتب حينما صدر بحثنا عن المدارس اليمنية تخطيطاتها وعناصرها المعمارية بمجلة «الإكليل» في عددها الأخير الصادر في خريف عام ١٩٨٥ ، علمت أن لكم عليه تعليقاً سينشر في مجلة «اليمن الجديد» وقد أسعدني هذا ، إذ أن من طبيعة البحث العلمي أن يكون موضع حوار يزيده ثراء ويضيف إليه رؤية جديدة أو يصحح ما وقع فيه الباحث من أخطاء وجل من لا يخطىء .

وتوقعت أنه سيثري هذا البحث بمزيد من علمكم وفضلكم ، وصدر عدد مايو ١٩٨٦ من مجلة «اليمن الجديد» وبه تعقيب على ماكتبته عن المدارس اليمنية ، وقرأت تعقيبكم آملاً أن أجد فيه من العلم والمعرفة والتوجيه ما يتناسب مع علمكم وقدركم وموقعكم ، وقد فوجئت بأن ماكتبتموه لا يمت إلى العلم أو النقد العلمي من قريب أو بعيد ، إنما هو حشد من السباب والألفاظ المتدنية التي لا أحسب أنها تتناسب مع علمكم فضلاً عن سنكم وموقعكم على رأس هيئة الآثار اليمنية .

وعذراً ياسيدي إذ لم أستخدم فيما أكتبه ما سبقتم إلى استخدامه من ألفاظ فمازلت أعتقد أننا في حوار علمي له أصوله وقواعده التي لا أظن أنكم تجهلونها ، بالإضافة إلى التزامي كأستاذ جامعي بالموضوعية وعفة القلم واللسان وهي أول ما

ألقنه لأبنائي من الدارسين من أصول وقواعد النقاش والحوار العلمي التي لا يجب أن نحيد عنها تحت كل الظروف .

فالعلم إن لم تكتنفه شمائل تعليه كان مطية الاخفاق وقبل أن أبدأ نقاشي لما أوردتموه حول بحثي من تعقيب (عذراً من شتائم وسباب تمس شخصي أكثر مما تتعلق بالبحث العلمي) أود أن أشير إلى نقطة غفلتم أو تغافلتم عنها وهي أنني مدرس للآثار الإسلامية بقسم الآثار بجامعة صنعاء ولست مدرساً للتاريخ الإسلامي بقسم التاريخ ، وليس في ظني أن تجاهلكم لقسم الآثار مما يضيره أو يسيء إليه ، فقد صار يافعاً تفخر به جامعة صنعاء رغم حداثته كما يثير حسد الحاسدين مما لا يعملون ولا يريدون أن يعمل غيرهم وصار متحفه معلماً من المعالم الحضارية لليمن ، وقد كان لي شرف المساهمة في إنشائه وبنائه وشرف تدريس مادة العمارة الإسلامية في اليمن وفي أنحاء العالم الإسلامي لكل خريجي هذا القسم منذ إنشائه حتى اليوم .

ولما كان قلمكم قد تجاوز حدود النقد العلمي العفيف والبريء عن الهوى فقد كشف عما في النفوس .

ولما كانت غرابة ماكتبتم مثار تساؤل ودهشة للكثيرين فإني أود أن أوضح للقراء بعضاً من الأحداث التي قد تسهم في تقديم تفسير ولابد لي أن أسجل واقعة جرت منذ خمس سنوات حينما بدأت عملي في جامعة صنعاء طلب مني أن أدرس مادة العمارة اليمنية في العصر الإسلامي ، ولما لم تكن هناك أبحاث منشورة أو حتى إشارة إلى العمارة اليمنية في الكتب والمراجع التي تتحدث عن العمارة في العالم الإسلامي ، فقد كان أول الحلول المطروحة هو أن ألجأ إلى هيئة الآثار اليمنية حتى أجد بها من المعلومات والمخططات أو الصور والشرائح ما يمكنني من أداء عملي وافادة طلابي من أبناء اليمن وكانت المقابلة الأولى لي مع فضيلتكم ، وقمت ومن صحبني من الطلاب بتوضيح الأمر لكم، وقد صدمتني إجابتكم القاطعة بأنه ليس لديكم أي شيء من أبحاث أو تخطيطات أو غيره مما يمكن أن أستعين به في مهمتي ولازلت أذكر إجابتكم بنصها: (الهيئة مازالت حديثة عمرها اثنى عشر عاماً

فقط !!! وليس لدينا ما يمكن أن نساعدكم به) .

وقد اضطررت إزاء ذلك إلى أن أطلب تأجيل مادة العمارة اليمنية في العصر الإسلامي إلى الفصل الدراسي الثاني حتى أتمكن من القيام بجولة في بعض أنحاء اليمن تمكنني من الالمام ببعض خصائص العمارة اليمنية . ودهشت بعد ذلك حين رأيت البعثات الأجنبية تلقى كل عون ومساعدة من الهيئة ، وعلمت أن كل جريرتي أني ولدت ببشرة سمراء ولسان عربي وأن المساعدات قاصرة على أصحاب البشرة البيضاء الصافية والشعور الصفراء والعيون الملونة ممن يتحدثون غير العربية ، وأدركت أنه خطأ لا يمكنني تداركه أو إصلاحه ورغم ثقتي بتبنيكم لهذا التوجه فقد كررت المحاولة مرات ومرات كتابة وشفاهة بلا جدوى .

وآخر هذه المحاولات طلب رسمي تقدمت به عن طريق القسم مدعماً برجاء من الجامعة لتصوير مخطوطة من كتاب مقامات الحريري محفوظة بمكتبة الجامع الكبير وهي مزوقة بالتصاوير من عمل مصور يمني صنعاني ، ورغم توضيحي لكم شفاهة وكتابة أننا ندرس لطلبة الآثار مدارس التصوير في كل أنحاء العالم الإسلامي شرقه وغربه عدا اليمن ، إذ أنه ليس لدينا أيَّة أمثلة لتصاوير أو مخطوطات يمنية مصورة ، ولم يرد في أي مرجع من المراجع المتخصصة إشارة إلى وجود تصوير في اليمن ، وربما كان هذا المخطوط هو المثال الوحيد الباقي . ويجب على الأقل أن يعرف أبناء اليمن من المتخصصين هذا الجانب من تراثهم ، فكان أن تفضلتم باصدار أوامركم الشريفة بالتشدد في عدم اطلاعنا أو أي من طلبة الآثار على هذه النسخة وهذا قليل من كثير . .

ونعود إلى مناقشة قائمة اتهاماتكم المغرضة والظالمة وأولها إتهام بالسطو العلمي على أبحاث بعثاتكم الأجنبية ، على مخططات موري ولوكوك وجيمس كونستاد ونشرها دون الإشارة إلى أصحابها والحقيقة انني لم أقصر في ذكر هؤلاء والإشارة إلى أني قد استعنت بمخططاتهم في بحثي كما تقضي بذلك الأمانة العلمية التي درجنا عليها . ولكنك تعلم أن علاقتنا بالمقالات والأبحاث تنقطع بعد تسليم الأصول حتى تنشر وخاصة أن مجلة «الإكليل» لاتطبع في اليمن مما يجعل الاطلاع

على البروفات أمر مستحيل وقد رأى القائمون على إعداد المجلة حذف ثلاث صفحات في نهاية البحث كانت تشتمل على قائمة المراجع والإشارة إلى أصحاب هذه المخططات ومازال بحوزتي نسخة من الأصل المخطوط لهذا البحث .

ورغم تباكيكم ياسيدي على القيم العلمية واتهامكم لنا سامحكم الله بالسطو على أعمال الغير فقد كنتم سباقين في هذا المضمار حيث أوردتم بسفركم الجليل المدارس الإسلامية في اليمن ــ مخططات لوكوك للمدرسة الأشرفية والمعتبية دونما أدنى إشارة إلى صاحبها . وقد زعمتم أنني سطوت على الدراسات الميدانية والصور الفوتوغرافية لأعمال لوكوك وركس سميث وغيرهم وكأني قابع في جامعة صنعاء منتظراً لما تفيض به عبقرية أصحابك لأسطو عليه بعد أن تضعه في خزائنك المغلقة ، ودعني أقول لفضيلتك أني لست في حاجة إلى ذلك فإن أي من أبناء قسم الآثار في جامعة صنعاء الذي أدرّس لهم وأرافقهم مرات في كل عام في دراسات ميدانية إلى الآثار الإسلامية في أنحاء اليمن كفيل بأن يقدم من الدراسة الميدانية والأثرية ما لا يقل في قيمته العلمية عن جهابذتك من الأجانب ياسيدي .

حتى الصور الفوتوغرافية تنكرها علينا لتشكك في حين أننا قد قمنا بدراسة ميدانية لتلك الآثار التي تحدثنا عنها في بحثنا ، ولا أظنك تنسى معرض الصور الذي يشارك به قسم الآثار في معرض الكتاب الدولي كل عام منذ خمس سنوات وكانت صور الآثار الإسلامية والقديمة لليمن التي عرضت به من عمل طلاب وأساتذة القسم ولنا فيها مشاركة إيجابية وقد نالت إعجاب السيد رئيس الجمهورية عند افتتاحه للمعرض وأشاد بها فكانت ومازالت مدعاة لفخرنا .

ودعني أقول لفضيلتكم أن ما أحنقكم علينا وأخرجكم عن متقضيات الوقار العلمي هو اجترائي على اقتحام موضوع تعتقد أنه قصر على علمكم الغزير لا يستطيع أحد الغوص فيه غيركم ، مما دفعكم إلى التلفيق وقلب الحقائق فادعيتم أني أخذت عن سفركم العظيم الذي هو المصدر الوحيد لهذا الموضوع دون الإشارة إليكم ولو دققتم النظر في الحواشي لوجدتم أني قد أثبت ذلك في الحواشي أرقام ١ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ .

ويبدو أن الجرم في نظركم أني قد أشرت إلى حقيقة علمية لا يستطيع أن ينكرها أحد وهي ان ما جاء بكتابكم المدارس الإسلامية من مقتطفات مأخوذة عن الوثيقة الغسانية وضعتموها كأوصاف لبعض المدارس الرسولية دون تعليق رغم أنها تزخر بالمصطلحات الفنية والألفاظ الغريبة التي تجعلها عسيرة الفهم على غير المتخصصين الدارسين مما يفقدها قيمتها . كما أنكم لم تتكرموا بالإشارة إلى مكان حفظ هذه الوثيقة ولا إلى ترتيب السطور ولا تاريخ هذه الوثيقة ، واكتفيتم بالإشارة إلى أنها من الوثيقة الغسانية رغم أن الوثيقة الغسانية سجل عام أو دفتر يضم عدداً كبيراً من وثائق الوقف (بصائر الوقف) من العصر الرسولي وحتى العصر العثماني ولكل بصيرة منها تسمية وتاريخ تقتضي الأمانة العلمية التعريف بها وتحديد الجزء المنشور بالسطر والكلمة مع شرح المصطلحات إذا كان الهدف هو الإفادة العلمية وليس مجرد التوشية والتزويق ــ إلى غير ذلك من الأصول العلمية للنشر الوثائقي ولكن من الواضح أنك تعتبر الوثيقة الغسانية والمسودة السنانية أحد الأسرار الخفية التي يجب أن تقتصر معرفتها عليكم أو تبيحون نشره منها بين الفينة والفينة بما لا يكشف عن سرها الدفين .

ولتسمح لي فضيلتكم أن أقول أن عهد المعرفة القائمة على الطقوس والكهانة العلمية قد ولى إلى غير رجعة ، وأن الثورة السبتمبرية قد هدمته ضمن ما هدمت من هياكل وقامت الجامعة صرحاً علمياً ليقضي على احتكار العلم لأسرة أو فئة خاصة يحيطونه بالأسرار ويخلطونه بالدجل والشعوذة .

وانه رغم حرصكم وتفانيكم في حجب كل العلوم والمعارف والمخطوطات والوثائق وتقارير البعثات الأجنبية وامساككم بكل الخيوط فإنه قد فات عليكم أن الزمن قد تغير .

إن وثيقة وقف المدرسة الأشرفية مثلاً التي تظن أنها أحد الأسرار الهامة قد درسها كل خريجي قسم الآثار كاملة يعرفون مكانها ويدركون مصطلحاتها ويعرفون كيف يمكنهم الاستفادة منها في دراسة الأثر ، كما يدركون ماوقع فيه غيرهم من أخطاء كما أنهم يتداولون كل المخططات التي تحرصون على عدم تسربها

ملاحظات على كتاب:

ـ ٥ ـ

الصحاح
تاج اللغة وصحاح العربية

٢٤٨ ـ ص ٥٣٥ : (ومراد أبو قبيلة من اليمن وهو مراد بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ).

الصحيح مراد بن مالك (بن أدد) بن زيد بن كهلان ، كما في «المعارف» ٤٧ ، و«الاشتقاق» ٣٩٨ ، و«نسب عدنان وقحطان» ٢٩ . وكلام الجوهري عن مراد منقول من «أدب الكاتب» ٨٢ ، وانظر تعليق ابن السيد في «الاقتضاب» ١٢٦ (بيروت ، ١٩٠)، وفي «الفصول والغايات» ٣٩٢ (القاهرة ، ١٩٧٧) (ومراد بن

حتى لا يفيد منها أحد منهم رغم أنهم ياسيدي هم الدماء الحارة التي سوف تدفع عن الهيئة سباتَها العميق ورغم أن مستقبل العمل الآثاري ومسئولية الحفاظ على التراث اليمني صائرة إليهم لا محالة .

ولا أنكر ياسيدي أنكم في محاولتكم للنيل منا وتسقطكم لبعض الأخطاء التاريخية قد أفدتمونا فبعض هذه الهفوات كنا قد تنبهنا إليها ونبهنا إليها أبناءنا من الطلاب قبل طبع المقالة ولم يكن هناك مجال لاصلاحها .

ولكن بعض الأخطاء كما تعلم ويعلم كل من يتعامل مع حرفة الكتابة تقع نتيجة للجمع المطبعي كأن يسقط اسم المدرسة التي جددها أحد السلاطين ويبقى التاريخ أو أن يتغير تاريخ من ٧٣٣ إلى ٨٢٢ أو العكس وهي أخطاء يمكن أن يدركها الجميع ويغتفروها ولكن عين البغض تبدي المساويء .

وختاماً أقول لفضيلتكم سامحكم الله على ما أسرفتم في حقنا وحق العلم .

د.: **محمد سيف النصر**

يحابر) وهذا غريب لأن مراداً هو يحابر عندهم .

٢٤٩ ــ ص ٥٣٦ : (المَعْدُ : الغَضُّ من البَقْل والثمر).

الصحيح : من البقل والتمر بالمثناة بدليل قول أبي الطيب في «الاتباع» ٨٨ (دمشق ، ١٩٦١): (ورطب ثعد معد) إلخ ، ومثله عند القالي ٢١٦/١ ، و«المخصص» ٣٦/١٤ .

وانظر مثل هذا التصحيف في «المنقوص والممدود» للفراء رقم ٢٩ (دار المعارف ١٩٦٧).

٢٥٠ ــ ص ٥٣٧ : (وقال آخر : نحن بني سُوَاءةَ بن عامر).

كَان في الأصل : (سؤالة)، فغيرها مصحح المطبوعة الأولى ٢٦٠ إلى (سواءة) لأن هذا هو الصواب «نسب عدنان وقحطان» ٢٣ الخ ، وتابعه المحقق كما أفاد في ذيل الصفحة ، وقد أخطآ جميعاً لأن الخطأ من الجوهري نفسه كما جاء في «التكملة» ٣٤٤/٢ ، فكان على المحقق أن يدع الخطأ كما هو بالأصل ويشير إلى صوابه في الهامش .

٢٥١ ــ ص ٥٣٩ : (قال الشاعر حُمَيد بن أبي شِحَاذٍ الضبّيّ).

قال المحقق في الحاشية : (وقيل خالد بن علقمة الدارمي).

قُلْتُ: خالد هذا شاعر إسلامي من بني عبدالله بن دارم ويعرف بابن الطيفان كذا في «الأغاني» ٣٤٠/١٢ ، ولكن البغدادي نص في «الخزانة» ٥٦٣/١ على أن المقصود خالد بن علقمة بن عبدة ، وهذا سعدي لادَارِمي كما توهم صاحب «اللسان» (وهو المصدر الذي أخذ منه المحقق هذا التعليق).

٢٥٢ ــ ص ٥٤٢ : أنشد الجوهري :

عَـاضَهَـا الله غُـلامـاً بَعْـدَمَـا شَـابَتِ الأصدَاغ والضِـرْسُ نَقِدْ

علق المحقق بأن قائل البيت هو : (الهذلي)، وهذا غير مفيد لأن الهذليين

كثير ، وإنما اقتصر المحقق على كلمة : (الهذلي) لأن صاحب «اللسان» اقتصر عليها ، والهذلي هذا هو صخر الغيّ «شرح أشعار الهذليين» ٥٤٤ وجاء البيت في شرح «بانت سعاد» لابن هشام ٥١/١ فعلق المحقق د. محمود حسن أبو ناجي : (القائل غير معروف) !

٢٥٣ ــ ص ٥٤٦ : (و(ودٌّ) صنم كان لقوم نُوحٍ عليه السلام ثم صار لكلابٍ).

الصواب ثم صار لكلب لا كلاب كذا في المراجع مثل «الأصنام» لابن الكلبي ١٠ (تحقيق أحمد زكي باشا).

٢٥٤ ــ ص ٥٤٧ : (والعامة تقول بَزْمَاوَرْدْ).

ضبط المحقق بزماورد بالفتح ، والصواب ضبطها بالضم والكسر كما في «الاصلاح» ١٦٧ .

٢٥٥ ــ ص ٥٥١ : (ولدة الرجل تِرْبُهُ . . وهما لِدَانِ).

الصواب : هما لدتان ، فالتثنية لا تحذف علامة التأنيث ، وانظر الأنباري ٦٩٧ .

٢٥٦ ــ ص ٥٥٤ : وأنشد الجوهري :

ما كان إلاَّ طَلَقُ الإهْمـادْ

ضبط المحقق الروي بالسكون ، وهذا خطأ . والصحيح أن رويه مكسور ، انظر «أضداد» يعقوب رقم ٣٠٧ (بيروت ، ١٩١٣)، و«الألفاظ» ٥١٢ ، وأضداد أبي حاتم (رقم ١٧٢) بيروت ، ١٩١٣)، ونوادر أبي زيد ١٤ . وانظر ملحقات ديوان رؤبة).

٢٥٦ ــ ص ٥٥٥ : (يقال غِنَاء مُهَوَّد).

ضبط المحقق (مهود) بالفتح ، والصحيح أن تضبط بالكسر كما جاء في مصدر

الجوهري وهو «غريب الحديث» ٢٨٦/٤ .

٢٥٧ ــ ص ٥٦٠ : أنشد الجوهري قول العباس بن مرداس :

إذْ ما أتَيْتَ على الأمير فقلْ له حَقاً عليك إذا اطْمَأن المَجْلِسُ

فعلق المحقق بحاشية نقلها بطولها من هامش المطبوعة الأولى ٢٧١ ، وخلاصتها أن الأمير تصحيف (الأمين). وهنا أمران ، أحدهما : أن البيت من شواهد النحو المعروفة ــ على استعمال إذ ما للشرط ــ بل هو من أبيات سيبويه ٤٣٢/١! وعنه تداوله النحاة كالمبرد في «المقتضب» ٤٧/٢ ، وابن جني في «الخصائص» ١٣١/١ إلخ . فما معنى نقل حاشية المطبوعة الأولى ، على أن المحقق لم يذكر أنه نقلها من هناك وإنما تبيّن هذا بالمقارنة ! ثم إن (الأمير) ليست تصحيف (الأمين) لأنها ثابتة كذلك في المراجع المعتمدة مثل حواشي ابن بري ٦٦/٢ ، و«أصل حروف المعاني» للزجاجي ٧٥ (بيروت ، ١٩٨٤)، بل هو كذلك في بعض نسخ كتاب سيبويه (هامش الكتاب ٥٧/٣ بتحقيق هارون)!

٢٥٨ ــ ص ٥٦١ : وردت كلمة (الجُنْبَذَةُ) مضبوطة بفتح الباء ، وهذا خطأ والصواب ضبطها بالضم كما جاء في مصدر الجوهري وهو «الاصلاح» ١٦٨ ، والغريب أنها بالفتح في اللغة التي اخذت منها فهي من الفارسية (كنبذ) بفتح الباء .

٢٥٩ ــ ص ٥٦٢ :

ورد قول الشاعر : لَتَقْرُبُنَّ قَرَباً جُلْذِيًا .

وضبط المحقق (لتقربن) بضم الباء وهو معتمد في هذا على ضبط «اللسان» ومثله في حواشي ابن بري ٦٧/٢ وهذا خطأ ، والصواب ضبطه بكسر الباء لأن الراجز يخاطب ناقته ومن العجيب أن يخفى هذا على المحقق مع أن هذا الشاهد من أبيات سيبويه ٢٧/١ ، ومثله نوادر أبي زيد ١٩٤ ، والمقتضب ٩١/٤ ، والخزانة ٥٩/٤ .

٢٦٠ ــ ص ٥٦٤ : (وأنشد قول خُفاف من قَيس من البراجم).

الصحيح : (خُفاف بن عبد قيس) كما جاء في مصدر الجوهري وهو كتاب «الفرق» لثابت ١٣ ، وكذا جاء في الكتب التي نقلت عن الجوهري «كالتكملة» ٢/٣٧٧ و«اللسان». هذا هو الصحيح بالنظر إلى ما يجب أن يوضع بالمتن وإلا فالصحيح في اسمه عبد قيس بن خفاف («الأغاني» ٨ : ٢٤٦ ، و«المفضليات» رقم ١١٦ ــ تحقيق شاكر وهارون) وفي «أضداد أبي حاتم» رقم ١١٥ (بتحقيق هافنر): (خفاف بن عبد شمس) وهذا يجمع بين القلب والتحريف . وقد التبس الأمر على الجاحظ في «الحيوان» ١/٣٣ حين نسب البيت إلى خُفاف بن ندبة ، أما ابن بري ٢/٦٧ فجزم بأن البيت للنابغة الذبياني وليس في ديوانه ولم أر أحدا قال به قبله إلا ابن الأنباري في أضداده ٥٧ ، وقد قلد الجوهري في غلطته في اسم الشاعر كثير من المحققين دون تبصر كهارون في حواشي «البيان والتبيين» ٢/١١ ، ومحمد أبو الفضل ابراهيم في حواشي «أضداد ابن الأنباري» ٥٧ .

٢٦١ ــ ص ٥٦٥ : (فهو شَقِذ وشَقْذَانٌ بالتحريك).

ضبط المحقق شقذان بإسكان القاف ، والصواب فتحها كما تدل عليه عبارة الجوهري ، وانظر «الجمهرة» لابن دريد (٣/٢١٤).

٢٦٢ ــ ص ٥٦٦ : (عامر بن كبير) كذا كتب المحقق في الحاشية ، وأقول أنا : هذا تصحيف ، والصواب عامر بن كثير (انظر رقم ٢٨٢) فيما يأتي .

٢٦٣ ــ ص ٥٦٧ : (عَائِذَة بن مالك بن ضبة).

الصواب : عَائذة بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبة كما في «نهاية الأرب» للنويري ٢/٣٤٧ ، وانظر المعارف ٣٤ . وقد أخل بهذه القبيلة القلقشندي في كتابه «نهاية الأرب»، وفي اللسان (عوذ): «عائذة بن مالك بن ضبة» وهو خطأ .

٢٦٤ ــ ص ٥٦٩ : أنشد الجوهري للكميت :

تـرَامىَ بكَذَّانِ الاكَـام ومَـرْوِهَـا تَرَامِيَ وِلْدَانِ الأَصَارِمِ بالخَشْلِ

ضبط المحقق (الخَشْلِ) كما ترى بإسكان الشين وجر اللام فيكون روى القصيدة مجروراً وهو في هذا متابع لضبط «اللسان» (كذذ) وهذا خطأ منهما ، والصحيح أن تضبط (الخشل) بفتح الشين وإسكان اللام فيكون روى القصيدة مقيداً بدليل ما قبلُ هذا البيت وهو :

من المعصفات الهوج في عرصاتها زعازع يكسون البلى رسمها جَفَلْ

وانظر «التنبيهات» (غ ٨٠) و«شرح المفضليات» ٤٦٧ .

٢٦٥ ــ ص ٥٧١ : أنشد المحقق في الهامش :

ومَـلَابٍ قـد تـلهَّيـتُ بهـا وقصـرتُ اليوم في بيتِ عـذارْ

هذا البيت نقله المحقق من «اللسان» (موذ) باخطائه والصواب في انشاده :

ومـلاءٍ قـد تـلهـيـت بهـا وقصرت اليوم في بيت عذاري

أما الملاب ، وهو نوع من الطيب ، فلا يقال فيه : «تلهيت به» فضلاً عن أنه مذكر كسائر الطيوب كما في «المذكر والمؤنث» للفراء ٩٨ (ط قاصد بالقاهرة ، ١٩٧٥) والقافية مجرورة كما جاء في «ديوان عدي بن زيد» ٩٥ (بغداد ١٩٦٥).

٢٦٦ ــ ص ٥٧٤ : (وأنشدني عيسى بن عمر الثقفي :

جَـلاهَـا الصَّيْقَلُون فـأَخْلصَـوُهَـا خِفَـافًـا كلهـا يَتَقِي بـأَثِـرْ)

ضبط المحقق (يتقي) بفتح التاء ، وكذا في «الاصلاح» ٢٣ (بتحقيق شاكر وهارون) والصواب إسكان التاء كما في كتب الصرف واللغة انظر مثلاً «الخصائص» ٢/٢٣١) ومثله «تهذيب الاصلاح» ١/٣٥ . هذا وعند يعقوب ٢٣ ــ وعنه الجوهري ــ إن الأصمعي لا يعرف في الأثر إلا الفتح ، ولكن القالي ١٧٦/٢ يروي عن الأصمعي إنه يختار الكسر ، وفي «المخصص» ١٨/٦ عن الأصمعي أيضاً (أُثُـر) بضمّتين ! وهذا اختلاف غريب .

٢٦٧ ــ ص ٥٧٨ : (نفيلة الأكبر) في الحاشية .

هذا تصحيف استفاده المحقق من «اللسان»، والصواب (بقيلة) بالباء والقاف كما في تصحيف العسكري ٤٠٠ . وهذا تصحيف شائع في كتب اللغة والأدب مثل «الأغاني» ١٧٥/٥ ، والأنباري ٨٧ ، وحواشي ابن بري ٧٧/٢ .

٢٦٨ ــ ص ٥٨١ : (قال أبو عبيدة : آمَرتُهُ) الخ .

صحته : أبو عبيد بدون هاء وكلامه هذا في كتابه «غريب الحديث» ٣٥٠/١ وهو مصدر الجوهري .

٢٦٩ ــ ص ٥٨٢ :

ورد قول أبي زبيد : (إن كان عثمان أمسى فوقه أَمْر) .

ضبط المحقق : (أمر) بإسكان الميم ، وهذا خطأ وصوابه الفتح (انظر مثلاً «تهذيب اللغة» ٢٩٣/١٥) وبضبط المحقق ينكسر البيت لأن عروض البسيط (وهو بحر البيت) لا تقطع . وراجع «السمط» ١٢٨ ، ٩٣١ .

٢٧٠ ــ ص ٥٨٣ : (يقال للشمال . . هِيُر ، وهَيِّرُ).

ضبط المحقق (هير) بكسر الهاء والصواب فتحها كما في مصدر الجوهري وهو القلب ٢٥ ، وعنه القالي ٧١/٢ . وقد أنشد المحقق شاهداً على هذا صدره :

وإنا مساميح إذا هبت الصبا

وأغفل نسبته وهو لعمرو بن شأس كما في المراجع ، وقد أخل به (شعر عمرو بن شأس) الذي جمعه د. يحيى الجبوري ونشره سنة ١٩٧٨ .

٢٧١ ــ ص ٥٨٤ : (البَبْرُ واحد البُبُورِ ، وهو الفُرانِقُ).

علق المحقق بحاشية فيها : (يقال له البريد لأنه يصيح قدام الأسد ينذر به) الخ . ويلاحظ أن المحقق نقل هذه الحاشية من هامش المطبوعة الأولى ٢٨٥ على أخطائها ، فكون الفرانق ينذر بالأسد شيء لا حقيقة له والعجب أن الجاحظ أشار إلى أنها أسطورة في «الحيوان» ١٣١/٤ ، والجاحظ عاش في القرن الثالث

والكتاب نشره المحقق في الربع الأخير من القرن الرابع عشر .

ثم قوله فيها أن الببر هو الفرانق خطأ آخر فالببر هو الحيوان المخطط الذي يقال له بالانكليزية Tiger وهي كلمة من أصل يوناني ، أما الببر فمن أصل هندي ، أما الفرانق فهو هربري يقال له بالانكليزية Iynx والكلمة العربية من الفارسية بروانك ، أما قوله إن الفرانق يقال له البريد فهو لبس حصل من الكلمة الفارسية لأنها تعني هذا الحيوان ــ وهو يسمى الآن الوشق ــ وتعني أيضاً صاحب البريد ، ويستعمل الفرس كلمة أخرى للدلالة على هذا الحيوان هي سياه كوش (انظر «معجم استانيجاس»).

٢٧٢ ــ ص ٥٨٥ : (قال نصيب :

وقد عَادَ مَاءُ الأرضِ بَحْراً فَرَدَّنِي إلى مَرَضي أنْ أَبْحَرَ المَشْرَبُ العَذْبُ)

قوله : (فردني) تحريف ، والصواب : (فزادني). كذا في مصدر الجوهري وهو «الغريب المصنف» («التنبيهات» غ ٨٩).

٢٧٣ ــ ص ٥٨٦ : حاشية حول طيء منقولة من هامش المطبوعة الأولى (ص ٢٨٣) وأشرت إلى هذا لأن المحقق نقلها بأخطائها ففيها (طيء بن أردد) والصحيح (أدد) ثم قال: (ابن زيد بن كهلان) والصواب: (ابن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان) (انظر في هذا «الجمهرة» ٣٩٨ ، و«نهاية الأرب» ٢/٢٩٨ الخ) وفيها نقلاً عن التاج: (سبأ بن حمير) وهو خطأ قديم أول من وقع فيه الجوهري (طوا) وتبعه الصاغاني «التكملة»، وأخيراً صاحب «التاج»، والصواب: (سبأ بن يشجب) المراجع التقليدية «كالجمهرة» ٣٢٩).

٢٧٤ ــ ص ٥٨٧ : (قول الشاعر حاتم :

وجَاءَتِ الخَيْلُ مُحْمَرًّا بَوَادِرُهَا بَالماءِ تَسْفَحُ من لَبَّاتِها العَلَقُ)

قوله (تسفح) تحريف واضح ، والصحيح (يسفح) كما في «العباب» (بدر) وهذا البيت من «شواهد الغريب المصنف». ونقل المحقق عن «اللسان» أن

خراشة بن عمرو قال :

هلا سألت ابنة العبسى ما حسبي عند الطعان إذا ما غص بالريق

والصواب إنه لعنترة بن شداد ، أما بيت خراشة فآخر ، وهذا كله مفصل في مقدمة الجزء الأول من «العباب» تحقيق قير محمد حسن

٢٧٥ ــ ص ٥٩٠ : (وقوله تعالى﴿يابُشْرَايَ هَذَا غُلَامٌ﴾كقولك : عصاي . وتقول في التثنية : يابشرتيّ). هذا تصحيف ، والصواب : (يابشريّ» بالياء لا بالتاء بداهة وانظر مع هذا «معاني القرآن» للفراء ٢/٣٩ .

٢٧٦ ــ ص ٥٩١ : (الصُفاريةُ) وردت الكلمة بتخفيف الفاء ، والصواب تشديدها كما جاء في مصدر الجوهري وهو «أدب الكاتب» ١٩٠ . وهو طائر أصفر ومن هنا جاء اسمه لا من الصفير ، وهذا المعنى موجود في اسمه الانجليزي Oriole فهو من اللاتينية aureus أي ذهبي .

٢٧٧ ــ ص ٥٩٢ : كتب المحقق في الهامش : (الأشعر) يعني الجعفي ، والصواب (الأسعر) بالسين ، وهذا تصحيف عمت البلوى به (نوادر أبي زيد ، مثلا ، في مواضع متفرقة ٣٦ الخ) وانظر عن الأسعر «معجم مقاييس اللغة» ٢/٧٦ وقد ورد في «اللسان» (بصر) مصحفاً فنقله المحقق عنه مصحفاً كذلك .

٢٧٨ ــ ص ٥٩٥ : ورد قول الراجز :

يـابِكْرَ بِكْـرَيْن ويـاخِلْبَ الكَبِـدْ أصبحت مِنِّي كَذِرَاعٍ في عَضُدْ

لم يعرف المحقق قائل البيتين لأن صاحب «اللسان» لم يعرفه ، وهو الكميت ابن زيد كما في «الجمهرة» ١/٢٣٩ ، و«الأمالي» ١/٢٤ ، وأضداد ابن الأنباري ٢٤٦ . وهو يشبه شاهداً من الشواهد المجهولة القائل عن سيبويه ١ : ٣٢٩ (ط بولاق).

٢٧٩ ــ ص ٥٩٩ : ([عن عمرو بن العاص]. . في كل بهار ثلاثة قناطير ذهب) هنا نقص وتمام الخبر (ذهب وفضة) كذا جاء في مصدر الجوهري وهو

«غريب الحديث» ١٦٤/٤ وعنه «الفائق» ١٢٢/١، و«النهاية» ١٦٦/١ وكذا في «اللسان» عن الجوهري (بهر).

٢٨٠ ــ ص ٦٠٠ : أنشد الجوهري :

ونُصْبِحُ بالغَدَاة أَتَرَّ شيءٍ ونُمْسي بالعَشِيِّ طَلَنْفَحِينا

قال المحقق إن القائل (هو رجل من بني الحرماز) كذا قال المحقق اعتماداً على ما جاء في «اللسان» (شزر) وصاحب «اللسان» قاله اعتماداً على الجوهري (انظر ربتت) وهذا خطأ يعرف بالرجوع إلى مصدر الجوهري ، وهو «نوادر أبي زيد» ١٧٦ ؛ إذ جاء فيه : (وأنشدني رجل من بني الحرماز) ثم ذكر البيت فتبين من هذا أن الحرمازي هذا هو راوي البيت لا قائله وقد وقعت د. عائشة عبدالرحمن في هذا الخطأ في تحقيقها «رسالة الغفران» حيث نسبت البيت إلى الحرمازي خطأ .

٢٨١ ــ ص ٦٠١ : (تَغَرتِ القِدْرُ . . لغة في تُغِرت). تغرت الثانية صوابها نغرت بالنون كما جاء في مصدر الجوهري وهو «العين» ٣٩٦/٤ ، على أن هذه اللغة (تغر بالتاء) مشكوك فيها ، وقد عدها الأزهري ٨١/٨ من تصحيف صاحب «العين».

٢٨٢ ــ ص ٦٠٢ : وأنشد للمحاربي :

لقد غَضِبُوا عَلَيَّ وأَشْقَذُونِي فَصِرْتُ كأَنَّنِي فَرَأٌ يُتَارُ

ويروى (متأر) مقلوب من متار . . ضبط المحقق كلمة (متأر) بفتح الميم ، والصواب ضمها كما شرحه ابن جني في «الخصائص» ١٤٩/٣ (وعنه ابن بري في «اللسان») وانظر أيضاً ، «المنقوص والممدود» للفراء رقم ٧١ ، و«أمالي» اليزيدي ٧٥ (ط. حيدر أباد ١٣٦٩هـ).

٢٨٣ ــ ص ٦٠٦ : (وفي الحديث: «حَرَّم مابين عَيْرٍ إلى ثور». قال أبو عبيدة : أهل المدينة لا يعرفون جبلاً يقال له ثور). قلت : أبو عبيدة تحريف ، والصواب : أبو عبيد . وكلامه هذا في كتابه «غريب الحديث» ٣١٥/١ وعنه

الجوهري ، وعنه أيضاً بالحرف ابن حجر في «فتح الباري» ٨٢/٤ . وانظر «التاج» (ثور) فكلامه جامع لأقوال من سبقه . وهذا مبحث لا شأن له باللغة (أعني تحديد موقع جبل ثور).

٢٨٤ ــ ص ٦٠٧ : (الأصمعي : غَيْثٌ جُؤَر مثال نُغَرٍ أي غزيرٌ كثير المطر . وأنشد : لاتسقه صَيِّبَ عَزافٍ جُؤَر). قال المحقق : (قبله : يارب رب المسلمين بالسور) كلام المحقق منقول من اللسان ، وقد أخطأ صاحب «اللسان» فأخطأ المحقق تبعاً له ، ويعرف هذا بالرجوع إلى مصدر الجوهري وهو «إصلاح المنطق» ١٧٦ ، وهو منقول بدوره من «النبات» للأصمعي ٧ ومنه نعلم أن الصواب (المرسلين بالسور) وليس (المسلمين بالسور). وأن الذي قبل البيت الشاهد إنما هو :

يـاربَ ربَّ المرسلين بـالسـور بحكم القـرآن يتلى بـالـزبـر

لا تسقه الخ . . وليس كما زعم صاحب «اللسان»، والمحقق الكريم .

٢٨٥ ــ ص ٦٠٩ : جاء في الحاشية : (الحجر تغير رائحة اللحم عن ابن فارس اهـ هكذا بالمخطوطة). يلاحظ أن هذا النص ليس من المخطوطة كما ادعى المحقق الكريم ، وإنما هو منقول من هامش المطبوعة الأولى ٢٩٥ ، فلعل المحقق قال هذا سهواً . وقد نبهت على هذا لأنه وقع في حاشية المطبوعة الأولى خطأ فنقل المحقق الحاشية بخطئها ، وأعنى بهذا كلمة (الحجر)؛ إذ الصواب فيها «الخجر» بالمعجمة كما جاء في مصدر هذه الحاشية وهو «الجمل» لابن فارس ١ : ١٧٨ (بيروت ١٩٨٤).

٢٨٦ ــ ص ٦١٣ : (قال ابن مقبل هوجاء موضع رَحْلِها جَسْر). لم ينشد المحقق صدره متابعة منه لصاحب «اللسان»، وقد أنشده الصاغاني («التكملة» ٤٤٩/٢) وذكر ملاحظات حول قائل البيت وروايته .

٢٨٧ ــ ص ٦١٥ : (والجَعْرُورُ : ضرب من الدَقْلِ : وهو أردأ التمر).

ضبط المحقق (الجَعرور) بفتح الجيم ، والصواب ضبطها بالضم لأن كل الكلمات التي على وزن (فعلول) يجب أن تكون مضمومة الفاء إلا كلمات معدودة ليس منها الجعرور (مثلاً : «الكتاب» ٢ : ٣٢٩) وكلمة (الجعرور) هذه نقلها الجوهري من «غريب الحديث» لابن قتيبة ٢/٤٤١، وهذا فسرها نقلاً عن الأصمعي ولم ترد هذه الكلمة إلا في نص واحد وهو حديث نبوي أورده ابن قتيبة ، ورواه الحاكم في «المستدرك» ٢ : ٢٨٤ (ط حيدر أباد) من طريق سليمان ابن كثير وسفيان بن حسين عن الزهري عن أبي أمامة بن سهل عن أبيه أن الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقال : (صحيح على شرط الشيخين) ووافقه الذهبي في «التلخيص» ٢ : ٢٨٥ («بهامش المستدرك»). وهذا غير صحيح ، لأن رواية سفيان بن حسين وسليمان بن كثير عن الزهري ضعيفة كما جاء في كتب الحديث كالتقريب لابن حجر ١ : ٣١٠ ، ٣٢٩ (ط. دار المعرفة ١٩٧٥) ومما يؤيد هذا أن عبد الجليل بن حميد اليحصبي روى هذا الحديث بعينه عن الزهري عن أبي أمامة مرسلاً . أفاده ابن كثير في تفسيره ٢ : ٤٣ (ط. المنار بمصر ١٣٤٣هـ).

٢٨٨ ــ ص ٦١٧ : (قال امرؤ القيس:

كأن ذُرَى رأسِ المجيمِرِ غُدوةً من السَيل والغُثَاء فُلكةُ مِغْزَلِ)

ضبط المحقق (الغثاء) بتشديد الثاء ، وهذا خطأ؛ فالغثاء بتخفيف الثاء في جميع معجمات اللغة ، والحامل له ، فيما يبدو ، استنكار القبض في البيت (والقبض حذف الخامس الساكن) مع أنه موجود في «أشعار العرب» ولا سيما شعر أمرىء القيس ، وهذا مستوفى في «رسالة الغفران» ٣١٣ ــ ٣١٨. وهذا الضبط الخاطىء لبيت امرىء القيس يوجد في كثير من كتب التراث مثل «شرح القصائد السبع الطوال» لابن الأنباري ١٠٨ (تحقيق هارون)، و«الاقتضاب» لابن السيد ٢٧٧ .

٢٨٩ ــ ص ٦١٧ : (والجمهور من الناس : جُلُّهم) .

علق المحقق بقوله : (بضم الجيم ، وحكى الشهاب في شرح الشفا أن قوماً

يفتحونها وهو غريب) .

قلت : نقل هذا المحقق من هامش المطبوعة الأولى دون أن يذكر المرجع ، وذكرت هذا لأن كاتب الحاشية أخطأ فيما كتبه ، وهو منقول من شرح «القاموس»، ولبيان خطئه أسوق عبارة الزبيدي : (والجمهور بالضم . قال شيخنا : هذا هو المشهور وما حكاه ابن التلمساني في شرحه على «الشفا» من أنه يقال بالفتح فغلط . . ولذلك قال شيخ شيوخنا الشهاب في شرح «الشفا» إن ما نقله التلمساني من الفتح غريب) (٤٧٣/١٠). فتبين من هذا أن الذي نقل الفتح التلمساني لا الشهاب كما توهم صاحب الحاشية والمحقق الكريم تبعاً له .

٢٩٠ ــ ص ٦١٨ : (الأخفش : تقول العرب جَهَرْتُ الركيَّة إذا كان ماؤها قد غطَّى الطينَ) .

الصواب : (غُطِّى بالطين) كما في مصدر الجوهري وهو «معاني القرآن» للأخفش ٩٥ ويراجع في هذا «مبادىء اللغة» للأسكافي ٢ : ٨٠ (ط. القاهرة ١٣٢٥هـ) .

٢٩١ ــ ص ٦١٩ : أنشد الجوهري :

وقلْتَ علىَ الفِرْدَوسِ أَوْلَ مَشْرَبٍ أَجَلْ جَيْرِ إن كانَتْ أُبِيْحَت دَعَائِرُهْ

ولم يعرف المحقق قائله لأن صاحب «اللسان» لم يعرفه وهو لطفيل (في ديوانه ١٠ ، ط. دار الكتب) ويروى لمضرس بن ربعي (انظر «شرح الشواهد» للعيني ٩٨/٤) .

٢٩٢ ــ وأنشد الجوهري أيضاً في الصفحة نفسها :

فلما رأيتُ القوم نادَوْا مُقَاعِساً تعرَّضَ لي دونَ الترائب جائِرُ

ولم يعرفه المحقق كصاحب «اللسان» وهو لوعلة بن عبدالله الجرمي كما في «النقائض» ١٥٥ .

٢٩٣ ــ ص ٦٢٠ : (والحَبِيرُ : لُغَام البعير) .

←

أرشدوا أخاكم!!

قبيلة بني مالـك

[نشر أحد القراء في مجلة «اقرأ» ع ٦٠٤ تاريخ ١٤٠٧/٥/٢٢ كلمة بعنوان (مالم يذكره الجاسر وابن بليهد وابن خميس عن بني مالك ودورهم في الجاهلية والإسلام) فكان هذا الرد الذي نشر في تلك المجلة ع ٦٠٧ تاريخ ١٤٠٧/٦/١٤]

عَلَّقَ المحقق : (ويقال بالمعجمة وهما لغتان) .

قلت : بالمعجمة ليس لغة ، وإنما هو تصحيف من صاحب «العين» كما في «التهذيب» ٣٣/٥، و«المزهر» ٣٩٢/٢ .

٢٩٤ ــ ص ٦٢١ : في الحاشية : (وقالوا في تصغير الحُبَارَى حُبَيْرَى ففتحوا الراء ، وحبيريات) .

حبيريات جمع حبيري وليست تصغيراً لحُبَارَى وهذا نشأ من الاختصار المخل ، ويجوز أن تصغر حبارى على حبيِّر ــ بالتشديد ــ أيضاً ، حكى هذا سيبويه ١٣/٢ (ط. بولاق) .

٢٩٥ ــ ص ٦٣٢ : (قال [أي الأخفش]: وأحصرني بولي . .)

الصحيح : (قولي) كما في مصدر الجوهري ، وهو «معاني القرآن» للأخفش ١٦٢ أما البول فيقال فيه (حصرني) ثلاثياً كما في «اللسان» (حصر) .

٢٩٦ ــ ص ٦٣٣ (قال الهذلي :

رجالُ حروب يَسْعَرون وحَلْقَةٌ من الدارِ لا تأتي عليها الحَضَائِرُ)

لم يعرف المحقق قائله لأن صاحب «اللسان» لم يعرفه وهو أبو شهاب الهذلي كما في «الاصلاح» ١٦٨ و«المحكم» ٨٦/٣، و«الجمهرة» ١٣٦/٢ ، و«شرح أشعار الهذليين» ٦٩٧ ، وقد نسبه صاحب «اللسان» (حضر) إلى أبي ذؤيب وهذا من أخطائه .

الرياض: جواد محمد الدخيل

يَحْلُو لبعض شُدَاةِ الأدب أن يلُوكوا ألسنتهم بتنقيص من سبقهم زماناً ، وفاقهم معرفةً ، وسعة اطلاع ، وَأَنْ يتجاهلوا لاؤلئك مالهم من فضل السَّبْقِ ، وتمهيدِ طرق البحث ، وتقريبِ وسائل العلم والمعرفة .

ومن هاؤلاء الشداة الابن الكريم عبدالله بن ساعد بن محمد المالكي (عضو نادي جدة الأدبي) الذي رماني بثالثة الأَثَافِي ، وبالثنتين أخويَّ الفاضلين الشيخ محمد بن بُلَيْهِد ــ رحمه الله ــ والأستاذ عبدالله بن خَميس ــ رعاه الله .

لقد وصمني بجهل قبيلة بني مالك وجَهْلِ دورها في الجاهلية والإسلام ، معبراً في كلمة نشرتها مجلة «اقرأ» ــ ع ٦٠٤ في ١٤٠٧/٥/٢٢ ــ بدأها بقوله : (مما لم يذكره حمد الجاسر في المعجم الجغرافي) ثم استرسل في إيراد معلومات مضطربة ، محشوة بالأوهام والأخطاء مما يدل على أنه لايعرف شيئاً عن القبيلة التي ينتسب إليها ، فضلاً عن غيرها من القبائل .

وليس لديَّ من سعة الوقت ، ولا من الرغبة في استيعاب ماكتب مايمكنني من تتبع أوهامه ، إلا أنني أخشى أن ينخدع أحد القراء بما كَتب ، فأكتفِي بإبْراز مايدل على جهله فيما تصدى للكتابة عنه .

١ ــ زعم أنني لم أذكر في «المعجم الجغرافي» شيئاً عن بني مالك ، وقال عن هذا «المعجم» في مراجعه : معجم البلدان السعودية ــ حمد الجاسر .

والواقع أنني لم أُؤَلِّفْ كتاباً بهذا الاسم ، وإنما ألفت كتابين اثنين باسم مغايرٍ لما ذكر ، أحدهما «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» ــ المختصر ــ وهذا معجم مختصر يقع في ثلاثة مجلدات ويحوِي من أسماء المدن والقرى والمواضع المأهولة نحو (١٦١٠٦) اسماً .

وفي هذا المعجم أوردت كلَّ ماعرف من قرى بني مالك اعتماداً على أوثق المصادر في وزارة الداخلية وفي الإدارة العامة للاحصاء في وزارة المالية .

والكتاب الثاني هو «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» المطول وهذا لايزال تحت التأليف ، وقد صدر منه عشرون جزءاً ، منها ما ألفته ، ومنها

ماشاركني في تأليفه إخوة باحثون من مختلف مناطق المملكة ، وهذا «المعجم» لم يكمل بعد ، ولم يصدر منه القسم المتعلق بالمنطقتين الغربية والجنوبية من المملكة التي تقع بلاد بني مالك فيها ، وهاهو بيان ماصدر من هذا «المعجم» : ــ

١ ــ مقاطعة جازان للأستاذ محمد بن أحمد العقيلي في ٤٨٦ صفحة .

٢ ــ بلاد غامد وزهران للأستاذ علي بن صالح الزهراني في ٣١٦ صفحة .

٣ ــ عالية نجد للأستاذ سعد بن جنيدل في ٣ أجزاء في ١٣٩٠ صفحة .

٤ ــ بلاد القصيم للأستاذ محمد العبودي في ٦ أجزاء في ٢٦٣٢ صفحة .

٥ ــ شمال المملكة تأليف حمد الجاسر في ٣ أجزاء في ١٣٦٨ صفحة .

٦ ــ المنطقة الشرقية تأليف حمد الجاسر في ٤ أجزاء في ١٩٩٨ صفحة .

٧ ــ معجم اليمامة للأستاذ عبدالله بن خميس ، جزءان في ١٢٦٢ صفحة .

ولقد نشرت في مجلة «العرب» ــ س ١٣ ص ٤٥١ وس ١٤ ص ١٥٤/٩٥٥ وس ١٥ ص ٣٠٧/٧٩١ مقالات مفصلة عن بني مالك وقراهم للإخوة محمد الهلّالي ــ رحمه الله ــ وأحمد بن عبد الرحيم المالكي ، ويحيى بن علي عكُّور ، فعد الأول من قرى القبيلة ١٧٥ قرية وعدَّ الثالث ٨٩ قرية وتكلم الثاني عن أشهر فروع بني مالك وأشهر قراها .

فكيف أوْصَمُ بأنني لم أذكر شيئاً عنها ؟!

ويظهر أن الابن عبدالله يتلقف أسماء الكتب ومؤلفيها بدون تثبت ، ومن الأدلة على ذالك أنه نسب «مروج الذهب» للهمذاني ، وكل من لديه إلمام بمعرفة الكتب يدرك أنه للمسعودي .

٢ ــ جهله بنسب قبيلته :

ظنَّ صاحبنا الْمُتَصدِّي للحديث عن الأنساب أن اسم بني مالك ينحصر في قبيلته وحْدَهَا ، فعمد إلى ماذكره بعض المؤرخين عن بني مالك القبيلة الثقفية

المعروفة فساقه باعتباره يتعلق بتاريخ قبيلته .

إن بني مالك ــ أيها الباحث الكريم ــ من الأسماء التي تطلق على كثير من فروع القبائل ، مما لا تتسع مجلة محدودة الصفحات للتوسع في ذكره .

أما بنو مالك الذين تحدَّثْتَ عن حروبهم مع إخوتهم الأحلاف ، فإنهم من ثَقِيف ، وهم بنو مالك بن حُطَيْط بن جُشَم بن قَسيٍ ــ وهو ثقيف ــ بن مُنَبِّهِ بن بكْر بن هوَازنَ بن منصور بن عكرمة بن خَصَفَة بن قيسِ عَيْلان بن مُضَر ــ على ماقرره علماء النسب في كتبهم المعروفة ــ فهم من مضربن نِزَار بن مَعَدِّ بن عدنان .

وقبيلتك التي تُنْمَى إليها وهم سكان السراة من بَجِيلة ، وهم بنو مالك بن سعد بن نذير بن قَسْرِ بن عَبْقر بن أنمار بن إرَاش بن عَمْرِو بن الغوث بن نَبْتِ بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ ــ على أصح الأقوال ــ فهم من قحطان ، وقد نُسِبُوا إلى أُمِّهم بَجِيْلَةَ بنت صعْبِ بن سَعْدِ ٱلعَشِيرة .

وبنو مالك هاؤلاء كما أوضحت في كتابي «في سراة غامد وزهران» هم بَيْتُ بَجِيلة ، ومنهم الصحابي الجليل جَرِير بن عبدالله بن جابر بن مالك بن نصر بن ثعلبة بن جُشَم بن غُوَيْث بن حَزِيمة بن حرب بن عليُ بن مالك بن سعد ، وفي جرير يقول الراجز :

لَـوْلَا جَـرِيْـرٌ هَلَكَتْ بَـجِيْـلَهْ نِـعْمَ ٱلـفَتَى وَبِئْـسَتِ الْـقَـبِـيْـلَهْ

ولما سمع عمرَ بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ هذا قال : (مامُدِحَ من هُجِي قومه). ولقد كذب هذا الراجز فَبَجِيلة قبيلة كريمة ولكن قلَّ أن تسلم قبيلةٌ من الْهَجْوِ حتى قبيلة قُريش .

وفي جرير أيضاً يقول النجاشي يخاطب شُرَحْبِيْلَ بن السِّمْطِ الكندِيِّ :

شُرَحْبِيْل مَـالِلدِّيْنِ فَارَقْتَ أَمْـرَنَا ولكن لِبُغْضِ ٱلْمَـالِكِيِّ جَـرِيْـرِ

وكان عليٌّ أرسل جَريرا ــ رضي الله عنهما ــ إلى معاوية في طلب بيعة أهل

الشام ــ وانظر طرفاً من أخبار جرير في كتابي «في سراة غامد وزهران».

وليس هذا الصحابي الجليل كما توهمتَ من بني مالك ثقيف ، بل من بني مالك البجليين سكان السراة الآن .

٣ ــ ماكتبته عن بني مالك :

يقول أخونا عني وعن الأستاذ ابن خميس : (لم يذكر أحدهما شيئاً عن بني مالك).

ماهذا الجزم أيها الابن الواسع الاطلاع ؟! هل عرفت أنَّ لي كتابا عنوانه «في سراة غامد وزهران» يقع في ٥٩٥ صفحة ؟! وأنني في هذا الكتاب كتبتُ عن قبيلتك أكثر من ستة عشر صفحة متوالية ــ دون ماتفرق منها ــ أوردت فيها من المعلومات عن أصل القبيلة ومساكنها ومشاهيرها مالا تجده في غير هذا الكتاب ، فإذَا أَضَفْتَ هذا إلى مافي «المعجم الجغرافي» المختصر ، وما نشرته في مجلة «العرب» تَكَوَّنَ لديك عن هذه القبيلة ــ قديمها وحديثها ــ مايُعَدُّ مِنْ أَوْفَى ماكُتِبَ عنها ، إنْ لم يكن أوفاها ــ .

ولقد تَمَنَّيْتُ أن يتصدَّى أحُد أبنائها لدراسة مختلف أحوالها وكان فيما قلت ص ٤٣٢ : (ولقد عرف من هذه القبيلة عددٌ من الشعراء حبَّذَا لو تصدَّى أَحَدُ الباحثين من أبناء القبيلة أو غيرهم لجمع شعرهم ودراسته وإبراز مميزاته). ثم سميت بعضهم .

وها أنا أُعيد ماتمنيت قبل سبعة عشر عاما لعل الأخ الكاتب يستفيد من هذا الكتاب معرفة جوانب من تاريخ قبيلته القديم يجهلها كُلَّ الجهل ، ويعرفها من وَصَفَهُ بماليس فيه .

٤ ــ الجهل بأسماء المواضع :

ينقل الكاتب نصوصاً من كتب على علاتها مما يَدُلُّ على أنه لايفهم تلك النصوص فهماً تاماً :

(لحب): من ذالك مانقله عن كتاب «الكامل» لابن الأثير من خبر الحرب الواقعة بين الأحلاف وبني مالك من أَنَّ الأَحلاف أخرجوا بني مالكٍ إلى واد وراء الطائف يقال له (لحب).

لحب ــ هذا أيها الباحث الكريم ــ صوابه : نَخِب ــ بالنون والخاء المعجمة بعدها باء موحدة ــ وهو وادٍ من أشهر الأودية المعروفة في شرق الطائف قديماً وحديثاً ، وشهرته تغني عن الاسترسال في الحديث عنه .

(الابان): قال أخونا : ودارت المعركة في شعب من شعاب جبل يقال له (الابان) .

الأبان ــ ياأخانا هذا الذي ذكرت صوابه : الأُنَانَ ــ بضم الهمزة وبعدها نونان بينهما ألف ــ على ما ضبطه العلماء ومنهم صاحب «معجم مااستعجم» الذي قال ــ بعد ضبط الاسم : موضعٌ من وراءِ الطائف قِبَلَ نَخِبٍ ينسب إليه فَجُّ الأُنِانِ ، وشِعْبُ الْأُنَانِ كان فيه وقعةٌ عظيمة للأحلاف من ثقيف على بني مالك من ثقيف أيضاً ، وعلى حلفائهم من بني يربوع (لا يجربوع) ــ كما ذكر الكاتب ــ فَسُمِّيَ أُنَاناً لكثرة أَنِينِ الْجَرْحَى فيه .

(بجيلة): وقال : أما عن بَجِيلة : فهي إحدى قرى بني مالك حالياً ومنها الصحابي المعروف جرير بن عبدالله البجلي .

تسمية القرية باسم بَجِيلة اسم حادث ، فَبَجِيلة في الأصل هو الاسم الذي عُرِفَتْ به القبيلة ، لِأَنَّ أَنْمَار بنَ إراشٍ تزوج بَجِيْلَةَ بنتَ صعْبِ بن سَعدِ الْعَشِيْرَة ، فولدت له أبناء منهم تفرعت قبيلة بجيلة .

ثم عُرِفَتْ فيما بعدُ إحدى القرى باسم القبيلة ، وهذا شائع بين قبائل العرب ، فَسَدُوس اسم البلدة المعروفة قرب الرياض كانت في الأصل قرية لبني سدوس من بني بكر بن وائل فبقي الاسم في القرية بعد أن جُهِلت القبيلة .

وقول الكاتب : (وقد كانت تدعى بنو مالك باسم بجيلة). ليس صحيحاً بنو مالك أشهر فروع بجيلة القبيلة ولاينحصر اسم بجيلة فيها ، بل يشمل فروعاً

أخرى أوردها علماء النسب في مؤلفاتهم ، وذكرتها في كتابي .

(ذو الخلصة): ذكر أن جرير بن عبدالله هدم (ذي الخليصة ؟) وهو صنم كان ببلاد دَوْس ، مما يلي اليمـن . ثم أعاد القول : وفي بلاد دَوْسٍ ذُو الخلصة الصنم المشهور الذي هدمه جرير .

والواقع أنَّ الصنم الذي هدمه جرير هُوَ ذُو الخلصة الذي كان في بلدة تَبَالَةَ المعروفة بقرب بِيشَةَ .

أما ذُو الخلصة الذي في بلاد دَوْسٍ ــ ويظهر أن الأخ الكاتب يجهل موقعه إذ قال : إنه مما يلي اليمن ــ وهو في فَرْعَةِ دَوْسٍ من بلاد زهران ، على مقربة من بلدة ثَرُوق ، لايزال موقعه معروفاً ، وهذا الصنم لم يهدمه جرير ، وإنما هُدِمَ حين هُدِمَتْ أصنام دَوْسٍ بعد إسلامهم وقبل إحراق جريرٍ لذي الخلصة ــ كما فصلت ذالك في كتابي «في سراة غامد وزهران» ص ٣٣٦ إلى ٣٥٠ .

(جبل بيضان): قال الأخ الكاتب : إن جبل بيضان يقع في بلاد بني مالك وليس في بلاد دوس زهران . ثم وصفه ومافيه من الينابيع التي لاتجف ولاتنقص .

وبصرف النظر عن المبالغة في هذا الوصف ، فإن المعروف قديماً أن جبل بيضان كان من جبال غامد ، على ماأوضح أبو علي الهجريُّ ووصفه بأنه المشهور عند العرب والهجري من أهل القرن الرابع .

ومعروف أن القبائل تتنقَّلُ ، وتتغير منازلها ، ووادي بيضان لايزال معروفاً من أودية بلاد زهران ، ينحدر إلى تُرَبَة ، ويبعد عن الباحة نحو عشرة أميال فيما بينها وبين الْمَنْدَقِ ، وفيه عدد من القرى لزهران ، ويظهر أن هذا الوادى أخذ اسمه من اسم (بَيْضَانَ) الجبل الذي تسيل منه فروع أودية مشهورة مثل وادي بَوَاءٍ ووادي ضَرَاءَ ، وهما من روافد وادي تُرَبَة ، ووادي دَوْقَةَ وهو يبدأ من جنوب غربي شفا بيضان ويصب في تهامة .

وهذا الجبل ــ الذي وصفه الكاتب بأن في أعلاه مسجداً وأن ابراهيم بن أدهم

←

أيام العرب : بواعثها وأسبابها

[كانت جريدة «الشرق الأوسط» قد نشرت في ع ٢٩٤٨ تاريخ ١٤٠٧/٤/٢٣ (١٩٨٦/١٢/٢٢) استيضاحاً من الأستاذ محمد حسين زيدان عن قاتل زهير بن جذيمة موجهاً إليَّ هذا نصه:]

زهير بن جذيمة كان السيد المسود في بني عبس ، ولم يكن إلا السيد على غطفان كلها ، قاد الحلف الأعظم بين أسد وغطفان ، نظموا له الخرزات ، يتوجونه ملكاً على الحلف الأعظم ، كأنما هي العدنانية تسعى إلى أن تنافس القحطانية ليكون منهم ملك كما لقحطان ، وبالأحرى كما لغسان بالشام ، كما للخم بالحيرة .

وقد نال معزة رديفاً مذ أصبح صهراً **للنعمان بن المنذر** ، **تزوج ابنته المتجردة** ، **تلك** التي أرادت أن تكرم ابن عمها النابغة الذبياني ، تقدم الشراب بنفسها للنعمان وللنابغة ، فسقط النصيف (**الفوطة أو الجونيلة**)، فإذا النابغة لا ينسى ، ولعله أحب أن يفتخر فإذا هو في معلقته يقول :

سقط النصيف ولم تُرِدْ اسقاطه فتناولته واتَّقتنا باليد

وبعد هذه المقدمة أسأل أستاذنا الشيخ حمد الجاسر عن السيف الذي اغتال زهير بن جذيمة ، فقد حفظت ولعل ذلك من «الأغاني» أن من اغتاله هو الحارث بن ظالم الفاتك المري من مرة غطفان لا من مرة يام . فلقد قالوا إن الحارث بن

هو الذي بناه ــ لايعرف قديماً باسم بيضان ، وإنما يسمى باسم آخر ذكر في أشهر المعاجم اللغوية ، [يجد القاريء كلمة عنه في هذا الجزء من «العرب»] .

وبعد فما أَيْسَر أن يُسيْءَ المرءُ إلى أَخيه ثم يبادر بالاعتذار ، أليس خيراً من هذا أن لاتصدر الإساءةُ إلا بعد التثبت من استحقاق من تنسب إليه ؟!

أما كان الأجدرُ بالكاتب الكريم أن يسأل من هو أعلم منه قبل أن يتهم بالجهل غيره ؟!

حمد الجاسر

ظالم قد اغتال خالد بن جعفر ، السيد الغطريف في بني عامر ثم اغتال زهير بن جذيمة وهو ابن عمه ، **كلاهما من غطفان** .

وسمعت في برنامج «أساطير وملاحم» في صوت العرب أن خالد بن جعفر هو الذي اغتال زهير بن جذيمة ، فإذا أنا بين المفارقة والمقارنة ، فالحارث بن ظالم في خبر الأغاني أنه ترك ديار مضر يخاف لئلا يقتل بخالد بن جعفر وزهير بن جذيمة ، فإذا هو نزيعة عند غسان في الشام ، فتربص به غساني فقتله يسلبه السيف ، يصل **الغساني إلى عكاظ** ينادي على سيف ابن ظالم ، يعرضه للبيع ، فاذا قيس بن زهير الذي ورث السيادة عن أبيه كما ورث الثأر لأبيه ، يتقدم إلى الغساني يتناول سيف الحارث بن ظالم ، يسله ليعرفه ، **فقتل الغساني** ، عز عليه أن يقتل قحطاني غطفانياً ابن عم له ولو كان قاتل أبيه ، **فقيس لو أمسك بالحارث بن ظالم لقتله يثأر لأبيه** ، ولكنه كغطفاني أصبح ولي الدم لغطفاني قتله الغساني . عجب لهؤلاء العرب !

أما الرواية الثانية التي سمعت بها ، فلعلي أكون لها أكثر حفظاً من رواية الأغاني ، فإذا صح أن خالد بن جعفر هو القاتل لزهير بن جذيمة فإن الحارث بن ظالم يقتل خالد بن جعفر حمية يثأر لابن عمه وسيده ، ويصبح ما فعله قيس بن زهير حين قتل الغساني وقد ثأر لمن نصره حين أخذ بثأر أبيه يقتل خالد بن جعفر .

إن هذه الرواية تحيا بها حقيقة وتموت بها أسطورة ، والحارث بن ظالم اشتهر سيفه ، كما اشتهرت الصمصامة ، كما اشتهر ذو الفقار في تراثنا السابق ، وكما اشتهر الأجرب في يد الإمام تركي في ميراثنا الجديد ، حتى أن جريراً وهو يهجو الفرزدق لا يجد سيفاً مثل سيف الحارث بن ظالم فيقول وهو يهجو الفرزدق مع أنه ابن عمه ، كلاهما من تميم قال :

بسيف أبي رغوان سيف مجاشع ضربت ولم تضرب بسيف ابن ظالم

أسأل الأستاذ حمد أن يرجح إحدى الروايتين ، أسطورة الأغاني أم حقيقة البرنامج .

محمد حسين زيدان

ويأبى صديقنا الأستاذ محمد حسين زيدان إلا أن ينأى بنا بعيداً عن واقعنا الذي نَعِيشُه لنتعمقَ في أغوارٍ سحيقةٍ من ماضي تاريخنا القديم ، ولنسيرَ في مجاهِلَ منه هي كبيداء المتنبيء :

يَتَلَوَّنُ الْخِرِّيْتُ مِنْ خَوْفِ التَّوَى فِيهَا كَمَا تَتَلَوَّنُ الْحِرْبَاءُ

إنه يُقْدِمُ على ذَالكَ غيرَ هيَّابٍ ولا وجِلٍ مما سيقابل به شُدَاةُ الأدبِ من أبناء هذا العصر الخوضَ في هذه المباحث في صحيفة قلَّ أن تُعْنَى بما لايرتبط بالحياة المعاصرة ، فينظر هاؤلاء الشُّدَاة ــ إنْ لم يكن كلَّ جَمهرةِ القراء ــ إلى موقفِ كلِّ من يتصدَّى لنبش الماضي بعين الاستخفاف والسخرية ، ولكنَّ الأستاذ الزيدان ــ زاده الله قوة وتوفيقاً ــ يَبْرُزُ في الميدان مُصَاوِلاً مُجاولاً ، مُساجلاً :

مَنْ يُسَاجِلْهُ يُسَاجِلْ مَاجِداً يَمْلأُ الدَّلْوَ إلى عَقْدِ الْكَرَبْ

ولابِدْعَ أن ينجليَ عنه غبارُ المعركة منتصراً مفتخراً مسمعاً أولئك الشُّدَاة :

وابن اللَّبُونِ إذَا مالُزَّ في قَرَنٍ لَمْ يَسْتَطِع صَوْلَة البُزْلِ الْقَنَاعِيْسِ

أما وقد رفع الراية وتقدَّمَ فليكن السير معه على بركة الله حيث أراد .

لقد كان من أُمنيتي قديماً أن تَنْصَبَّ عنايةُ دارسي تاريخ العرب قبل الإسلام على المأثور من الشعر والأخبار الواردة عن ذالك العصر ، مما تضمنته المصادر القديمة التي وصلت إلينا ، دون تَأثُّرٍ بما كتبه متأخرو المؤرخين في عصرنا ، فعلماء الآثار لاتزال جهودُهُمْ تتجدَّدُ ، والمعنيون بالتراث القديم يستمر نشاطهم بإمدادِ الباحثين بما يحققونه من مخلفات المتقدمين في مختلف العلوم ، ومنه ماكان منسياً أو مجهولاً أو مهملاً ، وفي كل ذالك مالا يعدم الباحث فيه مايضيف جديداً إن لم يُغَيِّرْ بعض النظراتِ الراسخة من أثر دراسات أولئك المؤرخين المتأخرين .

ولعل من أبرز حوادث ذالك التاريخ ماعرف بـ(أيام العرب)، فبعض من تصدَّى لبحثها منَ المتأخرين من أهلِ عصرنا يُقَلِّلُ من أهمية بواعثها ، فيرجعها إلى نزواتٍ عاطفية ، وخلافات فردية تافهة تدور حول الخلاف على موارد المياه ، أو حدود المنازل ، أو الاشتراك في المراتع والمرابع ، ويرى أنها لاترتفع لتصل إلى

دوافع ذاتِ جذور عميقة في الحياة العربية .

ولعل من أسباب هذه النظرة القاصرةِ أنَّ مايتعلق بتلك الأيام من الأخبار والأشعارِ قلَّ أن يجده الباحث كاملاً في أيِّ مصدر من مصادر التاريخ التي أمامه ، وإنما يجد قصصاً غير كاملة ، ونُتَفاً مفرقةً ، وأشعاراً مبعثرة مما يتطلب كله دراسة متأنِّيَةً تُعْنَى بجمع ماتفرق منه وبالمواءمة بين أخباره وقصصه وشواهده من الأشعار ، لإكمال النقص ، ثم الاستعانة على ذالك بدراسة مواقع الأحداث لِيَبْدُوَ الترابطُ بينها واضحاً مما يعين على إدراك الحوادث على حقيقتها .

ومن ثَمَّ يتضح أن وقائعَ التاريخ في تلك الأيام ترتكز على أسس قوية من مظاهر الحياة الاجتماعية التي تتصف بها الأمة العربية ، كالمحافظة على الكِيَان وحمايةِ الحوزة ، ودفْعِ الضيم ، وإباءِ الاستعباد ، وعدمِ الخنوع للسيطرة أو التغلب من أيَّةِ قوة كانت .

وإذا نظرنا إلى ماأشار إليه أستاذنا محمد حسين زيدان في هذه الجريدة (ع ٢٩٤٨ الأربعاء ١٤٠٧/٤/٢٣ ـ ١٩٨٦/١٢/٢٢] بهذه النظرة يتضح لنا ذالك جَلِيًّا .

فزُهَيْر بْنُ جُذيمة العبسي كان سيدَ قبيلة غَطَفَان التى تُنْمَى إليها قبيلته عبس . وكانت هذه القبيلة من أبرز قبائل الجزيرة ، وهي تحلُّ مَسَاحَةً واسعة في عالية نجد ، تمتد من بلاد القصيم غرباً حتى تبلغ مشارف المدينة المنورة ، فتشمل بلادها واحتَيْ خيبر وفَدَك (الحائط) كما تنتشر على ضفافِ وادي الرُّمَة من أعاليه المنحدرة من حَرَّة خَيْبر حتى وسط حوضه غرب منطقة الرَّسِّ ، وهذه المنطقة التي تحلها بلادُ غطفان تعتبر من أخصب بقاع الجزيرة ، ولهذا كانتْ قبيلةُ غطفان ذاتَ نفوذٍ قوي بين القبائل في ذالك العهد ، فليس غريباً والحالة هذه أن يصبح زهير بن جذيمة سَيِّدُ هذه القبيلة بمنزلة من القوة تمكنه من بسط نفوذه على قبائل أخرى من قيس عيلان كهوازن فيفرض عليها إتاوةً سنوية يسومها الخسف والذل في كل عام لنيل تلك الإتاوة .

وليس غريباً أنْ يسمو مقامُ هذا الزعيم القبلي لدى ملوك الحِيْرة ممن اتخذت

منهم الدولة الفارسية دَرِيْئَةً تحول دون التعرض لأطراف ممالكهم المتصلة بالجزيرة ، وأن يتقرب إليه بعض أولئك الملوك بالمصاهرة كما فعل النعمان بن امريء القيس ، جد النعمان بن المنذر .

ولكن العرب وقد عُرِفَ أنَّ من أبرز طباعهم عدمَ الانقياد والرضوخ للذل ــ لم يصبروا على سُوْءِ معاملة زهير ، فكان أن تصدَّى رجلٌ من قبيلة غَنِيٍّ من هوازن لقتل أحدِ أبنائه ، وهو شأس بن زهير ، حين مَرَّ به عائداً من الْحِيرة ، بعد أن حباه الملك النعمان فأجزل له الْحِبَاء .

وتُعْرف حادثة قتل شأس بن زهير بين أيام العرب بـ (يوم مَنْعِج) . وَمْنِعج هذا وادٍ كان يعرف إلى عهد قريبٍ باسم (ملْعِج) ثم بعد أن أُنْشِئَتْ على ضفافه هجرة مشهورة من هجر البادية تدعى (دُخْنَةَ) أصبح الوادي مضافاً إلى هذه الهُجْرَة فيدعى (وادي دُخْنَةَ) ويقع في الجنوب الغربي من منطقة القصيم ، وكان الغنويُّ إذ ذاك نازلاً على منهل (نَفْءٍ) الذي أصبح الآن من أكبر هجر البادية وينطق اسمه (نفي) بقلب الهمزة ياء من قبيل التسهيل وهي لهجة معروفة .

لقد ازداد عُتُوُّ زُهَيرِ بن جذيمة بعد قتل ابنه ، وساء تصرفه ، وسام قبيلة هوازِنَ سُوْءَ العذاب ، فهل تصبر على هذا؟

لقد اندفع أحد زعمائها وهو خالد بن جعفر الكلابي من بني كلاب ثم من بني عامر بن صعصعة من هوازن فتصدَّى لقتل زهير ومن شعره في ذالك .

أَبْلِغْ هَوازِنَ كيف تُنْكِرُ بَعْدَمَا أَعتقْتُهُمْ فَتَوالَدُوا أَحْرَارَا
وقَتَلْتُ رَبَّهُمُ زُهَيْراً بَعْدَمَا جَدَعَ الأُنُوفَ وأكْثَر الأَوْتَارَا

وتعرف هذه الحادثة بين أيام العرب بـ (يوم النَّفْرَاوات) . والنفراوات أكماتٌ بارزة في صحراء رُكْبَةَ لاتزال معروفة، في تلك الصحراء المستوية الممتدة في عالية نجد المعروفة بهذا الاسم .

إنَّ من طبيعة العربي المتأصلة في نفسه الأَخْذَ بالثأر ، لأنه يرى في ذالك صيانةً لعرضه ، وحفاظاً على كيانه ، ويرى أنَّ حياتَهُ تتوقف على قوته التي فيها حمايته .

ومن هنا فقد قام أَحَدُ سادة غطفان وهو الحارث بن ظالم المُرِّي بأخذ الثأر لقبيلته من قبيلة هوازن .

ولم ينفع خالدَ بنَ جعفر التجاؤُهُ بالملك النعمان بن امرىء القيس في الحِيرة ، ولم تُجْدِهِ ماأحاطه به الملك من أسباب الحماية والقرب .

كان ذالك بعد أن عزم قومُ زهيرٍ على حَرْبِ هوازنَ ، إلَّا أنَّ الحارثَ طلب منهم أنْ يَكْفُوُه حربَ هوازن وتعهد أن يكفيهم سَيِّدَهَا خالدَ بن جعفر ، فسار حتى قدم الحِيرة وافداً على ملكها ، وبينما هو وخالد جالسان يتحدثان عند الملك النّعمان ظهر للنعمان من الحارث مادفعه أن يُحَذِّرَ خالدا منه ، فقال خالد : هذا الرجل لي عنده يَدٌ عظيمة ، قتلت زهيراً وهو سيد غطفان فصار هذا سَيِّدَهَا الآن . أَضْمرها الحارث بن ظالم في نفسه حتى أظلم الليل ، فهجم على خالد في قبته التي كان أَعَدَّها له النعمان فقتله وهرب .

لـم يقـفِ الأمر عند هذا الحد بل اشتعلت نارُ الحرب بين قبائل الجزيرة ، وكان وراءها من يُذْكي أُوارهَا من صنائع الدولتين اللتين كانت سيطرتهما ونفوذهما تمتدَّانِ إلى أطراف الجزيرة فارس والروم ، لقد اتخذ ملكُ الحيرة وهو صنيعة للدولة الفارسية من فعلة الحارث وسيلةً لكي يتوغل في غزو العرب في عُقْرِ دارهم ، فكان من جَرَّاءِ ذالك وقعةُ (يوم أُرِيْك) على بني ذبيان من غطفان وحلفائهم من بني أسد بن خزيمة ، وأرِيك الذي سُمِّيَ اليوم باسمه وجرت الوقعة بقربه جبلٌ لايزال معروفاً على مقربة من ماوان ، يشاهده المتجه من بلاد القصيم إلى بلدة عَفِيفٍ عن بُعْدٍ على يمينه ، وينطق باسم (ريك) كعادة العامة في عدم النطق بالهمزة ، والاسم يطلق على جبلين اثنين متقاربين ، كما يطلق على غيرهما .

ثم كانت أيام أُخرى من أشهرها (يوم رَحْرَحان) لقبيلة بني عامر على بني تميم، حين التجأ الحارث بن ظالم إلى التميميين فأغار عليهم العامريون . ورَحْرَحَان جبل لايزال معروفاً يشاهده المتجه إلى المدينة المنورة حين يحاذي بلدة الحناكية يشاهده على يساره عن بُعْدٍ .

ومن تلك الأيام (يوم شعب جبلة)، وجبلة من أبرز جبال العالية معروف .

ولايتسمع المقام للاسترسال في الحديث عن هذه الوقعات .

ومما تقدم يتضح :ـ

١ ـ أن الذي قتل زهيرَ بن جُذَيمة هو خالد بن جعفر الكلابي العامري الهوازني .

٢ ـ أن الذي صاهر زهير بن جذيمة ليس النعمان بن المنذر بل النعمان بن امريء القيس جد النعمان بن المنذر (انظر كتاب «الكامل في التاريخ» لابن الأثير ١/٥٥٦).

٣ ـ أن المُتَجَرِّدَةَ زوج النعمان بن المنذر ليست ابنة زهير ، بل هي جعفرية عامرية ، فقد كانت حين قتل خالد بن جعفر ممن بكاه وشقَّ عليه الجَيْبَ ، وفي ذالك يقول عبدالله بن جعدة الكلابي في رثاء خالد :

شَقَّتْ عَلَيْكَ العَامِرِيَّةُ جَيْبَهـا أسفاً وما تَبْكِي عَلَيْكَ ضَلَالا

ـ انظر «نهاية الأرب» للنويري ١٥/٣٤٩ ـ و«الكامل» لابن الأثير ١/٥٦٠ ـ وفيه :

شقت عليك الجعفرية . . الخ

وما أرى المتجردة وهي زوجة مَلِكٍ تبلغ من التَّبَذُّلِ درجةً تجعلها تقدم الشرابِ للنابغة مع زوجها بحيث يَسْقُطُ النَّصِيفُ وهو الخِمَار الذي تغطي به المرأة رأسها لا (الفوطة) ولا (الجونيلة).

ورواة الخبر من المتقدمين يقولون : بأنها دخلت على الملك وعنده النابغة على غِرَّةٍ ، فجفلتْ وانصرفتْ فسقط الخمارُ عن رأسها فَغَطَّتْ وجْهَهَا بيدها ، وعلى هذا يقول النابغة :

سَقَطَ النَّصِيفُ ولَمْ تُرِدْ إسْقَاطَهُ فَتَنَاوَلَتْـهُ واتَّقَتْنَـا بِـالْيَـد

٤ ـ وعن الحارث بن ظالم الذي التجأ إلى يزيد بن عمرو الغساني في الشام ، فإن قتله من قِبَل مُجيره يزيد ، لِأَنَّ الحارث عدَا على ناقة كريمة من إبل يزيد ←

ملاحظات حول كتاب :

«المعجم الكبير»

يقوم مجمع اللغة العربية منذ سنين بتأليف معجم شامل وافٍ يحوي مفردات اللغة العربية مع مااستجد من كلمات الحضارة ومصطلحات العلوم والفنون ، وقد أكمل منه حرفي (الألف والباء) جاء كل حرف في مجلد ضخم ، ولا يزال المجمع يوالي تأليف هذا المعجم ، فتقوم لجانه ومجلسه بجمع المواد وتنسيقها وترتيبها ودراستها ثم اعدادها لتعرض على (مؤتمر المجمع) الذي ينعقد كل سنة حيث يتولى دراستها وما أقر منها أضيف إلى المعجم ، وأصبح معداً للنشر .

وفي ٨ رجب ١٤٠٧هـ (٨ مارس ١٩٨٧م) كانت المواد المعروضة على المؤتمر من حرف (الحاء) تبتديء من كلمة (حجج) وتنتهي بكلمة (حدأ) ، وقد تناولها الأعضاء بالبحث وأبدى كثير منهم ملاحظاته حولها ، وهاهي ملاحظاتي :

١ ــ ص ١٨٤ : (قال ابنُ مُقْبلٍ مخضرم) :

فنحرها ، فعلم يزيدُ بذالك من رجل تغلبي يُدْعى الْخِمْس ، فما كان من الحارث إلا أن قتل هذا التغلبي ، فأمر يَزِيدُ ابْنَ المقتولِ بقتل الحارث وأَخْذِ سيفه .

وفي سُوق عكاظ حضر هذا التغلبيُّ ومعه سيف الحارث يظهره للناس مُبَاهِياً بفعله ، فما كان من قيس بن زهير بن جُذَيمةَ إلَّا أَنْ أَخَذَهُ منه وضربه به فقتله ــ انظر «نهاية الأرب» ١٥/٣٥٦ ــ ولعل في هذا الخبر مايوضح ماأورده ابنُ الأثير في «الكامل» ــ ١/٥٨١ ــ من أن قيس بن زهير لما ترهَّبَ وفارق قومه ، وساح في الأرض حتى انتهى إلى عُمَان لقيه رجل عَبْدِيٌّ فقتله ، وقال : لارحمني الله إن رحمتك!!

أترى هذا العبدي ــ وعبد القيس من ربيعة ــ كان مدفوعاً إلى هذا ليثأر لابن عمه التغلبي الرَّبَعِي؟! هذا هو ظاهر هذا الخبر .

ولأستاذنا الجليل الزيدان أطيب تحية .

حمد الجاسر

فأَمْسَتْ بأَذْنَابِ المَرَاخِ فأَعْجَلَتْ بَرِيماً حَجَاجَ الشَّمْسِ أن يَتَرَجَّلَا

(س/١٥٤)

رواية بيت ابن مقبل على مافي «معجم مااستعجم» و«معجم البلدان» :

وأمست باكناف المِراح وأعجلت بُرَيْماً حِجاب الشمسِ أنْ يَتَرَجَّلَا

وضبط البكريُّ بُرَيْماً: بضم الباء وكذا ينطق اسم الماء الآن الذي لايزال معروفاً وهو آبار على مقربة من جبل حضن في عالية نجد .

٢ ــ ص ١٨٨ : (الحَجِيجُ : جمع الحاج ، قال الشاعر :

ذكرتُكِ والحجيجُ لهم ضجيجٌ بمكة والقلوب لها وَجِيبُ

(مق)

البيت لمجنون ليلى على ماجاء في ديوانه جمع الأستاذ عبدالستار فراج ، ومصادره «الموشّى» و«الحماسة البصرية» .

وفي «ذيل الأمالي» نُسِب لنمير بن كُهيل الأسدي .

٣ ــ ص ١٩٥ : (والحاجر: منزِلٌ من منازِلِ الحاج في البادية (ل) .

و ــ مكان بطريق مكة)

التعريفان لموضع واحد ، فالحاجر كان من المنازل الواقعة بطريق الحج الكوفي وهو آبار ومنزل في بطن وادي الرُّمَةِ في الشمال الغربي من منطقة القَصِيم بين هجرتي عُقْلَةِ الصقور والبعايث شرق الأخيرة بسبعة أكيال .

٤ ــ ص ١٩٦ : (و ــ الحجَّار : اسمُ رَجُلٍ هو ابن أَبْجَد بن جابر العِجْلِي ، أحدُ حُكَّامِ العرب ، وهو الذي قال لما أَوْصَى وَلَدَهُ حجَّاراً : أكْثِر من الصَّدِيق فإنَّكَ على العَدُوِّ قادِرٌ (ق ، ت)

حَجَّار : اسم رجل من بكر بن وائل . (ل) .

حِجَّار : اسم رجل ، هو حِجَّارُ بن أَبْجَد . (ق ،ت)

التعاريف الثلاثة فيما يظهر لرجل واحد ، فبنو عجْلٍ هم بنو عجل بن لُجَيْم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل .

صواب الاسم : حجار ــ بدون تعريف ــ بن أبجر ــ بالراء لا بالدال ــ كما في «التاج» . وقد ترجم في «الاصابة» ــ ١٩٥٥ ــ في القسم الثالث فيمن أدرك النبي (ﷺ) ولم يره .

٥ ــ ص ١٩٧ و ١٩٨ : (و ــ حَجْرُ : قَصَبَةُ اليَمَامَةِ . (ل، ت) .

قال الراعي (٩٠هـ ــ ٧٠٩م) يصف صائداً :

تَـوَخَّى حَيْثُ قـال القَلْبُ منـه بِحَجْـرِيٍّ تَـرَى فيـه اضـطِمَـارَا

(ل)

قال: ظَنَّ : بِحَجْرِيٍّ : إنما عَنَى نَصْلاً مَنْسُوباً إلى حَجْرٍ ، قال أبو حنيفة : (وحَدَائِدُ حَجْرٍ مُقَدَّمَةٌ في الجَوْدَةِ) .

وقيل : هي سوق اليمامة (ل، ت) محالة على الأستاذ الشيخ/ حمد الجاسر)

والجبال والوادي يطلق على كل واحد منهما اسم حَجْر ، وتقع الجبال بشمال حَرَّة خيبر : والوادي تنحدر فروعه من أطراف حرة خيبر الشمالية ويسير متجهاً صوب الشمال بمحاذاة سلسلة حَجْر : حتى يفيض في صحراء الصَّحْنِ ، وقد ذكر الوادي والجبال في شعر الرَّمَاحِ بْن أبرد (ابن مَيَّادة) . وتسمى أيضاً (حَجْرَةُ دوس) كانت بها وقعة بين دوس وكنانة (ت) ولاتزال معروفة ، وهي قرية في تهامة غرب سراة زهران ، وتقع شرقَ ميناء اللِّيْث ، وسَيْلُهَا يُفْضي إلى وادي عِلْيَبَ الذي يفيض في البحر جنوب الليث) .

هذا الكلام خلط بين ثلاثة مواضع :

١ ــ حَجْرُ قصبة اليمامة ــ أي قاعدتها ــ وفيها سوقها في صدر الإسلام إلى ماقبيل القرن العاشر ، وقد درس الاسم الآن وقامت على أنقاض مدينة حَجْرٍ

مدينةُ الرياض ــ قاعدة المملكة العربية السعودية .

٢ ــ حَجْرٌ الوادي يقع شمال حَرَّةِ خيبر في الحجاز ، والاسم يطلق على وادٍ وجبالٍ تَلُبُّ به ، ذكره ياقوت في «المعجم» بقوله: والحَجْرُ جبلٌ في بلاد غطفان ، والْحَجْرُ وادٍ بين بلاد غطفان وعذرة . انتهى ، وقد ذكره الرماح بن أبرد المعروف بابن مَيَّادَةَ في شعره ، ومن قوله :

تَتَبَّــعُ من حَجْـرٍ ذُرَا مُتَمَنِّــعٍ لهَا مَعْقِلٌ في رأْسِ كلِّ طَمَارِ

ووادي حَجْرٍ هذا تنحدر فروعه من الجانب الشمالي لحرة خيبر ، ويتجه صوب الشمال بمحاذاة سلسلة من الجبال تُدْعَى حَجْراً أيضاً حتى يفيض في صحراء الصَّحْنِ غربَ جبال حجر ، ويقع بين خطي الطول ٣٩°/٠٠ و٣٩°/١٥ وخطي العرض ٢٥°/٥٠ و ٢٦°/١٥ ــ .

٣ ــ حَجْرَةُ دَوْس : ذكرها ياقوت في «المعجم» فقال: روضة الحجرة حجرة دوس . . . كانت فيها وقعة بين بني كنانة ودوس . . قال ابن وهب الدوسي :

إن تُؤْتَ حَجْرَتُنَا نَعْقُدْ نواصِيَها ثم نَكُنْ كالَّذِي بالأمسِ يعتدلُ
نُحِبُّ رَوْضَاتِنَا جُـدْبـاً ومُمرِعَـةً كـما تُحَبُّ إذا ماصحَّتِ الإبِـلُ

وهي بلدة مضافة إلى قبيلة دوس الزهرانية الأزدية التي لا تزال معروفة ، وتعرف هذه القرية الآن بدون إضافة (الحجرة) وهي واقعة في تهامة غرب سراة زهران ، وسكانها بنو سُلَيم من دوس ، وهي مقر إمارة يتبعها عدد من القرى وتعداد نفوس الإمارة نحو سبعة آلاف نسمة .

٦ ــ ص ١٩٩ : (قال الشاعر :

رَمَتْنِي وَسِــتْرُ الله بَيْنِي وبينهــا عَشِيَّـةَ أَحْجَـارُ الكِنَــاسِ رَمِيمُ

الرَّمِيمُ : الفتات من الخشب والتبن .

قال ابن الأعرابي :

أراد عَشِيَّة رَمْلِ الكِنَاسِ ، ورملُ الكِناس من بلاد عبدالله بن كلاب .

(ل ، ت).

الرَّمِيمُ في هذا البيت ليس الفتات من الخشب والتبن ، بل هو غير معرف (رَميم) اسم امرأة على مافي كتب اللغة كـ «لسان العرب» و«تاج العروس» رسم (رمم) وبعد هذا البيت :

رَمِيمُ التِي قالتْ لجارَات بَيْتِها: ضَمِنْتُ لَكُمُ أنْ لاَيَـزَالُ يَهِيْمُ

وهو في «حماسة أبي تمام» : ــ ج ٢/ص ١٦٩ تحقيق الدكتور عبدالله عسيلان من مقطوعة لأبي حية النُّمَيري وكذا في «الكامل» للمبرد و«الأمالي» للقالي و«سمط اللألي» للبكري ، مع أنه نسبه في «معجم ماستعجم» رسم (كناس) للأعور بن براء من بني عبدالله بن كلاب .

٧ ــ ص ١٩٩ : (و ــ حَجَرُ : لقب جَدٍّ إمام الأئمة الحُفَّاظ شهاب الدين ، أبي الفضل ، العسقلاني الكناني المصري ، المعروف بابن حَجَر أو بابن البزار (ت).

وصف الحافظ ابن حجر بأنه : إمام الأئمة يغني عنه قول : أَحَدُ الحُفَّاظ .

فتلك الصفة تنطبق عليه في عصر الزَّبِيدي الذي وصفه بها ، أما قبل عصره وبعده ففيها مبالغة .

٨ ــ ص ١٩٩ : (الْحَجَرُ الأسودُ ويسمى الأسعد كرمه الله).

لا خلاف في فضل الحجر الأسود ، ولكن تسميته بالأسعد ليست ثابتة عن أحد من السلف الذين هم القدوة وبهم الأُسوة .

٩ ــ ص ٢٠١ : (بنو حجر : قبيلة باليمن (ت) تسكن خِيوان ولم تزل تحمل هذا الاسم) .

ضبطت خيوان ضبط قلم بكسر الخاء .

والذي نص عليه المتقدمون فتحها .

ولا أدري هل ذكر (بني حجر) المذكورين هنا من شرط هذا «المعجم» ؟

١٠ ــ ص ٢٠٣ : (وأحجار الزيت : موضع متصل بالمدينة قريب من الزوراء ، إليه كان يبرز رسول الله ﷺ ــ إذا استسقى ، وفي خبر ابن وهب عن عمير مولى أبي اللحم : انه رأى النبي ﷺ ــ يستسقي عند أحجار الزيت قريباً من الزوراء رافعاً يديه قبل وجهه ، لايجاوز بهما رأسه . (مس) . يحال على الأستاذ الشيخ : حمد الجاسر).

أحجار الزيت على ماحدد مؤرخ المدينة السمهودي في كتابه «وفاء الوفاء» يطلق على موضعين أحدهما : موضع كانت فيه أحجار كان الزياتون يضعون أوعيتهم فوقها ، وقد زالت تلك الأحجار وكانت بقرب موضع من سوق المدينة يسمى الزوراء ، وفي ذالك الموضع كانت دار للخليفة عثمان تعرف باسم الزوراء لوقوعها في ذالك السوق الذي درس ودرست الدار معه ، وعند أحجار الزيت تلك كان الرسول ﷺ يصلي صلاة الاستسقاء .

والموضع الثاني : المعروف باسم أحجار الزيت يقع في الحرة وهي حرة واقم الواقعة في شرق المدينة والاسم يطلق على قطعة من تلك الحرة تسمى بهذا الاسم كأنما طليت بالزيت لسواد أحجارها وهذا الموضع له ذكر أيضاً في الأخبار ــ انظر «وفاء الوفاء» ص ١١٢٢ .

١١ ــ ص ٢٠٣ : (الحجر قَصَبةُ اليَمَامَة) (ت) .

١ ــ هذا التعريف من صاحب «التاج» والمعروف حَجْر ، وأداةُ التعريف لا تدخل على الأعلام إلا سماعاً ، ولم أر اسْمَ حَجْرٍ فيما قرأت من الشعر الوارد فيه اسم حجر معرفاً .

٢ ــ تقدم ذكر حجر في موضعين ــ ١٩٧/١٩٩ .

١٢ ــ ص ٢٠٤ : (أَبْرَقا حُجْرٍ : جَبَلان على طَرِيق حَاجِّ البصرة ، بين جَدِيلةَ وفَلْجَةَ ، كان حُجْرُ أبو امْرِىء القيس ينزلهما ، وهناك قَتَله بنو أسد (ت) . تحال على الأستاذ الشيخ حمد الجاسر) .

أَبْرَقا حُجْر جبلان يكتنفان طريق الحج البَصْري الذي كان يخترق نَجْداً وهما يقعان غرب منهل الجديلة الواقع غرب ضرية باثنين وثلاثين ميلاً ، والأبرقان بعد هذا المنهل بأربعة عشر ميلاً وهما متعشى ــ أي مكان للاستراحة وقت العشاء ــ فالمسافة بينهما وبين ضرية ستة وأربعون ميلاً ، أي مايقارب مئة كيل . وهذا التحديد مقتبس مما ذكره صاحب كتاب «المناسك» ــ ٦٣٥/٥٩٧ ــ .

١٣ ــ ص ٢٠٤ : (حجر قرية باليمن من مخاليف بدر منها يحيى بن المنذر) .

أصل هذا في كتابي «الاكمال» ــ ٨٩/٣ لابن ماكولا و«المشتبه» ــ ٢١٩ ــ للذهبي ، ولكن لم يرد في هذين الكتابين ذكر القرية .

ولا أدري أمن شرط هذا «المعجم» ذكر مثل هذه المادة ، فشرطه إيراد ماله قيمة تاريخية أو نُسِب إليه علماء مشهورون، وهذا المنسوب إلى هذه القرية ــ إذا صح أن هناك قرية بهذا الاسم ــ من المغمورين لامن العلماء المشهورين .

١٤ ــ ص ٢٠٥ : الحِجْرُ حَطيم مكة ، وهو المدار بالبيت) .

١ ــ اضافة الحطيم إلى مكة فيه تَوَسُّعٌ ، والصواب حطيم الكعبة .

٢ ــ كلمة (المدار بالبيت) يحسن أن تُقَيَّد بكلمة: من جهة الشمال: فالحِجْرُ ليست استدارته بالبيت تامَّةً ، وإنما في الجانب الشمالي منه ، وسيل الكعبة ينزل فيه .

١٥ ــ ص ٢٠٥ : (والحِجْرُ : ديار ثَمُود ناحية الشام عند وادي القُرَى بين المدينة والشام ، كان يسكنها قوم صالح النبي عليه السلام ، وهي بيوت منحوتة في الجبال مثل المَغَاور ، وكل جبل منقطع عن الآخر يطاف حولها ، وقد نُقِر في هذه الجبال بيوت تقل وتكثر على قدر الجبال التي تُنقر فيها ، وهي بيوت (غرف) في غاية الحسن فيها بيوتٌ وطَبَقات . (ت) .

هذا الكلام الذي أورده صاحب «التاج» فيه مبالغات ، وأرى الاكتفاء بالقول: الحِجْرُ ورد في «القرآن الكريم» : ﴿ولقد كَذَّبَ أصحابُ الْحِجْرِ

المرسلين﴾ وهو اسم وادٍ لايزال معروفاً في شمال الحجاز ، هو أعلى وادي مَدِينةِ العُلاَ يبعد عنها بنحو ٣٥ كيلاً وفيه آثار منحوتة في الجبال ، غُرَفٌ محفورة (مقابر) وفوق مداخلها نقوش وكتابات ، وقد قام كثير من علماء الأثار بدراسة آثار الحجر والكتابة عنها ، وفي الوادي مزارع قليلة على آبار لقبيلة عَنَزَة ، ويبعد الحجر عن المدينة المنورة ٣٤٥ كيلاً ــ شمالاً ــ .

١٦ ــ ص ٢١٢ : (الحُجَرِيَّةُ : قريةٌ بِالْجَنَدِ من قُرى اليمن ، منها: يحيى بن عبدالعليم ابن أبي بكر الحُجَرِيُ ، أخذ عن ابن أبي مَيْسَرة) .

أصل هذا في كتاب «تبصير المنتبه» ولكن بنص : يحيى بن عبدالعليم الحُجَرِي من قرية باليمن ولم يسمها ، فزاد شارح «القاموس» : الحجرية قرية بالجند . الخ ، والحجرية ليست قرية ولكنها منطقة واسعة .

ولا أدري هل ذكر هذه المادة من شروط «المعجم» ؟

ومما لم يرد ذكره من أسماء المواضع ــ في هذه المادة ــ ٱلحَجْر ــ بفتح الحاء وإسكان الجيم ــ وهو اسم قرية لبني سُلَيْم بقرب الرَّحْضِية وصفها عَرَّام بن الأصبغ في رسالته ــ ٤٢٧/٤٤٩ «نوادر المخطوطات» فذكر أنَّ حذاءها جبل يقال له: قُنَّة الحَجْر ، وأورد شاهداً من الشعر هو :

أَلاَ لَيْتَ شِعْرِي هل تَغَيَّرَ بَعْدَنَا أَرُومٌ فَـآرامٌ فَشَابَـةُ فَـٱلحَضْرُ
وهَلْ تَرَكَتْ أُبْـلَى سَوَادَ جِبَـالِهَا وهَلْ زَال بَعْدِي عَن قُنَيْتَهِ ٱلحَجْرُ

وهذه القرية تسمى الآن الحَجْرِيَّة ، وتقع في شمال جبل أُبْلَى بمنطقة المهد (معدن بني سُليم قديماً) .

١٧ ــ ص ٢١٣ : (مُحَجَّرٍ ــ بفتح الجيم وكسرها ــ ماء أو اسم موضع بعينه شرقي جبل سلمى ، وكانت فيه وقعة بين غَنِيّ وطَيِّءٍ ، قال ابن بَرِّي : وشاهده قول الطفيل الغَنَوي (١٣ ق هـ = ٦١٠م) .

فُـذُقُوا كَـمَا ذُقْنَـا غَـدَاةَ مُحَجَّـرٍ مِنَ ٱلْغَيْظِ فِي أَكْبَادِنَا والتَّحَوُّب)

يلاحظ على هذا :

ـ مُحَجر في الأصل وصفٌ كما في قول أبي زياد : مُحَجَّرُ جبلٌ حوله رملٌ حُجِّرَ بِهِ ـ «شرح المعلقات» للتبريزي ٢٠٨ ولابن الأنباري ٣٣٥ ، وقال البكري في «معجم مااستعجم» ١٨١ : كل جبل أَزَّرَهُ رَمْلٌ فهو مُحَجَّرٌ .

ثم أصبح الوصف علماً لجبال ومواضع كثيرة ، ذكر بعضها البكريُّ وياقوت في معجميهما ، منها :

١ ـ جبل في ديار طيِّءٍ ، ولعل هذا هو أشهر تلك المواضع ، فقد ورد في معلقة لَبِيد بن ربيعة العامري وفي شعر بشر بن أبي خازم الأسدِي وزيد الخيل الطائي ، وطُفَيْلٍ الغَنوي وبقربه جرت وقعة بين قبيلتي غَنيٍّ وطيِّءٍ ، وهذا الجبل يعرف الآن باسم (المِسْمَى) وهو سلسلة من الجبال واقعة بين خطي الطول ٠٠/٤٠° و٣٥/٤٠° وخطي العرض ١٥/٢٧° و٤٥/٢٧° غرب بلاد طَيِّء على مقربة من رمال النفود الكبير (عالج قديماً) وفي طرف هذه السلسلة من الشمال فَرْدَةُ والرِّجَام الجبلان المذكوران في معلقة لبيد ولا يتسع المجال لزيادة التفصيل .

٢ ـ مُحَجَّرُ أيضاً قرنٌ (جبل صغير) في أسفله جرعةٌ بيضاء حُجِّرَ بها واقع في ديار بني أبي بكر بن كلاب بفرع السُّرَّةِ في عالية نجد .

٣ ـ جبل في ديار بني يربوع من تميم شرق الدهناء .

٤ ـ قرن (جبل صغير) مُؤَزر بجرعة بيضاء في أسفله ، واقع في أطراف السِّبَال من بلاد بني عُذْرَة في شمال الحجاز .

٥ ـ جبل في ديار بني نُمير ، وبلادهم شرق عرض شَمَام وغَرْبَ بلاد السِّرِّ .

٦ ـ جبل في ديار بني وَبَرِ بن الأضبط من بني كلاب بقرب أَسْودِ العين في عالية نجد غرب ضَرِيَّةَ .

٧ ـ موضع في حضرموت ورد ذكره في كتاب الرسول ﷺ لأقوال شَبْوَة .

٨ ـ موضع في بلاد بني كعب بن ربيعة في الجنوب الغربي من منطقة اليمامة

ورد ذكره في شعر تميم بن أُبَيٍّ بن مُقْبِل .

والشواهد على كل ماتقدم يمكن استقاؤها من مراجعها .

١٨ ــ ص ٢١٧ : (ومِحْجَرٌ : قرية معروفة ، جاء ذكرها في حديث وائل بن حُجْر .

وقال ابن الأَثِير : هي حظائِرُ حول النخل : وقيل حدائق) .

كلمة محجر هنا وقع الاختلاف في ضبطها فقد وردت في كتاب «أخبار المدينة» لابن شبة ــ ٢/٥٨٠ ــ : (حجر) حين ذكر وفود وائل بن حُجْرٍ على رسول الله ﷺ ، قال: وكتب له: «من محمد رسول الله لوائل بن حُجْرٍ وبني مَعْشَرِ وبني ضَمْعَجٍ أنَّ لهم شبوة وتنعة وحجراً والله لهم ناصر» . وشبوة وتنعة وحجر قرى . انتهى ، وكلمتا شبوة وتنعة محرفتان في المطبوعة ومهملتان من الإعجام في المخطوطة .

وجاء في كتاب «منال الطالب» لابن الأثير ــ ص ٦٩ ــ : مَحْجَرُ قرية معروفة بحضرموت وقيل هو محجن بالنون موضع معروف ، ومحاجن النخل حظائر تتخذ حولها . لهذا يحسن التثبت من قول ابن الأثير .

١٩ ــ ص ٢١٧ : (حَنْجَرُ: أرض بالجزيرة لبني عامر، وهي من قِنَّسْرِيْنَ ، سميت بذلك لتجمع القبائل بهذا واغتصاصها، أي امتلائها بالقبائل).

(ت)

١ ــ يلاحظ على هذه المادة أنها ليست في كتاب «تاج العروس» الذي رمز له في آخرها بحرف (ت) .

٢ ــ قِنَّسْرِيْنُ ليست من الجزيرة الفراتية، بل من بلاد الشام، وكانت بقرب مدينة حلب على ماذكر الدكتور المنجد في تعليقاته على كتاب «فتوح البلدان» للبلاذري .

٣ ــ وياقوت لما أورد كلام نصر الذي سَمَّى فيه الموضع (حَنْجَرة) وقال فيه:

وهي من الشام ثم من قِنَّسْرين. أضاف ياقوت: كذا قال بالجزيرة، ثم قال بالشام. فكأنه استغربه.

٤ ــ أورد ياقوت في «المعجم» شاهداً على (حنجر) قول تميم بن الحُبَاب أخي عُمَيْر بن الحباب:

جَزَى اللّهُ خيراً قَوْمَنَا مِنْ عَشِيْرَةٍ بني عـامرٍ لـما استهلُّوا بِحَنْجَـرِ

وأعاد هذا البيت مع أبيات أخرى في (لِبَّـا) قائلاً: لِبَّا من بلد العقر من أرض الموصل. وأعاد البيت الذي أورده في حنجر وبعده:

وَمـرُّوا عـلَى لِبَّـا كـأنَّ عُيُـونَهُمْ من ٱلوَجْدِ بالآثارِ حمرُ الصَّنَوْبَرِ

٥ ــ جملة: وهي من الشام ثم من قِنَّسرين. في مخطوطة كتاب نصر كلمة (من) كأنها: (بين).

وبالإجمال فالموضع في الجزيرة الفراتية الواقعة بين دجلة والفرات وليس في الشام، وفي هذا الموضع تجمعت قبائل قيس ومنهم بنو عامر للأخذ بثأر عمير بن الحباب السلمي رأس قيسٍ الذي قتلته تغلب سنة ٧٠، فقال في ذالك أخوه تميم شعراً ورد فيه اسم (حنجر) وسماه نصر (حنجرة)، وورد فيه اسم بني عامر عرضاً عند ذكر الموضع الذي اجتمعوا فيه، وليس في الأصل من بلادهم.

٢٠ ــ ص ٢٢٣: (الحجاز: الجَبَالُ، ومنه قول الشاعر:

ونَحْنُ أُنَاسٌ لا حِجَازَ بأَرْضِنَا

و ــ: البلد المعروف. (تحال على الأستاذ الشيخ/ حمد الجاسر).

١ ــ الشاعر هو الأخنس بن شهاب التغلبي ــ جاهلي ــ والبيت من قصيدة في «المفضليات» ج ١/ ص ٦ ــ تحقيق الأستاذين أحمد شاكر وعبدالسلام هارون ــ وهو:

ونَحْنُ أُنَاسٌ لا حِجَازَ بـأَرْضِنَا مَعَ ٱلغَيْثِ مانُلْقَى، ومَنْ هُوَ غالِبُ

٢ ــ أما الحجاز فهو قطر واسع ، ممتد من اليمن في أقصى جنوب الجزيرة إلى الشام ، ويحده شرقاً مرتفعات نجد إلى ماأشرف على جبلي طَيِّءٍ من الحرار والجبال ، وغرباً سهول تهامة ، وجنوباً سراة عَبِيدة حيث فروع وادي تَثْلِيث ، وشمالاً جبال حِسْمَى ومشارف بَادِيَة الشام (شَرْق الأردن) وفيه مدُنٌ أشهرها المدينتان الكريمتان والطائف وأودية ذات قرى كثيرة كواديي نَخلة والفُرَع ، ووادي القُرى (العلا) ووادي العِيص ، ويتصل به عدد من الحرار من أشهرها حرة خيبر ، وفيها واحتا خيبر وفدك (الحائط) .

وسمي حجازاً لأن جبل السراة الممتد غرب الجزيرة أقبل من قَعْرِ اليمن حتى بلغ أطراف بوادي الشام ، فسمته العرب حِجَازاً لحجزه بين الغور وهو أرض تهامة المنخفضة وبين بلاد نجد المرتفعة ولاحتجازه أيضاً من شرقيِّهِ بالحرار والجبال .

والعرب تسمى كل جبل حجز بين أرضين حجازاً ، قال حُرَيْثُ بن عَنَّابٍ الطائي :

حَمَاهُنَّ مِنْ نَبْهَانَ جَمْعٌ عَرَمْرَمٌ وصُمُّ ٱلعَوَالِي وَٱلحِجَازُ ٱلْمُمَنَّعُ

وهو يقصد بالحجاز هنا جبال طيء ــ انظر «أدب الخواص» ص ٩٤ ــ .

٢١ ــ ص ٢٣٧ : (الشَّرَبَّةُ) في قول عبدالله بن الحجاج التغلبي : عَلَمٌ لأرض واسعة واقعة بين واديي الجريب والرُّمَة محددة في معجمات الأمكنة .

٢٢ ــ ص ٢٣٧ : (الحَجِيلُ : ماء الصّمان (ص) كل أرض صلبة ذات حجارة إلى جنب رمل .

قال الأَفْوه الأَوْدِي :

وقد مَرَّتْ كُمَاةُ ٱلحَرْبِ مِنَّا عَلَى ماءِ الدَّفِينَةِ وٱلحَجِيلِ

الدَّفِينة : منزل لبني سليم) .

١ ــ الصواب : ماء في الصّمان ــ كما في «معجم البلدان» ــ إذ في الصمان مياه

كثيرة .

٢ ــ الصَّمَّانُ : عَلَمٌ لصحراء صلبة ذات آكام ورياض وأودية ، وفيها مناهل مشهورة قديماً وحديثاً واقعة شرق الدهناء .

٣ ــ قول الأَفْوهِ يدل على أن الحَجِيل ليس الواقع في الصَّمَّان إذ المسافة بينه وبين الدَّفِينة تقارب سبع مئة (٧٠٠) كيل ، فهي مسافة طويلة ليس من المعقول قطعها في وقت قصير .

٢٣ ــ ص ٢٣٨ : (والحُجَيْلاَءُ : اسم بئر باليمامة . وفي «اللسان» قال الشاعر :

فَأَشْرَبُ مِنْ مَاءِ ٱلْحُجَيْلاءِ شَرْبَةً يُدَاوَى بِهَا قَبْلَ ٱلْمَمَاتِ عَلِيْلُ)

الشاعر هو يحيى بن طالب الحنفي من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية ، وقبله :

أَلاَهَلْ إِلَى شَمِّ ٱلْخُزَامَى ونَظْرَةٍ إِلَى قَرْقَرَى قَبْلَ ٱلْمَمَاتِ سَبِيلُ ؟

انظر «الأمالي» للقالي ــ ١٢٣/١ ، و«معجم مااستعجم» و«معجم البلدان» رسم الحجيلاء .

وهذه البئر كانت من نواحي البَرَّة البلدة المعروفة في منطقة البَطِين غرب اليمامة .

٢٤ ــ ص ٢٥٠ : (الحَجْناءُ : فَرَسُ مُعاوِيَةَ البَكائِي) . (ق، ت) .

أوضح من هذا التعريف :

الْحَجْنَاءُ من خيل بني عامر ، وهي فرس معاوية بن جُلَيْدِ بن عُبادة بن البكَّاء العامري ــ «الخيل» لابن الأعرابي .

٢٥ ــ ص ٢٥٢ : (وٱلْحَجُون : مَوْضِعٌ بمكة ، ناحِية من البَيْت . (ل) وقيل : جَبَلٌ بمَعْلاةِ مَكَة مُشْرِفٌ مما يلي شِعْبَ الجَزَّارِين ، فيه اعْوِجاجٌ ، قال السُّهَيْلِي :

على فَرْسخٍ وثُلُثين (حوالي ٦/كم تقريباً) من مكة (ل، ق، ت، مع) .

وقيل : الحُجُونُ : موضع بمكة فيه اعْوِجاج ، والمشهور الأول . (ل، نه) تحال على الأستاذ الشيخ/ حمد الجاسر).

التعريف ينطبق على موضع واحد ، فالحَجُونُ جبل بمعلاة مكة فيه اعْوجاج ولكن قول السُّهَيلي بأنه (على فرسخ وثلثين ــ حوالي ٦ أكيال) غير صحيح كما سيأتي ، فالمسافة بين ٱلحُجُون وبين المسجد الحرام لاتزيد على نصف ميل (سدس فرسخ) كما سيأتي .

كان الاسم (الحُجُون) يطلق على جبل في الجانب اليماني من معلاة مكة في أسفل ٱلْمُحَصَّب على يمين الذاهب إلى مِنَى ثم أُطْلِقَ أخيراً على جبل مقابل له على يسار الذاهب إلى منى ، مطل على المقبرة ، أوضح ذالك مؤرخ مكة تقي الدين الفاسي في «شفاء الغرام» ــ ١/٢٩٣ ــ وفي الحُجُون ثنية كَدَاء المعروفة ، ثم سُمِّيَتِ به المقبرة نفسها . وألف صاحب «القاموس» رسالة بعنوان «إثارة ٱلْحَجُونِ لزيارة الحجون» قال في أولها: حصل عزمٌ لزيارة مقبرة الحُجُون ، وقصدتُ بتعديد أسماءِ من دُفِن من الصحابة بَوَجِيْ تلك الجُبُوبَةِ المباركة تنشيطاً لكلِّ وانٍ لَجُونٍ) إلى آخر ماذكر ، والحجون الأول في اسم الرسالة ــ بالفتح ــ : الرجل الكسلان . وتبعد الحُجُون عن باب بني شيبة أحدِ أبواب المسجد بألف واثنين وأربعين متراً ، ومن هنا يتضح خطأ السُّهَيلي في تحديد المسافة ــ وأوضح هذا صاحب «شفاء الغرام» ــ ١/٢٩٤ ــ إذ قال عنه بأنه مخالف للمحسوس والمعقول .

٢٦ ــ ص ٢٥٣ : (وفي الخبر: انه كان يستلم الركن بمحجنة (أي يقبله) .

١ ــ صواب كلمة (بمحجنة): (بمحجنِه) بهاء الضمير ــ ونصُّ الخبر: عن جابر ــ رضي الله عنه ــ قال: طاف رسول الله ﷺ على راحلته ، يستلم الركن بِمِحْجَنِهِ ، ثم يعطِفُ المِحْجَنَ ــ ويقبله ــ «القرى لقاصد أم القرى» للمحب الطبري ــ ٢٥٢ .

٢ ــ كلمة (يستلم): يَمَسُّ ويلمس ، لا (يُقَبِّل) .

٢٧ ــ ص ٢٦١ : (أَحْجَاء : اسم مَوْضعٍ ، قال الراعِي :

قَـوالصُ أَطْرَافِ الْمُسُـوحِ كَـأَنَّها بِرِجْلَةِ أَحْجَاءٍ نَعامٌ نَوَافِرُ (ل،ت)

الرِّجْلَةُ : هي مَسِيلُ الماءِ من الْحَرَّةِ إلى السهلة ينبت البقل) .

يلاحظ على هذا :

١ ــ أن صاحب «معجم البلدان» سمى الموضع (رجلة أحجار) وقال: انه بنواحي الشام . والقول بأنه من نواحي الشام يؤيده أن الشاعر ذكر بعده :

سِرَاع السُّرَى أَمْسَتْ بِسَهْبٍ وأَصْبَحَتْ بِـذِي الْقُـورِ يُغْشِيْهَـا الْمَفَـازَةَ عَـامِـرُ

وذُو القور : وادٍ لايزال معروفاً من أودية السماوة في طريق المتجه إلى الشام شرق بلاد الجوف ، وهو من روافد وادي عَرْعَر ، ويظهر أنَّ الشاعر قال هذه القصيدة وهو في طريقه عائداً من بلاد الشام ، فرجلة أحجاء ــ أو أحجار ــ تقع شمال ذِي القور المعروف الآن باسم (أبا القور) .

وقد ورد البيت في الديوان مطابقاً لنصه هنا .

٢ ــ أما صاحب «معجم مااستعجم» فقد سمى الموضع رِجْلة أحجاءٍ وقال: أرض لينة معروفة تنبت الشجر ، كثيرة النعام ، ثم أورد بيت الراعي .

٣ ــ الرجلة هي : مسيل الماء ، وكما وصفها أبو حنيفة الدينوري بأنها مسيلٌ سهلٌ مِنْبَات «اللسان» ، وعلى هذا فلا داعي لذكر كلمة (الحرة).

٢٨ ــ ص ٢٦٨ : (حَدَّاءُ : وادٍ فيه حِصْنٌ ونَخْلٌ بين مَكَّةَ وجُدَّة ، يسمونه اليوم حُدَّة (مي) قال أبو جُنْدُبٍ الهذلي (جاهلي) :

بَغَيْتُهُمُ مـابَـيْنَ حَـدَّاءَ والحَشَـا وأَوْرَدْتُهُمْ مـاءَ الأُثَيْـلِ فَعَـاصِـمَا

الحَشَا : وادٍ ــ الأُثَيْلُ وعَاصِمُ : ماءانِ ــ «شرح أشعار الهذليين» ١/٣٥٣

ــ .

(تحال على الأستاذ الشيخ/ حمد الجاسر)

←

ـ ١٦ ـ
نُهَـــا

في «معجم البلدان» ـ بالضم والقصر بلفظ النُّهَا بمعنى العقل ـ: قريةٌ بالبحرين لبني عامر بن الحارث من عبد القيس. انتهى.

حَدَّاء اسم ثَنِيٍ من أَسْفل وادي مَرِّ الظهران (وادي فاطمة) يجزعه الطريقُ من مكة إلى جُدة قبل الوصول إلى بحرة ويبعد عن مكة نحو خمسة وعشرين كيلاً وفيه قرية تسمى حَدَّة ـ بفتح الحاء المهملة ـ ولا حصن فيها الآن ولا أهمية لها لنضوب ماء عينها ، ولاتساع عمران مدينة بَحْرَةَ القريبة منها .

أما بيت أبي جندب الهذلي فقد يكون أراد بحدَّاء جبلاً يقع بقرب جبل آخر يسمى الحشا ، وهذان الجبلان يقعان بقرب وادي يَلَمْلَم في الجنوب الغربي من مكة على مسافة تقرب من مئة كيل ، حيث ميقات الاحرام بالحج أو العمرة للقادم من اليمن .

٢٩ ـ (حجرف) :

لم ترد هذه المادة في موضعها مع ورودها في كتب اللغة كـ «القاموس» و«لسان العرب» و«تاج العروس» وغيرها.

قالوا: الحُجْرُوف دويبة ذات قوائم طوال، وقيل: هي النمل الذي رفعته قوائمه عن الأرض، وهي العُجْرُوف ـ بالعين ـ .

وهذا النوع من النمل اسمه في نجد (قِعْسٌ) ـ بالقاف بعدها عين وسين مهملتان ـ

والمادة نفسها مستعملة ، فمن الأسماء المشهورة حجرف . ولهذا يحسن إيراد المادة .

حمد الجاسر

ومنازل بني عامر تقدم ذكرها في المقدمة، وأنها في جهات الظهران والبيضاء، ولكن لا ذكر لقرية بهذا الاسم في تلك الجهة الآن على ما أعلم.

نَهْـــــــرُ

ـ النَّهْرُ الماء الجاري، وقد توسَّعَ فيه اللغويون فقالوا إنه مجرى الماء، ولكن أهل عصرنا لا يطلقون اسم النهر إلَّا على المياه الجارية بقوة، وقد كان في المنطقة المعروفة قديماً باسم (البحرين) أنهارٌ، على ما يفهم من كلام قدماء المؤرخين، ومن أشهرها نَهْرُ مُحَلِّمٍ ـ الذي تقدم ذكره في محله ـ وتقدم قول الهمداني[1] عن عين الناقة في الأفلاج أن امرأة مَرَّتْ بها على ناقة، فتقحَّمَتْ بها الناقة في جوف العين، فخرج بَعْدُ سوارُهابنهر مُحَلِّم، بهجر البحرين، ومُحَلِّمُ نهر عظيم، يقال: إنَّ تُبَّعاً نزل عليه فهاله، ويقال: إنَّه في أرض العرب، بمنزلة نهر بَلْخٍ في أرض العجم. انتهى.

وقد كتب إليَّ الأستاذ محمد بن ابراهيم البُرَيْثن بتاريخ ٥ رمضان سنة ١٤٠٤هـ كتاباً جاء فيه أن بطليموس المؤرخ اليوناني المعروف أشار إلى وجود نَهْرٍ في شرق الجزيرة يصب عند منتصف الخليج، سماه (لاريس) ومنبعه من بلدة سماها (لاثا) أو (لاتثا LATTHA).

وأن (جاستالدي) أشار إلى ذالك النهر في عام ١٥٦١ الميلادي، وأن منبعه من بلدة تدعى (لاكا) أو (لاسا LACA) وأن مصبه يقع في الخليج جنوب البحرين، ورسم مجراه في خريطة رسمها. وفي عام ١٧١٢ الميلادية رسم (مول) في خريطة قام بوضعها نَهْراً يَصُبُّ في الخليج في نفس المكان، سماه (AFTAN أفتان، عفطان).

ويستوضح الأخ الكاتب عن هذا النهر، والذي أرى أنه هو نهر مُحَلِّم، فموقعه متقارب في تحديد العلماء العرب، والعلماء الأعاجم الذين نقل الكاتب

عنهم، وأرى هذا النهر هو ما يعرف الآن باسم (أم سبعة) أقوى عيون الأحساء.

ولا شك أنه كان في المنطقة أنهار صغيرة لا تزال آثارها باقية عيوناً عظيمة، مثل عين الحَقْل، وعين الخدود وعين الجوهرية، وغيرها في الأحساء، وعين دَارُوش في صفوا في القطيف وغيرها، وقد ذكرت كثيراً من العيون ــ في حرف العين ــ وقد نضب أكثرها في عصرنا، بسبب حفر الآبار الجوفية، التي كانت الآلات الحديثة تجذب منها المياه بكميَّاتٍ عظيمة، فنضبت المياه الجوفية التي تُغَذِّي تلك العيون، أو قَلَّت، يضاف إلى هذا أن المياه كانت تخرج من تلك العيون لِتَرْوَى بها الحدائق والمزروعات في المنطقة وما لم يتبخر منها تبلعه الأرض، فتزداد به مياه العيون، وفي عهدنا عملت الدولة مجاري عميقة تنحدر فيها فضلات تلك المياه وتمتصُّها، وتخرجها من منطقة الأرض التي ترويها العيون حتى تبلغ البحر.

نُهِـــــيٌّ

ــ ضبط هذا الاسم غير واضح، فقد ورد بضم النون وكسر الهاء وآخره ياء مثنَّاة تحتية ــ مضبوطاً ضبط قلم في كتاب «التكملة»[٢] للصاغاني وقال: قرية بالبحرين، وفي «القاموس» وشرحه: ونُهَى ــ كَهُدَى ــ: قرية بالبحرين وقال ياقوت: هي بين اليمامة والبحرين لبني الشُّعَيراء، غير أنه ضبطه بكسر فسكون ــ نِهْي ــ وهو الصواب. انتهى.

وفي «المعجم»: نِهْيٌ ــ بكسر ثم السكون والياء معربة: اسم ماء. نهي: قرية بين اليمامة والبحرين لبني الشُّعَيراء، ونُهَيٌّ الدولة: قرية أخرى. هذا نصُّ ما في كتاب ياقوت المطبوع، فضبط الكلمة غير واضح فيه.

أما القرية فليستْ معروفة الآن، على حدِّ علمي ــ والشُّعَيْرَاءُ ــ على ما في «القاموس» وشرحه ــ هي ابنة ضَبَّةَ بن أُدٍّ، أُمُّ قَبيلةٍ، ولدتْ لبكر بن مُرٍّ أخي تميم بنُ مُرٍّ، فهم بنو الشُّعَيْرَاءِ، أو لقب ابنها بكر بن مُرٍّ، أخي تميم. انتهى.

ويظهر أن بني الشُّعَيْرَاء دخلوا في بني تميم، إذْ ليس لهم شهرة بين القبائل القديمة، وأشهر منهم ضَبَّة خالطت تميماً في بلادهم منذ عهد قديم.

أمَّا نِهْي الدولة التي وردت في «المعجم» فقد ورد في (مستدرك) صاحب «التاج» بعد أن ذكر المواضع المسماة بِنِهْي عن ياقوت قال: ونِهْيُ الزولة ــ بالكسر ــ قرية بالبحرين، غير التي ذكرها المصنف. انتهى، فهل كلمة (الدولة) التي في «المعجم» مُحَرَّفة، أو ما ورد في «تاج العروس»؟

النُّهَــيْدَيْــن

ــ مثنًى تصغير نَهْدٍ ــ: جبل صغير يقع شرق روضة أم العصافير، في شرق الصَّمَّان، في الجنوب الغربي من قَرْية السُفْلى، يحف به من الجنوب الشرقي آكام مستطيلة تتصل غرباً بجبل الحمار.

والاسم يطلق على كل أكمتين متجاورين، في مواضع كثيرة.

نُيَــــــالُ

قال البكريُّ في «معجم ما استعجم»:ــ بضم أوله وتخفيف ثانيه: موضع بالبحرين. قال السُّلَيْكُ بنُ السَّلَكَةِ:

أَلَمَّ خَيَـالٌ مِنْ نُشَيْبَةَ بِـالـرَّكْبِ وَهُنَّ عِجَالٌ عِنْ نيَالٍ وَعَنْ نَقْبِ

هكذا صحت الرواية فيه عن القالي في شعر السُّليك.

ووقع في شعر البَعيث رواية يعقوب وشرحه:

تَرَوَّحْنَ عَصْرَاً عَنْ نُبَاكٍ وعنْ نَقْبِ

وقد تقدم إنشادُه في رسم نَقْب، وقَبْلُ في رسم النُّباك، وهو الصحيح، والله أعلم، لأني لم أر نيال إلا في بيت السُّليك، على رواية أبي علي. انتهى.

ولقد أحسن رحمه الله وأصاب، فنيال هنا تصحيف نباك، وقد أوردته لمعرفة تصحيف الاسم الذي لايزال معروفاً، وتقدم ذكره في موضعه.

حـرف الـواو

واحِـــــــــفُ

ــ على اسم الفاعل من وَحَفَ، ولعله مأخوذ من الْـوَحْفَاءِ وهي الأرض التي فيها حجارةٌ سُود ــ ولم أَرَ في كلام المتقدمين تحديداً واضحاً لهذا الموضع، مع كثرة ورود ذكرِه في الشعر، وتكرره في شعر ذي الرُّمَّةِ، فياقوت في «معجم البلدان» اكتفى بأن قال: الواحِفَان تثنية واحف موضع، وأنشد بعضهم:

عَنَـاقَ فأعْـلَى الْـوَاحِفَيْنِ كـأنَّـهُ مِنَ الْـبَغْيِ للأشْبَاحِ سِلْمٌ مُصَالِحُ

وقال: واحف موضع آخر، قال ثعلبةُ بن عَمْرٍو العبْقَسيُّ:

لِمَـنْ دِمَنٌ كـأنَّهنَّ صَـحَـائِـفُ قِفَارٌ خَلَا مِنْهَا الكَثِيْبُ فواحِفُ

والبيت الأول لذي الرّمة، كما سيأتي ــ وما أراه أراد إلا واحِفاً فثنَّاه على عادة الشعراء كقول الفرزدق[٣] يمدح يزيد بن عبد الملك:

ولقـد تَـرَكْتُ بِـوَاحِفَـيْنِ بَقِيَّـةً يَرْجُون سَيْبَ نَدَاكَ غَيْرَ الْمُمْحِلِ

وفي شرحه نقلاً عن ابن حَبِيب: واحف واحدٌ فجعله اثنين.

ولما ذكر ياقوت الْـمِعَا قال في وصف الطريق من اليمامة بعد أن ذكر هُرَيْرة آخِرَ الدهنا: ثم واحف ثم المِعا. وهذا يدل على أنه شرق الدهنا، وذُو الرُّمّة

أضاف المِعَا إلى واحِفِ ــ كما سيأتي ــ والمِعَا هو جانب الصَّمَّان على ما نقل ياقوت عن أبي زياد الكلابي ، وأوضحُ تحديدٍ للمعَا ماجاء في كتاب «بلاد العرب»[٤] في وصف الطريق من حَجْرٍ إلى البصرة ــ بعد أن ذكر أول ما يستقبل من الصَّمَّان بعد قَطْعِ الدهنا ــ قال : فتمضي في الصَّمَّان حتى تنتهي إلى بلد يقال له الْـمِعَا ، وهو رَمْلٌ بين جبال ، ثم تجور الـمِعَا فتمضي حتى ترد طُوَيْلِعاً . انتهى .

وإذَنْ فواحف هو في جانب الصَّمَّانِ الذي يَلِي طُوَيْلِعاً ــ أي في أسفله الموالي لما يعرف قديماً باسم الشواجن ، وحديثاً باسم الطِّوال ، وطُوَيلع يعرف الآن باسم الضبْعِيَّات ، ولما ذكر الهمداني في «صفة جزيرة العرب»[٥] بلاد بني تميم قال: الشَّمَالِيلُ والخَلْصاء وواحِفُ الرَّمَادةِ ، فإذا كان هذا النص صحيحاً فإنه يدل على قرب واحف من الرَّمَادة ، ولاشَكَّ أن جهة الموضع قد اتضحت من الإشارات المتقدمة ، وسيأتي في شعر ذي الرمة ما يؤيدها .

أما البكري فقد قال عن واحف : هو اسم ماء قال الراجز ــ وذكر سَجْلاً ــ :

عَفَتْ عَـرَاقِيْـهِ وَطَـالَ قِـدَمُـهْ بـواحفٍ لَـمْ تَبْـقَ إلَّا رِمَّـهْ

ــ كذا استشهد على كون الاسم يقع على ماءٍ ــ وما أرى الراجز وَصَفَ سجْلاً ــ أي دَلْوًا ــ ولكن وصف رَبْعاً دارساً مع أن كلمة (عراقِيه) لست من صحتها على يقين .

وأورد البكري في رسم (برك) من شعر لأوس بن حَجَرٍ .

فَبَطْنُ السُّلَيِّ فالسِّخَالُ تَعَـذَّرَتْ فَمَعْـقُلَةٌ إلى مَـطَارٍ فَـوَاحِـفُ

ويفهم من هذا تقارب معقلة ومَطار وواحف ، وأما السُلَيُّ فتفصل بينه وبين

هذه المواضع الدهناء بعرضها ، والسخال أجهل موقعها .

وعَدَّ البكريُّ ــ حين تكلم على الخَلْصاءِ وأورد بيت ذي الرمة الذي سَيَرِدُ فيما بعد ــ عدَّ الفودجات وواحفاً تلقاء الخلصاء ، أخْذاً من قول الشاعر .

وكما قرن أوس بن حَجَرٍ ذكر واحف بِذِكْرِ مَعْقُلَةَ فعل رؤبة فقال[٦] :

تـأَبَّـدَتْ مَـعْـقُـلَةٌ فَـوَاحِـفُ فَمِـذْنَبُ الْـبُـرْدَيْنِ فَـالنَّـواصِفُ

وقال فذكر الموضع[٧]:

هَلْ تَعْرِفُ الرَّبْعَ المُحِيلَ أرْسُمُهْ بِـوَاحِـفٍ لَمْ يَـبْـقَ إلاَّ رِمَّـهْ

أما ذُو الرُّمةَ فقد ورد اسم واحف في شعره مِرَاراً ، منها قوله ــ يصف حِمَارَ وَحْشٍ مع أُتُنِهِ[٨] ــ :

لَـهُ عَلَيْهِنَّ بِالْـخَلْصَـاءِ مَـرْتَعِـهِ فَالْـفَوْدَجَاتِ فَجَنْبَيْ واحِفٍ صخَبُ

وقال[٩] يصف حَمير وحْشٍ ــ :

وظَلَّلْتُ بِمَلْقَى وَاحِفٍ جَرَعَ المِعَا قِيَاماً تَفَالَى ، مُطْلَخِماً أمِيْرُهَـا

أي حيث لقي واحفُ جَرَع المِعَا ، والجرع من الرمل : رابية سهلة لينة . مطلخم : مستكبر .

وقال[١٠] ــ يصف أُتُناً وحشيَّةً ــ :

بِرَهبَا إلَى رَوْضِ الْـقِذَافِ إلى المِعَا إلَى وَاحِفٍ تَـرْوَادُهَـا ومَجَـالُهَـا

تروادها : إقبالها وإدبارها . تَرُودُ : تجيء وتَذْهَبُ .

وقال[١١] ــ عن حمار وحش مع أُتُنه ــ :

لَهُ وَاحِفٌ فَالصُّلْبُ حَتَّى تَقَطَّعَتْ خِلاَفَ الثُّرَيَّا مِنْ أَرِيْكٍ مآربُهْ

وروى أبو عمرو : من أُرَيْكٍ :

يُقَلِبُ بِالصَّمَّانِ قُوداً جِرَيدةً تَرَامَى بِهَا قِيْعَانُهُ وأَخَاشِبُهْ

جريدة : قد جَرَّدَها ليس فيها صغير وكبير ، هي أفْتَاء. الأخاشِب: جمع أخشب وهو المكان الغليظ المرتفع ، والأخشب الجبل ــ والقاع المكان الصلب الحُرُّ الطين .

وقال ــ يصف مراعي حمار وحش[١٢] ــ :

عَنَاقَ فأعْلَى واحِفَيْنِ كأَنَّهُ مِنَ الْبَغْيِ لِلأَشْبَاحِ سِلْمٌ مُصَالِحُ

أي رعَى عناقَ فأعلَى واحفين . من البغي : أي من طلبه الشخوص لا يفزَع ، كأنه سِلْمٌ للأشباحِ ، لأنه في قفر ليس فيه أحد . فإذا رآى شخصاً نظر إليه .

وقال ــ يصف حُمُراً ــ[١٣]:

رَعَتْ وَاحِفاً فَالْجِزْعَ حَتَّى تَكَمَّلَتْ جُمادَى وَحَتَّى طَارَ عَنْهَا نَسِيْلُهَا

كانت جُمادى في ذالك الوقت إذا تكملت فقد جاء الصيف ، فإذا جاء فلا بُدَّ أن تطلب الماء ، والجزع : منعطف الوادي . وقال[١٤]:

تُرَاقِبُ بَيْنَ الصُّلْبِ والهَضْبِ والمِعَا مِعًا وَاحِفٍ شَمْساً بَطِيئاً نُزُوْلُهَا

وقال[١٥]:

إذَا لَعِبَتْ بُهْمَى مَطَارٍ فَوَاحِفٍ كَلُعْبِ الجَوَارِي ، واضْمَحَلَّتْ ثَمَائِلُهْ

أي ذهب ما في جوفه من العلف ، يريد ثمائل البعير ، وذالك أنَّ الحرَّ أذهبه (؟) .

الْـــــــوَادِي

يُعْنَى بالكلمة لُغَوِياً الأرض المنخفضة التي تجرى فيها السُّيُول ، عند هطول الأمطار ، ثُم تُوسِّعَ في الكلمة فأصبحتْ تطلق على الأراضي المنخفضة مثل وادي القُرَى في شمال الحجاز ، فهو واحة واسعة فيها عدد من الأودية .

وأطلق الشاعر ابنُ مُقَرَّبٍ كلمة (وادي) على وَاحَةِ الحَسَاء :

يَـاحَبَّـذَا وَادِي الْـحَسَـاءِ فَـإنَّـهُ لَـوسـاءَنِي وادٍ إلَيَّ مُحَـبَّـبُ

وفي هذه البلاد التي ألف هذا الكتاب لتحديد مواضعها أوديةٌ كثيرة منها على سبيل المثال لا الحصر .

وادي الباطِن ، المعروف قديماً باسم فَلْج (انظر هذا الاسم) .

وادي السِّتَار: ــ تقدم ذكره في مواضع وهو وادي المياه وسيأتي له ذكر .

وادي السَّهْبَا : أعلاه في الخَرْج ، وفروعه من جبال العارض ، ويتصل شرقاً إلى ساحل الخليج ، مخترقاً الأرض التي غطَّتْها رمال الرُّبْعِ الخالي شرق يَبْرِيْنَ .

وادي الشَّقِّ : وهو منخفضٌ واسعُ منَ الأرض يقع شمال الخفقي ، وغَرْبَهُ ، بقرب الْوَرِيعة .

وادِيَا الشَّيِّطَيْنِ ــ تقدم ذكرهما ــ وهما مُثَنَّى شَيِّطٍ .

وَادِيَا الفَأْوَيْنِ ــ مُثَنَّى فَأْوٍ .

وَادِيَا الفُرُوق .

واديا فُلَيْجَيْنِ الشمالي والجنوبي ــ مُثَنَّى فُلَيْج .

وغيرها ، وسيأتي ذكر أشهرها مع ما سبق من الإشارة إلى بعضها عند ذكر

اسمه مجرداً ــ كالسِّتَار والفروق وغيرهما .

الْــوادي الشَّمــالِي

وقد أطلقَ ابنُ الْـمُقَرَّب اسم الوادي الشمالي على جانب من حدائق نخيل الأحساء في عهده فقال[١٦]:

وَهَلْ أينَعَ الوادِي الشَّمَالِيُّ واكْتَسَتْ عَثَاكِيلَ قِنْوَانٍ حَدَائِقُهُ الغُلْبُ ؟

ويظهر أنه يعني موقع النخيل الذي شمال موقع البطَّالية ، حيث المكان الذي تقع فيه آثار مدينة الأحساء القديمة ، فتلك الجهة منخفضة ــ فيما يبدو ــ عما حولها ، بحيث يمكن القول بأنه كان واديا .

وادي ثَغَــــــــــب

ــ بالثاء والغين المعجمة مفتوحتين وآخره باء ــ من روافد وادي الْـمُلَيْحِ ، في شرقي حَرَض .

وادي الحَيْــــــــد

من فروع وادي المُلَيح ، بقرب حَرَض ، في أعلى الصَّمَّان من الجانب الجنوبي .

وادي السُّــدَيْــــــرِ

شَعِيبٌ قصير يدعى فَرْعهُ وادي المزهرة في منطقة الصمان يتجه من الجنوب على مقربة من الخَمَّة ، حتى يصل إلى القَرْعَاءِ ، وتحفُّ به من الشرق جبال الدُمَيْغ .

وادي شَبْهَانــــــــة

ــ بالشين المعجمة بعدها باء موحدة ساكنة ثم هاء مفتوحة فألف فنون فهاء

التأنيث ــ : شَعِيبٌ قصير ، تنحدر فروعه من الآكام المحيطة بَوَبْزَة ، فرائد وبزة وخشم وبزة ، ويتجه صوب الجنوب الشرقي حتى يفيض في أسفل جُوبَـة يَبْرين ، يجزعه الطريق المتجه من يبرين إلى حرض .

وادي الشِّعْـــــب

يقع غرب مدينة الهفوف على بعد خمسين كيلاً تقريباً .

وادي الصُّفَيَّـــــة

شَعِيب قصير ، يقع في الصُّلْب ، شرق الجربة الواقعة شرق مَطَار ، غرب مُشَاش الهادي بنحو خمسة وأربعين كيلاً ، وفروعه من جبل الحصان وما حوله ، واتجاهه صوب الشرق .

كذا رسم الاسم في المصور الجغرافي .

وادي الْـعَشَـــــاوي

وادٍ يقع غرب حرض ، ينحدر من البَيْضَة ، شرق الدهنا ، من الشمال نحو الجنوب حتى يَصُبُّ في وادي السَّهبا .

وادي الْـقَرَايـــــا

على لفظ جمع قرية بلهجة العامة : جاء في تاريخ ابن غنام في ذكر حوادث سنة ١٢١٠ ما ملخصه[١٧] . فلما تحقق سعود من نزول ثُوَيْنِي على (وادي القرايا) أرسل حسن بن مشاري مع جيش من المسلمين إلى أهل تلك البلاد لتطمئن نفوسهم ، وكانوا قد مُلِئوا كَرْباً وهَماً لتأخر سعود بالقدوم عليهم .

والمقصود هنا وادي المياه (وادي الستار قَديماً) .

وَادي القُصُـــــور

ــ على لفظ جمع قَصْر ــ : وادٍ صغير يقع جنوب الْـعُضَيْلِيَّة ، شرق جَوِّ دُخَان ، وغرب برقاء الضُّمْرَان .

وادي المزهــرة

في الصَّمَّان ، بين الخَمَّة جنوباً ، والقرعاء شمالاً ، وهو أعلى وادي السُّدَير الذي يتجه شمالاً حتى يبلغ القرعاء .

وَادي الـمُلَيْـــــح

ـ بضم الميم وفتح اللام وإسكان الياء المثناة التحتية وآخره حاء مهملة ــ : واد يقع شمال حرض ، وفي أعلاه يقع منهل حرض ، شمال محطة حرض التي فيها القرية ، ويمتَدُّ شمالاً إلى مُشَاش الخليلين ، بمحاذاة جبل الحرمليَّةِ غرباً .

الحواشي :

(١) : «صفة جزيرة العرب»: ٣٠٦.
(٢) : ٥٢٨/٦.
(٣) ديوانه : ٦٨٢ .
(٤) : ٣١٣ .
(٥) : ٣٣٣ .
(٦) ديوانه : ١٠٢ .
(٧) : ١٤٩ .
(٨) ديوانه : ٥٢ .
(٩) : ٢٤٣ .
(١٠) : ٥٢١ .
(١١) : ٨٤٢ .
(١٢) : ٨٩٢ .
(١٣) : ٩٢٨ .
(١٤) : ٩٣٤ .
(١٥) : ١٢٦١ .
(١٦) ديوانه : ٢٠ الطبعة الهندية .
(١٧) تاريخ نجد ــ ص : ١٩٧ .

١٤ ١٣
مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية
19 KING FAISAL CENTER FOR 83
RESEARCH AND ISLAMIC STUDIES

جبل التوباد : حياك الحيا !!

اسم (التوباد) يستهوي الفؤاد ، ويحرك المشاعر ، لما له من جَرْسٍ في السمع ، وسَيْرُوْرة في أعماق الزمن تربو على ثلاثة عشر قرناً ، على أن موقعه لدى علماء اللغة لايسمو إلى مستوى الكلمات التي أفسحوا لها في مؤلفاتهم مجالاً رحباً للبقاء ، فمادة (ت ب د) وما تصرف منها ، من الكلمات المهملة كغيرها من المواد التي اشتقت منها أسماء مواضع كثيرة حين يُعْيِيْ أولئك العلماء إدراكُ معانيها يلجأون إلى التُّكَأة . المعروفة : (هذا الاسم مُرْتَجَلٌ) أي ليس مشتقاً من مصدر معروف ، ــ أما حذاقهم ــ أو متحذلقوهمَ فيحاولون ربط تلك الأسماء بأمم بائدة ــ كالعماليق وبني إرم وبني سام ، واقرأ إن شِئْت عن تعليل بعض أسماء مواضع لاتزال معروفة ــ ماجاء في «معجم البلدان» . ونصه : وذكر العلماءُ بأخبارِ العرب أن أَجأً سُمِّيَ باسم رجل ، وسُمِّيَ سَلْمَى باسم امرأةٍ ، وكان من خبرهما أن رجلاً من العماليق يقال له أَجأُ بنُ عبد الحيّ ، عَشِقَ امرأةً من قومه ، يقال لها سَلْمَى . وكانت لها حاضنةٌ يقال لها العَوْجاءُ ، وكانا يجتمعان في منزلها حتى نذر بهما إخوةُ سَلْمى ، وهم الغَمِيُم والمُضِلُّ وفَدَكُ وفَائِدُ والحَدثَانُ وزوجُها ، فخافت سَلْمَى ، وهربت هي وأَجأُ والعَوْجاءُ ، وتبعهم زوجُها وإخْوتُها فلحقوا سَلْمَى على الجبل المسمى سَلْمَى ، فقتلوها هناك ، فَسُمِّيَ الجبل باسمها . ولحقوا العَوْجاءَ على هضبة بين الجبلين ، فقتلوها هناك ، فسُمِّيَ المكان بها . ولحقوا أَجأً بالجبل المسمَّى بأَجـإٍ ، فقتلوه فيه ، فسُمّي به . وأَنِفُوا أن يرجعوا إلى قومهم ، فسار كل واحد إلى مكان فأقام به ، فسمي ذالك المكان باسمه . (انتهى)

وإذَنْ فهذا الاسم الخالد كان لمجنون ليلى أبلغ الأثر في خلوده ، وما أكثر ماللمجانين من آثار خلدها التاريخ !! فلنمسك بتلابيب (صاحبنا) ولْنَسِرْ معه إلى مرابع صباه ومراتع لهوه من بلاد قومه بني جَعْدة ، وبلادِ الحَرِيش الذين منهم صاحبته ليلى لمعرفة موقع هذا الجبل (التوباد) .

إنه قيس بن المُلَوِّحِ بن مُزاحم بن عَدَس بن ربيعة بن جَعْدَةَ ، وليلى ابنة

مَهْدي بن سعد بن مهدي بن رَبيعة بن الْحَرِيْشِ ، وجعدة والْحَرِيْشُ من بني عامر ابن صعصعة ، فمن بنو عامر هاؤلاء؟ ثم أين بلادُ جَعْدَةَ والْحَرِيش؟.

بنو عامر هاؤلاء قبيلة كانت أَبْرَزَ القبائل الهوازنية العدنانية ــ عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن قَيْسِ عيلان بن مُضَر بن نِزار بن مَعَدٍّ بن عدنان ــ وكانتْ من أَثْرَى القبائل عدداً ، وأكثرها فروعاً ، وأوسعها بلادا ، وأشدها قوة .

فمن فروعها بنو كِلابٍ الذين كانت تشمل بلادهم عاليةَ نجد ، وفيها حِمَى ضَرِيَّةَ ، وتمتد جنوبا حتى أعالي بلاد وادي الدواسر (عَقِيق بني عُقَيْلٍ قديماً).

ومن بني عامر بنو هلال الذين لهم شهرة لم تقف عند حد المهتمين بدراسة أنساب القبائل ، بل شملتْ عامَّةَ الناس في مختلف العصور ، ونُسِجَ حول أخبارها من القصص والأخبار مابقي متناقلاً إلى عصرنا .

ومن بني عامر بنو عُقَيْلٍ الذين عُرِفَ بهم وادي الدواسر بعد أن كان يُدْعَى (عَقِيْقَ جَرْمٍ) نسبة لسكانه من قُضاعة و(عَقِيقَ تَمْرَةَ) إضافة إلى قرية لاتزال معروفة في بطن ذالك الوادي .

ومن بني عامر أيضا بنو قُشَيْرٍ إِخْوَةُ جَعْدة ، وكانت بلادهم مع إخوتهم منتشرةً في بلاد الأفلاج وما حولها غربا حتى تتصل ببلاد إِخْوَتِهم من بني عامر ــ الحريش والعجلان وبني عُقَيْل ــ .

وكانت بلاد بني عامر تمتد من سفوح الجبال الشرقية الجنوبية بامتداد الأودية المنحدرة منها كوادي أَبِيدة (بِيدة) وهو وادي تُرَبَةَ ، ووادي رَنْيَةَ ، ووادي بِيْشَةَ ، ووادي الدواسر ، منساحة في عالية نجد ، ممتدة شرقاً حتى تشمل الجانب الجنوبي من جبل عارض اليمامَة (طُوَيق) وأرض البياض المتصلة حتى رمال صَيْهَد (الرُّبْع الخالي) ويَبْرِين حيث بلاد بني سعد من تميم الذين يجاورون فروع بين عامر من الشرق ، ويجاور العامريين من الشمال بطونٌ من جَرْمٍ وهِزَّانَ ــ في العارض (طُوَيْق) ثم بطون من بني تميم متحضرة في الوشم حتى السِّرِّ غرباً حيث تتسع بلاد

بني عامر فتشمل حِمَى ضريَّة سوى جانبه الشمالي من بلاد غطفان الممتدة حتى سفوح حرار الحجاز ، وتتاخم بلاد بني عامر غرباً بلادُ بني سُلَيْمٍ الممتدة من حِمَى الرَّبَذَةِ غرباً فالدَّفِينَة حتى الحرة المعروفة بهم ــ حرة رُهَاط الآن ــ فما امتد جنوباً فهو من بلاد بني عامر حتى وادي تَثْلِيثَ وفِرَاعِهِ من البلاد ، وما رفد وادي بيشة من أودية السراة كوادي ترج وما حوله حيث البلاد التي ينتشر فيها القحطانيون ، والتي تُحَادُّ بلادَ بني عامر من الجنوب بامتداد حوض وادي بيشة حتى رمل الجزء ، مايعرف الآن باسم ٱلْمُنْدَفِنِ ، حيث يختفي طرفُ عارض اليمامة في رمال الربع الخالي .

ولكن هذه القبيلة التي كانت لها تلك الصفة ــ من حيث الكثرة ، وتعدد الفروع ، وسعة البلاد ، وكانت لها السيطرة في جنوب بلاد نجد في العهد الجاهلي وصدر الإسلام بحيث كانت تتصدَّى لمصاولة من يليها من القبائل القحطانية ، وكثيراً ما انتصرت عليهم في مواقع مشهورة مذكورة في أيام العرب ــ أوشكت الآن أن تكون غير معروفة باسمها القديم ، إذ لاتجد من ينتسب اليها في عهدنا الحاضر سوى قبيلة سبَيْعٍ التي لاتزال باقية في أعلى بلادها الغربية في رنية وما حولها من منازل قبيلتها في العهود القديمة .

أما الفروع الأخرى فقد انضمت إلى القبائل الأخرى كعادة كل قبيلة يدركهاالضعفُ فتنضوي تحت لواء قبيلة أَقْوَى منها ، ولا شكَّ أَنَّ فروعا كثيرة من بني عامر انضموا إلى قبيلة الدواسر في العهود الأخيرة ، هذه القبيلة التي سيطرت على كثير من بلاد بني عامر ، كما أنَّ فروعا أخرى دخلتْ في مُسَمَّى قبيلة (عُتَيْبَة) المنتشرة الآن في بلاد بني كلاب وبني نُمَير وبني هلال في عالية نجد كلها .

هذا عن بني عامر قبيلة قيس بن الملوح المعروف بمجنون بني عامر ، فماذا عن جعدة قومه الأدنيين ، وماذا عن بلادهم وماصلة جبل التوباد بهذه البلاد؟

إن منازل بني جعدة هاؤلاء ــ وهم أبناء كعب بن ربيعة بن عامر ــ كما حددها متقدمو العلماء وأوفاهم في ذالك صاحبا كتابي «بلاد العرب» و«صفة جزيرة

العرب» تقع شرقي بلاد قومهم العامريين متصلة بها ، وكانت قاعدة تلك البلاد (الْفَلَج) ــ بفتح اللام وهو واحد الأفلاج والمقصود به النهر ــ ثم أصبح علما على البلدة التي عرفت فيما بعد باسم الأفلاج ، وفي ذالك يقول راجزهم :

نحن بنو جَعْدةَ أَصحابُ الفلجْ
نحْنُ مَنَعْنَا بَطْنَهُ حتَّى انْعَرَجْ
نَضْرِبُ بالسَّيْفِ وَنرْجُو بالْفَرَجْ

ويشاركهم في بلاد الأفلاج إخوتُهم بنو قُشَيْر ، وتنتشر بنو جعدة في أودية الأفلاج وما حول تلك الأودية ، ومنها وادي الْغَيْل ، وقد وصفه صاحب «صفة جزيرة العرب» بإنه وادٍ كثير النخل كثير الحصون ، ومن بلاد هم الصِّـدَارَةُ وهي فَرع وادي الغيل ، وقال عنها صاحب كتاب «بلاد العرب» : بأنها كثيرة النخيل . ولجعدة من المنازل مالايتسع المجال لذكره .

والغيل من الأودية التي لاتزال معروفة الآن وفيه بلدة بهذا الاسم من سكانها الآن القبابنة من السهول وهاؤلاء من بني عامر أيضاً .

وفي الغيل يقول قيس :

أَبَتْ لَيْلَةُ بِـالْغَيْلِ يَـاأُمَّ مَالِـكٍ لَكُمْ غَيْرَ حُبٍّ صَادِقٍ لَيْسَ يَكْذِبُ

وقد أثار هذا البيت شَجْوِ ليلى وأَسَالَ دموعها كما يروي صاحب «الأغاني» وغيره ، إلا أن ليلة الغيل كانت ليلة حُبٍّ عذري بِرِيْء .

من بلدة الغيل هذه الواقعة بقرب خط الطول ١٥َ/٤٦° وخط العرض : ٣٥َ/٢٢° في أعلى إقليم الأفلاج ، وفي وسط هذا الجبل العملاق الذي يمتد بامتداد إقليم اليمامة من الشمال إلى الجنوب المعروف باسم (طُويق) حديثا ، وبـ (عارض اليمامة) قديما ، من هذه البلدة يشاهد المرْءُ عن قربٍ جبلاً اسودَ كبيرا هو جبل التَّوْبَادِ الوارد في شعر قيس في أبيات تسيل رقةً وعُذُوبَةً .

يروي نقلةُ قصة هيام قيس بصاحبته ــ انظر «الأغاني» ١/١٦١ طبعة الساسي ــ : أنهما وهما صَبِيَّانِ كانا يرعيان غنما لأ هلهما عند جبل في بلادهما يقال

له التوباد ، فلما ذهب عقله كان يجيء إلى ذالك الجبل ، فيقيم فيه ، فإذا تَذَكَّرَ أيامَ كان يُطِيفُ به هو وليلى جَزِعَ واسْتَوْحَشَ فهام على وجهه ، فإذا ثاب إليه عقلُهُ رآى بلداً لايعرفه ، فيقول للناس : بابي أنتم أين التوباد ، من أرض بني عامر؟! فيقولون له : وأَيْنَ أَنْتَ من أرض بني عامر؟ عليك بنجم كذا وكذا فَأُمَّهُ ، فيمضي على وجهه نحو ذالك النجم حتى يقع على التوباد ، فإذا رآه قال في ذالك :

وأَجْهَشْتُ لِلتَّوْبَادِ حِينَ رأيتُهُ ... وكَبَّرَّ لِلرَّحْمنِ حِينَ رآني
وَأَذْرَفْتُ دَمْعَ الْعَيْنِ لَمَّا عَرَفْتُهُ ... ونَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ فَدَعَانِي
فَقُلْتُ لَهُ : قَدْ كَانَ حَوْلَكَ جِيْرَةٌ ... وعَهْدِي بِذَاكِ الصِّرْمِ مِنْذُ زَمَانِ
فَقَال: مَضَوْا، وَاسْتَوْدَعُونِي بِلادَهُمْ ... وَمَنْ ذَا الَّذِيْ يَبْقى عَلَىَ الْحَدَثَانِ؟!
وَإِنِّي لَأَبْكِي الْيَوْمَ مِنْ حَذَرِي غَداً ... فِرَاقَكَ والْحَيَّانِ مُجْتَمِعَانِ
سِجَالاً وتَهْتَاناً ، وَوَبْلاً وَدِيْمَةً ... وسَحًّا وتَسْجَاماً ، وتَنْهَمِلاَنِ

ويختلف الرواة في بعض ألفاظ هذه المقطوعة الرقيقة اختلافا ليس جوهريا ، إلا أن هناك من العلماء من أَبْعَدَ النجعة حين زعم أن التوباد الوارد فيها يقع في أرض الموصل من أرض الجزيرة الفراتية في بلاد بني شيبان في العراق ، وذالك في سياق خبر غزوة حدثت في شهر صفر سنة ٢٨٠ في عهد الخليفة المعتضد ، فقد خرج من بغداد يريد بني شيبان فقصد أَرضَ الموصل ، فلما بلغ الموضع الذي كانوا يتخذونه معقلا أوقع بهم وقعة شديدة ، وسمى ابنُ كثير الموضعَ جبل تَوباد ، وأنه لما أَشْرَفَ على هذا الجبل وكان معه دليل أعرابي حسن الصوت أنشد الأعرابي :

وأَجْهَشْتُ لِلتَّوْبَادِ لَمَّا رَأَيْتُهُ ... وَهَلَّلَ لِلرَّحْمنِ حِينَ رَآني
وَقُلْتُ لَهُ : أَيْنَ الَّذِيْنَ عَهِدتُّهُمْ ... بِظِلِّكَ فِي خَفْضٍ وأَمْنٍ زَمَانِ
فَقَال : مَضَوْا ، واسْتَخْلَفُونِي مَكَانَهُمْ ... وَمَنْ ذَا الَّذِي يَبْقَى عَلَىَ الْحَدثَانِ؟!

فتغرغرتْ عَينا الخليفة المعتضد ، وقال : ماسلم أحد من الحدثان!! .

ليس غريبا أَنْ يطلق الاسم الواحد على عدة مسميات ، ولكن الغريب أن

يتوهم علماءُ كابن الجوزي في «المنتظم» ــ ١٤٢/٥ ــ وابن كثير في «البداية والنهاية» ج ٦٨/١١ ، وغيرهما ممن لايجهل مجنون ليلى وشهرته وانتشار شعره بين أعراب نجد ــ أنَّ الجبل المعنيَّ بهذا الشعر يقع في الجزيرة الفراتية في بلاد بني شيبان .

واسم التوباد يطلق على جبلين في نجد أحدهما هـذا الجبـل المشرف على بلدة الغَيْل ، وأقُولها كلمةً لوجه الحق وأمانة العلم أنني لم أَكُنْ أعرف التوباد هذا ، حتى كتب إليَّ الأخ محمد بن حمدان من الرياض وأنا في بيروت بتاريخ ١٣٩٣/٣/٢٥ يخبرني به ، فكتبت إذ ذاك بحثا في مجلة «العرب» ــ س ٧/ص ٩٥١ ــ في الموضوع خلاصته : إنَّ التوباد يسمى به الآن جبل في بلاد محارب قديما الواقعة غرب وادي الْجَرِيب المعروف الآن باسم الجرير ، وهذا قد ورد ذكره في كتاب «بلاد العرب» ــ ١٨٢ ــ بهذا النص : وقرن التَّوْبَادِ جبلٌ في بلادهم ، جنب الماءة التي يقال لها الغبارة ، قال المحاربي :

نَحْنُ جَلَبْنَا منْ جَنُوبِ التـوباد إلَى قُـطيَّـاتٍ وَجَنْبِ ٱلأَغْـرَادْ
عُـيُـوَرَة أَذْنَـابُهـا كَـٱلأَوْتَـادْ مُجَـلَّحَـاتٍ بِـالسِّـلَاحِ وَالـزَّادْ
فَنَحْنُ جُنْدٌ فِي عِراض ٱلأَجْنَادْ

كذا أورد صاحب الكتاب عن المحاربي وما أرى رجلا محاربيًّا يمدح قومه باقتناء العيورة ــ جمع عَيْر ــ بينما تمتدح القبائل الأخرى بانهم أصحاب الخيل الأصيلات ، ونجائب الإبل المهريات .

وهذا الذي في بلاد محارب قد شاهدته في إحدى رحلاتي إلى عالية نجد ، وهو جبيل أسود صغير ململم ، قليل الارتفاع ، يقع جنوب قرية الحسي (حسو عليا) بنحو ٤٥ كيلا ، قد مررت به أنا وبعض الإخوة ممن كتب عن وصفه وينطق اسمه الآن (التوبان).

أما التَّوْباد الواقع جوار بلدة ٱلْغَيل فقد ذكره البكري في «معجم مااستعجم» وضبط الاسم بفتح التاء بعدها واوفباء معجمة بواحدة ودال مهملة ، وقال : إنه جبل في أرض بني عامر ، وأورد شاهدا عليه قول المجنون المتقدم .

وجاء في كتاب نصر الاسكندري ــ والكتاب لايزال مخطوطا ــ : التوباد أبيرق أسد . كذا وردت كلمة (أسد) في المخطوطة التي تعتبر وحيدة ، وهي مخطوطة (لاَلَهْ لي) ويظهر أن ياقوتاً الحمويَّ اطلع عليها فنقل النَّصَّ كما هو ، وسار على هذه الطريقة صاحب «تاج العروس» في رسم (توبد)، ولم يدرك ياقوت ولا الزَّبيدي أن كلمة (أسد) في المخطوطة تصحيف (أُسَيِّد) تصغير أسود مثل كلمة (أسيود) وقد نص نصر على أنه في بلاد محارب حين ذكر الغبارة فقال : ماءة إلى جنب جبل التوباد في بلاد محارب .

ويلاحظ في اسم التوباد أنَّ ياقوتا أورده بالذال المعجمة (التوباذ) ولم يزد على القول : جبل بنجد . ــ مع مانقل عن نصر ــ والْخُلْفُ بين الدال المهملة والذال المعجمة سَهْلٌ ، فقد تُبْدَلُ الذال من الدال لتقارب مخرجي الحرفين كما في قراءة الأعمش للآية الكريمة﴿فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ﴾،فقد روى عنه إعجام الذال ، وأُعجمت أيضا في اسم (بغداد).

ثم ماذا عن منازل بني ٱلحَرِيش قوم لَيْلَى صاحبة قيس التي كانت ترعى معه الْبَهْمَ

صَغِيْرَيْنِ نَرعْىَ الْبَهْمَ يَالَيْتَ أَنَّنَا إلى الآنَ لَمْ نَكْبرْ ولَمْ يَكْبُرِ الْبَهْمُ

مما يدل على تقارب ديار العشيقين؟

في كتابَيْ «بلاد العرب»: ٢٢٦ والهمداني في «صفة جزيرة العرب» ــ ٢٦٤ أن وادي الهدَّار المعروف في الأفلاج كان خاصًّا ببني الْحَرِيش من أعلاه حتى يدفع على صَدَّاء ، كلُّ جِزْعٍ منه لفرع من فروعهم فالقُطْنية لبني خَلَدة ، ثم الأقطان لبني خالد ، ثم الْفَرْعَةُ لبني رَبيعة ، ثم الحَشْرَج لبني المُجِرِّ ، وأما الشَّطْبَتَانِ ــ المعروفتان الآن باسم الشَّطْبَة والضَّبْعِيَّة ــ فتشرك فيهما جَعْدَةُ وٱلحَرِيش .

وعلى هذا فالْحَرِيشُ مخالطون لبني جعدة في بلاد الأفلاج .

وبعد : فلقد امتدَّ نفسُ القول في مقامٍ يحسن فيه الإيجاز ، ولكن أليس من الوفاء أَنْ يُشارَ ــ بل يُشَاد ــ برائعةِ أمير الشعراء عن قصة صاحب (التوباد) فلقد ←

ماتفق لفظه وافترق مسماه
من أسماء المواضع
للإمام محمد بن موسى الحازمي (٥٤٨/٥٨٤هـ)

- ٤٥ -

٢٢٨ ــ بَابُ ٱلجَوْفَاءِ وٱلخَرْقَاءِ(١)

أَمَّا ٱلْأَوَّلُ ــ بَعْدَ الجِيْمِ ٱلْمَفْتُوحَةِ وَاوٌ ــ : في شعْرِ غَسَّانَ بن ذُهَيْلٍ :

وَقَدْ كَانَ فِيْ بَقْعَاءَ رِيٌّ لِشَاتِكُمْ وتَلْعَةَ وٱلجَوْفَاءِ يَجْرِي غَدِيْرُهَا

قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : بَقْعَاءُ وَتَلْعَةُ وَٱلْجَوْفَاءُ مِيَاهٌ وأَمَاكِنُ لِبَنِي سَلِيْطٍ(٢) .

وَأَمَّا الثَّانِي ــ أَوَّلُهُ خَاءٌ مُعْجَمَةٌ مَفْتُوحَةٌ بَعْدَهَا رَاءٌ ثُمَّ قَافٌ ــ : فِي شِعْرِ أَبِي سَهْمٍ :

غَدَاةَ الرَّعْنِ وَٱلخَرْقَاء تَدْعُو وصَرَّحَ بَاطِنُ ٱلكَفِّ ٱلكَذُوبِ

قَالَ السُّكَّرِيُّ : الرَّعْنُ وٱلخَرْقَاءُ مَوْضِعَانِ(٣) .

٢٢٩ ــ بَابُ ٱلجَوْفِ وَٱلحَوْفِ(٤)

أَمَّا ٱلْأَوَّلُ ــ بِفَتْحِ الجِيْمِ وَآخِرُهُ فَاءٌ : دَرْبُ ٱلْجَوْفِ بِٱلْبَصْرَةِ يُنْسَبُ إِلَيْهِ حَيَّانُ ٱلْأَعْرَجُ ٱلْجَوْفِي ، حَدَّث عَنْ أَبِي الشعْثَاءِ جَابِرِ بْنِ زَيْدٍ وَغَيْرِهِ(٥) .

وَأَمَّا الثَّانِي ــ أَوَّلُهُ حَاءٌ مُهْمَلَةٌ ، وٱلْبَاقِي نَحْوَ الأَوَّلِ ــ : مِنْ أَعْمَالِ مِصْرَ ، يُنْسَبُ إِلَيْهِ قُسَيْمُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُطَيْرٍ ٱلْحَوْفِي ٱلْمُقْرِيءُ ، وأَبُو ٱلْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعِيدِ بْنِ يُوسُفَ ٱلْحَوْفِيُّ النَّحْوِيُّ ، حَدَّثَ عن ابن رَشِيْقٍ وغَيْرِهِ ، رَوَى عِدَّةَ كُتُبٍ مِنْ تَصَانِيفِ النَّحَّاسِ(٦) .

مَتَحَ من تيَّارِ نهرٍ صاف فأروى وأعذب ، وَمنَح (صناجة العرب) في هذا العهد بتلك الرائعة ما أشجى به إذْ غَنَّى فأطرب .

حمد الجاسر

الحواشي :

(١) لم أرَ هَذَا الباب في كتاب نَصْرٍ .

(٢) أورد ياقوتُ في «معجم البلدان» مانصه : الجَوْفَاءُ ــ بالمدِّ وفتح أوله ــ : ماءٌ لمعاوية وعوفٍ ابني عامر بن رَبِيْعَةَ . قال أبو عُبَيْدَةَ في تفسير قولِ غَسَّانَ بن ذُهْلٍ :

وَقَدْ كانَ في بَقْعَاءَ رِيٌّ لِشَأْنِكُمْ ... وقَلْعَةِ ذِي ٱلْجَوْفَاءِ يَجْرِي غَدِيْرُهَا

هذه مِياهٌ وأماكِنُ لبني سَلِيْطٍ حوالي اليَمامةِ . وقال الحَفْصِيُّ : جَوْفَاءُ بَنِي سَدُوسٍ بِٱليَمامَةِ قلعةٌ كبيرة. انتهى . ويلاحظ على هذا :

١ ــ وقوع تصحيف في الكلمات (لشأنكم) و(قلعة) في الموضعين ، والصواب (لِشَائِكم) و(تَلْعَة) كما في كتاب الحازمي . أما كلمة (ذي الجوفاء) فيظهر أن الصواب (والجوفاء) كما في الكتاب و«النقائض» ــ ١٢ ــ و«ديوان جرير» ــ ٢٩٥ ــ فقد ورد البيتُ فيه من قَصِيْدَةٍ طَوِيلةٍ يَرُدُّ فيها على غَسَّانَ السَّلِيطِيِّ ، وإذَنْ فالبَيْتُ لِجريرٍ ولَيْسَ لغَسَّانَ ، وقصيدةُ جَرِير في هَجْوِ بني سَلِيطٍ ومنها البيتُ ، فكَيْفَ يَهْجُو غَسَّانُ قومهُ ؟ أما أبُو عُبَيدة فهو مَعْمَرُ بنُ المثنَّى وقد أورد في كتابه «النقائض» خبر التهاجي بين جَرِيرٍ وبين غَسَّانَ بْنِ ذُهَيْلٍ مُفَصَّلاً ــ في أول الكتاب ــ وساق نسب غسان بن ذُهَيل بن البراء بن ثمامة بن سيف بن جارية ابن سَلِيطٍ ، ولكن لم يرد في الكتاب مانسبه ياقوت إليه ، مع أنه أوردَ البيتَ في قصيدةٍ لجرير ، مطلعها :

أَلَا بَكَرَتْ سَلْمَى فَجَدَّ بكُورُهَا ... وَشَقَّ ٱلْعَصَا بعد ٱجْتِمَاعٍ أَمِيْرُهَا

يناقض بها قصيدة لغَسَّانَ مطلعها :

لَعَمْرِي لَئِنْ كانَتْ بَجِيْلَةُ زَانَهَا ... جَرِيْرٌ ، لَقَدْ أَخْزَى كُلَيْباً جَرِيْرُهَا

وَلَمْ يُعَلِّقْ على البيت بِشَيْءٍ ، وقد تكون مطبوعة «النقائض» نَاقِصَةً ، ولكن الذي لامِرْيَةَ فيه أنَّ البيتَ فيها وَرَدَ في قصيدةٍ لجرير ، كما ورد في ديوانه ، مما يحمل على الاعتقادِ بأنه من شعره ، لا شعر غَسَّانَ بْنِ ذُهَيْلٍ ــ وقبل البيت:

تَمَنَّيْتُمُ أَنْ تَسْلُبُوا ٱلْقَاعَ أَهْلَهُ ... كَذَاكَ ٱلْمُنَى غَرَّتْ جُحَيْشاً غُرُورُهَا

وقد كَانَ في بقعاء ــ البيت :

تَنَاهَوْا وَلَاتَسْتَوْرِدُوْا مَشْرَفِيَّةً ... تُطِيْرُ شُؤُونَ ٱلْهَامِ مِنْهَا ذُكُورُهَا

وبَنُو سَلِيط أبناءُ عَمِّ لجرير ، فسَلِيطٌ هُو كَعْب بنِ الحارثِ بن يَرْبُوع بن حَنْظَلَة بنِ مالكِ بنِ زَيد مَنَاةِ بْنِ تَمِيم ، وجَريرٌ معروف نسبه من بني كُليب بْنِ يَرْبُوع .

وٱلجَوْفَاءُ من أوْصَافِ البِئْرِ الواسِعَة الجوف (الأسفل) ففي «النقائض» ــ ٤٩٠ ــ في وصف حماقة مُعْرِضٍ ــ من أقارب جرير الشاعر ــ : أتَى بِالنساءِ وأولادهنَّ رَكِيَّةً واسعة يقال لها الجوفَاء ، بشبكة من شِبَاكِ بني كُلَيْبٍ ، فألقاهُمْ فيها أجْمَعِين ، وكان فَمُ الركيَّةِ ضيِّقاً ، وأسفَلُهَا واسعاً . انتهى .

وفي كتاب «بلاد العرب» ــ ٧ ــ : وأرض بني عامر بن رَبيعة بن عُقَيلٍ ٱلجَوْفَا ، وهي لمعاوية وعوف ابني عامِرِ بن ربيعة ، وقبل ذالك ذكر أن عامِرَ بنُ عُقَيْلٍ مُرْتَفِعُونَ بِأعالِي ٱلْحِجَاز وأدَانِي اليمن . وعلى هذا فما ذكر صاحب «معجم البلدان» ينطبق على مُسَمَّيَاتٍ ثلاثة : أرضٍ أو ماءٍ لابني عامر بن ربيعة بن عُقَيْلٍ ،

وهذا في الجنوب الْغَرْبِيِّ مِنْ نَجْدٍ ، والثاني جَوْفَاء بني سدوس ، وهي تَلْعَةٌ واسعة ، وينبغي أن تكون بِقُرْب قَرْيَتهم التي لاتزال معروفةً في اليمامة ــ منطقة العارض ، على نحو سبعين كيلاً من الرياض ، والثالثَ : جوفاء بني سَلِيط الواردة في الشِّعر ، وهي غير جَوْفَاء بني كُلَيْب ، وليس من المستبعد أن تكون الجوفَاوان مُتَقَارِبَتَيْنِ ، فَسَلِيطُ وكُلَيْبُ أَخَوانِ ، ولابُدَّ أن تكون مَنَازِلُهُما قديماً مُتَقارِبَة ، مع منازل قومها من بني يَرْبُوع ، إلَّا أَنَّ منازل هاؤُلاءِ متفرقةٌ ، فبينما يَقَع بعضُها في المَرُّوْتِ جَنُوبَ الْوَشْمِ ، إذَا بَعْضُها يَصِلُ إلى شرق بلاد جبل سَلْمَى ، الأَجْفُرِ ، ومن بلادهم حَزْنُ بني يَرْبُوع شرق الدَّهْنَاءِ ، مما يعرف الآن باسم التَّيْسِيَّات وماحولها ــ وهم قُرَى في شمال القَصِيم ، منها الْقُوَارة وزُنْقُبُ والْخُفُّ والهدِيَّة ، ــ انظر كتاب «بلاد العرب» ٥٨/٦٠/١٠٢/٢٢٢/٢٥٢/٢٦٨/٢٨١/٣٢٧/٣٣١ ــ

وبَقْعَاءُ : اسم كانَ يُطْلَقُ على آبارٍ ، منها في غَرْبِ نَجْدٍ بِقُرْبِ جَبَلِ بُسٍّ ، ومنها شرقَ جَبَلَيْ طَيِّءٍ ، وأَصْبَحَتِ الآنَ قَرْيَةً مَأْهولةً ــ بَلْ قَرْيَتَيْنِ ، أمَّا بَقْعَاءُ بني سَلِيْطٍ فهي ثَالِثَةٌ ، ولم أَرَ تَحْدِيداً لموقعها ، والآبار القديمة ــ قد درس أكثرها إلا ما أُقِيم عَلَيْهِ قَرْيَةٌ كانت سبباً لبقاء الاسم .

وأما تَلْعَةُ فاسمٌ لِمَاء منها : تَلْعَةُ لبني فُقَيْم بن جرير بن دارم بن حنظلة بن مالك ــ وهو ماء يقع شرق الْعَرَمَةِ وقَبْلَ الدَّهْنَاءِ في الطَّرِيْقِ من حَجْرٍ إلى الكوفة «بلاد العرب» ــ ٣٣٠ ــ وليس هذا الماءُ معروفاً الآن .

(٣) لم يَزِدْ ياقوتُ في «معجم البلدان» على ماذكره الحازِمِيُّ هنا إلَّا بتعريفِ الْخَرْقاء ، وأنَّها المرأةُ التي لاتُحْسِنُ شَيْئاً ، وأضاف إلى (أبي سهم) كلمة (الهُذَلِيّ) وفي «تاج العروس» مثله إلَّا أن البيت فيه بهذا النَّصّ :

غداة الرَّعْن والْخرقاء تدعو ... وصرَّح باطل الظن الكذوبِ

وفي «اللسان» : والْخَرْقَاءُ مَوْضع قال أُسَامَةُ الْهُذَلِيُّ ــ ثم البيت كما أورده الحازمي ــ وفي «معجم مااستعجم» رسم الخرماء : وقال أُسَامَةُ الْهُذَلِيُّ :

غداةَ الرَّعْنِ والْخَرْماءِ تَدْعُو ... وصَرَّحَ باطن الظَّنِّ الكَذُوبِ

ولِأُسَامَةَ بْن الحارث الْهُذَلي شِعْرٌ على هذه القافية في كتاب «شرح أشعار الهذليين» ولكن لم يرد فيه البيت فأضافهُ المحقق إلى زيادات شعره ــ ص ١٣٤٩ ــ

والرَّعْنُ ــ بفتح الراء أَوْ ضَمِّها ــ الأَنْفُ العظيم من الجبل ــ وهو اسم مواضع في شرق الجزيرة وغربها وجنوبها ــ كما يفهم مما أورده صاحب «معجم البلدان» وليس من قَرِيْنَةٍ توضح مراد الشاعر في بيته المفرد .

(٤) في كتاب نصر: (باب الْجَوْف والْخَوْف والْجُرُفِ والْخُرُفِ)

(٥) قال نصر: أما بفتح الجيم : وادٍ باليمن من أَرْضِ سَبَإٍ ، وأيضاً: من بلادِ بَنِي تَمِيمٍ جَوْفُ طُوَيْلِعٍ ، وأيضاً: في ديارِ حَلَبٍ ، موضع ، ودَرْبُ الْجَوفِ بالبصرة . انتهى .

وقد أَوْضَحَ صاحب «معجم البلدان» وقبله علماءُ اللغةِ أنَّ الجوفَ هو الْمُطْمَئِنُّ من الأرض ، ولهذا تسمَّى به مواضع كثيرة ، ذكر منها صاحب «المعجم» درب الجوف الذي في البصرة ، والجوف أرض لبني سَعْدٍ ، وهذا في شرق الجزيرة حيث وادي السِّتَارَيْن ، المعروف الآن بوادي المياه في شمال منطقة الظهران ، وجوف بَهْدَا ــ في الوشم ــ وجوف مُرَاد ــ في جنوب شرق اليمن ، ولايزال معروفاً ، وجَوْف عُمَان ــ الذي تقع فيه واحة البُرَيْمِي ــ ويعرف باسم الجوِّ ، وهناك مواضع أخرى معروفة الآن ، وأشهرها الجوفُ المعروفُ قديماً باسم دَوْمَةِ الْجَنْدَل . أما جَوْفُ طُوَيْلِع وقد ذُكِر في «المعجم» فيقع شرق الصَّمَّانِ ، ويعرف

طُوَيْلعُ باسم (الضِّبْعيَّات) الآن ، كما أوضحت في (قسم المنطقة الشرقية) من «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» .

وحيَّانٌ الأعرجُ الراوي عن أبي الشعثاء المنسوب إلى جوف البصرة أورد له ابن حَجَرٍ في «تهذيب التهذيب» ترجمة مقتضبة، ذكر انه ثة من التابعين ــ نقلاً عن ابن مَعين وابن حبَّان ــ وأبو الشعثاء كنية جابر بن زَيْدٍ اليحمدي الأزدي، الجوفي البصري من مشاهير العلماء التابعين ، روى الحديث عن عدد من كبار الصحابة كابن عباس وابنِ عمر وَابْن الزبير، وتوفي سنة ٩٣ أو ١٠٣ . وهناك من نسب أبا الشعثاء إلى جوف عُمَان ، وعَدَّه إباضياً ــ انظر «الأنساب» ٤/٣١٠ و«تهذيب التهذيب» ١٢/١٢٧ ــ وما أراه بعيداً لكونه من ٱلْيَحْمد من الأزد ــ وهم من أهل عُمَان .

(٦) لَمْ يَزِدْ نَصْرٌ في تعريف الحوف على القول: بفتح الحاء المهملة ــ : موضعٌ بمصْرَ ـ

وقال ياقوت في «معجم البلدان»: ــ بعد أن ذكر بعض معاني كلمة الحوف ــ : وٱلْحَوْفُ بمصْرَ حَوْفَانِ الشرقيُّ والغربيُّ ، وهما مُتَّصِلاَنِ أول الشرقي من جهة الشام ، وآخر الغربي قرب ــ دُمْيَاطَ ، يشتملان على بلدان وقرى كثيرة ، ونقل عن السُّكَّريِّ مانَصُّهُ : أخبرني أَبُو مُحَكِّمٍ قال: أنشدني أبو مطهِّر لِعُبَيْدِ بنِ عياشٍ البكريِّ أَحَدِ بني قوالة ، وطَرَدَ هو وعَارِمُ إِبِلاً لرجل نَصْرَانيٍّ من حَوْفِ مِصْرَ حتَّى أوردها حَجْرَ اليمامة فقال :

سَرَتْ مِنْ قُصُورِ ٱلْحَوْفِ لَيْلاً فَأَصْبَحَتْ ... بِدِجْلَةَ ، مايَرْجُو ٱلْمَقَامَ حَسِيْرُهَا
نُبَاطِيَّةٌ لَمْ تَدْرِ مَاٱلْكُوْرُ قَبْلَهَا ... وَلاَ السَّيْرُ بِٱلْمَوْماةِ مذُ دَقَّ نُورُهَا
يَدُورُ عَلَيْهَا حَادِيَاهَا إِذَا وَنَتْ ... وأَنْتَ عَلَى كَأْسِ الصَّلِيْبِ تُدِيْرُهَا
سَلُوا أَهْلَ تَيْمَاءَ ٱلْيَهُودَ تَمَرَّهَا ... صَبِيحَةَ خَمْسٍ وَهْيَ تَجْرِي صُفُورُهَا
أَلاَ لاَ يُبَالِي عَارِمٌ مَاتَجَشَّمَتْ ... إِذَا وَاجَهَتْهُ سُوْقُ حَجْرٍ وَدُوْرُهَا

أَوْرَدتُّ هذه الأبيات لطرافة مَوْضُوعها ، دفعاً لِسَآمَةِ جَفَافِ البحث ، وحَوْفُ مِصْرَ معروفٌ الآن وهو كُلُّ رِيْفِ بُلْبَيْسَ ، فهي قَصَبَتُهُ ، كما في «تاج العروس» . وذكر ياقوتُ المَنْسُوبَيْنِ إلى الحَوْفِ ، وقال عن الأخير: روى عن ابن رشيق والأدفوي وغيرها ــ ولم يزد ــ وذكر حَوْفَ رَمْسِيس بمصر ، كما ذكر في أول الكلام الحوف موضع بِعُمَان ، وأشار إلى تصحيف الجوف بالحوف ــ وأرَى موضع عُمَان مما صُحِّفَ ، وأنه الجوّ والجوف وللتوسع في معرفة المنسوبين إلى الحوف يحسن الرجوع إلى كتاب «الأنساب» للسمعاني بتعليق الشيخ عبدالرحمن المعلمي .

ومما أضافه نصر إلى هذا الباب :

١ ــ الجُرُف: قال: ــ بضم الراء المهملة ــ : قَرِيبٌ من المدينة ، وأيضاً: بِٱلْجَيْرَةِ حَيْثُ مَنَازِلِ آل ٱلْمُنْذِر ، وأيضاً : قرب مكَّة ، بها كانت الحربُ بَيْنَ سُلَيْمٍ وهُذَيلٍ . انتهى . ٱلْجُرُفُ ـ لغة ــ ماجرفته السيول من الأرض فحفرته . ولهذا كُثُرَتْ تسمِيَةُ المواضِع بهِ ، ومن أشهرها جُرُف المدينة ويسمى ٱلْعِرْض ، وكانت فيه أموال لأهلها في الجهة الغربية منها على نحو ثلاثة أميال حيث مجتمع أوديتها . وانظر لتحديد موقعه «وفاء الوفاء» للسمهودي . وٱلْجُرف الذي كانت فيه الحرب بين هُذَيْلٍ وسُلَيْمٍ ، بين مكة والمدينة ، وهو إلى مكة أقرب حيث اتصال منازل القبيلتين ، وسبب تلك الحرب أنَّ ابنَ عاصِيَةَ البَهْزِي السُّلمي كان يَغْزُو بني سَهْمٍ من هُذَيْلٍ ، فَتَرصَّدُوا لَهُ فأمسكوه وقتلوه ، فغزاهم أخوه عَرْعَرَةُ بجمع من قومه فأوقع بهم في الجرف من بلادهم وقال في ذالك : ←

ـ ١ ـ

نفود حَمَّا : (رمل النِّقَار)

في الأجزاء التي صدرت من «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» فات ذكر بَعْض الأَسْماء ، إذْ ليس في مقدور المرء مهما أوتي من سعة علم وقُدْرةٍ أن يكون عمله كامِلاً .

وسأحاول تَصَيُّدَ بعض مافات من تلك الأسماء ، مما ورد في المؤلفات القديمة ، أو مما جرى فيه من الحوادث ـ ولو في العصور المتأخرة ـ ماجعل معرفته مرتبطةً بتاريخ تلك الحادثة .

ومن تلك الأسماء (حَمَّا) بالحاء المهملة المفتوحة بعدها ميم مشددة فألف ، وهو اسم يطلق على كثبان رَمْلٍ (نُفود) في شرق الجزيرة ، فيما يُعْرف بالمنطقة المحايدة بين المملكة وبين الكويت ، شمال منطقة (الخَفْقِي) ويقع جنوب منطقة (الوَفْرَا) بما يقارب ثلاثين كيلاً . وفي تلك الكثبان كثيب بارز طويل يُدْعى (عدامة حَمَّا) وٱلْعَدَامة ـ بلغة أهل العصر من أهل نجد ـ الكثيب المستدير المرتفع ، ولعل اسم (حَمَّا) أُخِذَ من لون الحُمَّة وهي السواد ، فهو يشاهد من بُعْدٍ أسود اللون ، ويقع نفود حَمَّا شرق جنوب منطقة الشَّقِّ ، وأقرب الأعلام منه آكام مرتفعة

أَلاَ أَبْلِغْ هُـذَيلاً حَيْثُ كَـانَتْ مُـغَـلْغَـلَةً تَخُبُّ عَـنِ الـشَّـفِـيـقِ
مـقـامكُـم غَـدَاةَ ٱلْجُـرْفِ لَّـا تَـواقَـفَتِ الـفَـوَارِسُ بِـٱلْمَضِـيـق

وقد فُصِّل خَبَرُ مقتل ابنِ عاصية في كتاب «شرح أشعار الهذليين» ـ ٨٦٤ ـ أما خبر يوم ٱلْجُرْفِ فقد ذكره البكري في «معجم مااستعجم» ولم يرد في «شرح أشعار الهذليين» المطبوع .

٢ ـ حُرْف: قال نصْرٌ ـ بضم الحاء المهملة: رُسْتَاقُ حُرْفٍ بِٱلْأَنْبارِ ، وأيضاً : آرَامٌ سُوْدٌ مُرْتَفِعَاتٌ ، أظُنُّهَا في بِلَاد سُلَيْم . ذكر ياقوت في «المعجم» رستاقَ حُرْف من نواحي الأنبار ينسب إليه موسى بن سهل بن كثير بن سيار الوشَّا الحُرْفي المتوفي سنة ٢٧٨ أما الآرامُ فَلَمْ يَزِدْ عما ذكر نَصْرٌ ـ والآرامُ جمع إرَم ـ بكسر الهمزة وفتح الراء وبكسر الراء وفتح الهمزة ـ حِجَارَةٌ تُنْصَبُ في المفازة ، لِيُهْتَدَى بِهَا .

تدعى (ضُليعات السُّور) تصغير ضلع ، وهو الجبيل الصغير ، وشمال هذه الآكام آكام أخرى تعرف باسم (ضليعات الفوارس) وهذه بقرب الوَفْرَا .

وتقع منطقة المِشعاب في الجنوب الشرقي من نفود حَمًّا، بنحو خمسين كيلاً (يقع النفود بقرب خط الطول ٤٧/٤٧° وخط العرض ٢٢/٢٨°) .

ويظهر أنه جانب من رَمْلِ النِّقَار ، والرمل الواقع في طريق البصرة من البحرين ، وفيه مات العلاء بن الحضرمي ــ رضي الله عنه ــ أمير البحرين في صدر الإسلام .

لقد حدثت في الموضع المذكور وقعة بين محمد بن عبدالله بن رشيد وبين قبيلة العُجمان ذكرها عبدالرحمن بن ناصر في تاريخه بما هذا نَصُّه : ــ في ذكر حوادث السنة العاشرة بعد الثلاث مئة والألف ــ : فيها أمر ابنُ رشيد على البادية والحاضرة بِالْمَغْزَا ، فسارَ وأغار على راكان وجميع العجمان ، وأخذهم على موضع يقال له حَمًّا ، ورجع قافلاً إلى وطنه . انتهى .

ولكن يظهر أن راكان بن حثلين شيخ العجمان لم يحضر تلك الوقعة ، فقد جاء في قصيدة له يردّ بها على قصيدة قالها حُمُود بن عُبَيْد بن رَشيد وجاء فيها يخاطب راكان : ــ

احْرَصْ مْنَ اللِّي يَوْمْ (حَمًّا) تَنَصَّاكْ وخَلَّاكْ تَمْرَحْ بِالتُّسَيْعِيْ خَلَاوي

فأجابه راكان :

وْذكَرْتْ (حَمًّا) لَيْتْ حِنَّا حَضرْناكْ حتَّى تِضِيعِ مْرُوِّتِكْ وْالْهَقَاوِي

ومن قوله :

حَمًّا نَبَا نَاخِذْ سِرِيْعٍ قَضَاهَا

تنبيه : أمدَّني بالشواهد الشعرية الابن عبدالله بن عبدالرحمن بن سلُّوم ــ وفقه الله ــ

حمد الجاسر

ذكراك فوق مغيب الشمس ...

[فُجع الشاعر ــ بل مدينة القطيف بأسرها ولاسيما الطبقة المثقفة في هذه المدينة الكريمة ــ بحادث حريق اشتعل فجر الثلاثاء ٧ صفر ١٤٠٦هـ (٢٢/١٠/١٩٨٥م) فالْتَهَمَ بيتَ الشاعر عبدالوهاب بن حسن آل عبدالوهاب بمن فيه ــ صاحب البيت وزوجه وأطفاله الأربعة ــ وكان هذا البيت يشبه منتدى أدبياً في تلك المدينة ، حيث كان ملتقى أصدقاء الشاعر في أوقات الفراغ ، مما قوى آصرة الأدب بينهم ، وقد كان من المفجوعين بذالك الحادث الأليم الأستاذ محمد رضي الشماسي فأبّن الفقيد بقصيدة ألقاها في ذكرى الأربعين ليلة الخميس ١٤٠٦/٣/٢٢هـ (١٩٨٥/١٢/٤) كان منها :]

أَمِنْ تَجَدُّدِ ذِكْرَى يَـوْمِـكَ ٱلأَلَمُ ... مِـلْءُ ٱلفُؤَادِ جِـرَاحٌ لَيْسَ تَلْتَئِمُ

ماخَالَطَ ٱلحُزْنَ فِيها عَيْشُ مُبْتَهِجٍ ... ومَـاعَـرَانِـيَ إلَّا السُّقْمُ وَالسَّـأَمُ

وَمَـا ٱلخَلِيطُ سِوَى أَشْبَاحِ نَازِلَـةٍ ... بِـدَارَةٍ أَمَّـهَـا ٱلإِقْـوَاءُ وَالـظُّلَمُ

تَحَمَّلَتْ بَعْـدَ نَـأْيٍ كُـلَّ مُـدَّكِـرٍ ... كَـأَنَّ كُلَّ تُـرَابٍ فِي الطُّلُول فَمُ

فِي كُـلِّ زاوِيَـةٍ مِنْهَـا وَمُنْعَـطَفٍ ... لِلْمَجْـدِ وَمْضَةُ فِكْـرٍ غَالَـهُ ٱلعَدَمُ

تَجَسَّدَ ٱلبَيْنُ فِيهـا بَعْدَ مَـارَسَخَتْ ... مِنَ ٱلبَيَـانِ عَـلَى أَنْحَـائِهَـا قَـدَمُ

تَمَثَّـلَ ٱلمَوْتُ لِيْ فِيْهـا عَلَى صُـوَرٍ ... نَـارٌ تَـلَهَّبُ فِي أَجْـوَائِـهَـا وَدَمُ

أَصُورَةٌ مِنْ خَيَالٍ أَمْ مُغَـالَطَةٌ ؟! ... أَمْ تِلْكَ لَوْحَةُ بُؤْسٍ صَاغَهَا الضَّرَمُ ؟!

حَقِيْقَةٌ تِلْكَ أَمْ مِنْ وَحْيِ شاعِرِهَا ؟ ... فَـلَيْسَ ثَـمَّـةَ نِـيْرَانٌ ولَا حُـمَـمُ

رِوَايَـةٌ لَعِبَتْهَـا فَـوْقَ مَسْـرَحِهَـا ... وَبُؤْسُهُمْ عُقْـدَةُ ٱلمَـأْسَـاةِ بُؤْسُهُمُ

أَمْ قِصَّةٌ حَبَكَتْهَا (شهرزاد) أسىً ؟ ... بِهَـا الـدَّوَاوِيْنُ إِذْ تُبْـدَا وَتُخْتَتَمُ

أَمْ تِلْكُمُ صِيْغَةٌ فِي الشِّعْرِ أَبْدَعَها ... خَيَالُنَا حَيْثُ قَـرَّ ٱلبُؤْسُ ، تَنْتَظِمُ

فَوْق (التَّفَاعِيْـلِ) لَا وَزْنٌ وَقَافِيَـةٌ ... وَلَمْ تَكُنْ بِسِمَـاتِ الشِّعْـرِ تَتَّسِمُ

عَرُوْضُها مِنْ ضَحَايَاهَا فَمِنْ جُثَثٍ ... وَمِنْ بَنَـاتٍ لِفِكْـرٍ خَـطَّهَـا قَلَمُ

ضُرُوبُهـا وزِحَـافَـاتٌ مُـعَـلَّلَةٌ ... دُخَـانُهَا وَلَهِـيْـبٌ رَاحَ يَـلْتَـهِـمُ

☆ ☆ ☆ ☆

مـاافْـتَرَّ بَعْـدَهُمُ ثَغْـرِي لِـوَاقِعَـة ... عن أَشْنَبٍ فِي ٱلْهَوَى ٱلْعُذْرِيِّ تَبْتَسِمُ
غَنَّيْتُهَا أَمْسِ أَشْعَارَ ٱلْهَوَى طَرِبـاً ... وٱلْيَـوْمَ يَغْفُو عَـلَى أَوْتَـارِي النَّغَمُ
سَلَوْتُهَـا وَسَلَوْتُ الـرَّاحَ ، مـافَتِئَتْ ... ذِكْرَاكَ فَوْق مَغِيْبِ الشَّمْسِ تَرْتَسِمُ
أَوْتَحْتَ ظلِّ نَدَامَـاك الأُلَى شَرِبُـوا ... سُـلَافَةً مَـاارْعَوَوْا عَنْهَـا وَمَانِـدِمُـوا
شَرْبٌ مِنَ الصَّحْب تُسْقِيْهِم فَتُسْكِرُهُمُ ... ولَيْسَ فِي غَيْرِ جَرْسِ ٱلْحَرْفِ سُكْرُهُمُ
عَلَّمْتَهَـا أَنْ تَصُوغَ ٱلْفِكْـرَ مُتَّسِقاً ... وَأَنْ يُرَى مَعَ رُوْحِ ٱلْعَصْرِ يَنْسَجِمُ
وَكَيْفَ تُـرْتَادُ وِرْدَ الشِّعْـرِ ظَـامِئَـةٌ ... أَوْ ظَـامِىءٌ لِـرُؤَى سِحْـرِيَّـةٍ نِهَمُ
تُنْمَى إِلَى فِكْرِ (بَاخُوس) شَوَارِدُهَا ... ومِـنْ ذُرَى (ٱلْمُتَـنَبِّي) دونها أَمَـمُ
تَسْتَلْهِمُ الأدبَ ٱلأَنْـدَى يَـرَاعَتُهَـا ... وٱلْعَبْقَـرِيَّـةُ فِي أُفْقِ ٱلْعَـطَا رِيَمُ

☆ ☆ ☆ ☆

وخَاطِبِ الدار إِمَّـا كُنْتِ مَدْرَسَـةً ... فـإِنَّمَا هَـذِهِ الـذِّكْـرَى لَـهُ حَـرَمُ
يَسْتَعْذِبُ ٱلْقَوْلِ فِي أَعْتَـابِهَا لَهِجٌ ... بِـذِكْـرِهِ وعَـلَى آفَـاقِـهِ غَـمَـمُ
تِلْكَ اللُّبَانَاتُ فِي عِلْمٍ وَفِي أَدَبٍ ... يُحِيْـطُهَـا ٱلأَكْـرَمَـان الخُلْقُ والشِّيَمُ
قَضَيْتُهَا حَيْثُ كَانَ (البيتُ) مَدْرَجَةً ... لِلْمَجْـدِ تَسْعَى إِلَى أَفْيَـائِـهِ الهِمَمُ
أو منتدى يُرْقِصُ ٱلأَكْبَادَ سَاجِعُـهُ ... وَتَنْتَشِي مِنْ صَدَى أَنْغَامِـهِ النَّسَمُ
أَوْ دَوْحَـةً وعَـلَى أَفْنَـانِهَا غَـرِدٌ ... وآخـرون وكَـوْنٌ فيـهِ مُنْسَجِـمُ
كَمْ أَسْمَعَ الدَّهْـرَ والدُّنْيَـا رَوَائِعَهُ ... وَأَنْتَ بَيْنَ الصِّحَابِ ٱلْمُفْرَدُ ٱلْعَلَمُ
تِلْكَ الثَّـلاَثُونَ عِشْنَـاهَا وَمَشْـرَبُنَـا ... دُونَ ٱلْمَشَـارِبِ وِرْدٌ سَـائِـغٌ شَبِمُ
تِلْكَ الثـلاثُـون مـارَفَّتْ كَـوَاكِبُهَـا ... إِلاَّ عَلَى مُوثِق فِي الصَّحْبِ يَلْتَحِمُ
مَضَتْ كَوَامِض بَرْقٍ (وَٱلْبدُورُ) عَلَى ... كَفِّ الحُمَـامِ وَلَمَّـا يُبْلَغ ٱلْحُلُمُ
أَبَا (رِقية)[1] لايَرْقَى ٱلْخَيَالُ لَكُمْ ... وَدُوْنَكُمْ فِي رِحَـابِ الله مُقْتَـصَمُ
فِي ٱلْخَـالِـدِيْنَ وعِنْـدَ الله مـدَّخَـرٌ ... لِمِثْلِكُـمْ، ولَقُـرْبُ الله مُـغْتَـنَمُ !!

(١) رقية: البنت الكبرى للفقيد. القطيف: محمد رضي الشماسي

☆ ☆ ☆ ☆

مع القراء في أسئلتهم وتعليقاتهم :

أســـرة الســـدارا

كانت «العرب» نشرت س ٢١ ص ٨٣٥ كتاباً من الأخ توفيق بن عبدالعزيز السديري حول نسب أسرته الكريمة، وقد كتب جضرة صاحب المعالي الأمير عبدالرحمن بن أحمد السديري إلى الأخ توفيق حول الموضوع ، وتكتفي المجلة بنشر صورة ماكتبه معالي الأمير الجليل .

بسم الله الرحمن الرحيم

عبدالرحمن الأحمد المحمد السديري — Abdulrahman A. Albudairy

التاريخ ١٤٠٧/٦/٥هـ Date

المكرم الإبن توفيق بن عبدالعزيز العبدالله التركي السديري حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

لقد اطلعت مؤخرا على ملاحظاتكم على الشيخ حمد بن جاسر حول نسب الاسرة السداري والتي نشرتوها في مجلة العرب حيث ذكرتم بملاحظاتكم ان الجد احمد هو ابن محمد بن تركي بن مقحم بن محمد بن سليمان على عكس ما اورده الشيخ حمد الجاسر في كتابه "جمهرة انساب الأسر المتحضرة في نجد" وما ورد في كتاب الشيخ عبدالرحمن المغيري "المنتخب في ذكر قبائل العرب".

والصحيح يا أخ توفيق ان أحمد السديري والده محمد وجده سليمان السديري مباشرة . وقد ورد في كتاب "اقناع السامر بتكملة متعة الناظر" للمؤلف شعيب بن عبدالحميد بن سالم الدوسري (صفحة ٣١) ان والد مؤلف الكتاب واسمه عبدالحميد قد التقى بالجد محمد بن احمد بالرياض سنة ١٢٨١هـ في عهد الامام فيصل بن تركي وقد اوضح الجد محمد لعبد الحميد ان ابوه احمد هو ابن محمد بن سليمان السديري الخ.

أن ما اورده الشيخ حمد الجاسر وما ورد في كتاب الشيخ عبدالرحمن المغيري هو الصحيح. والمغيري كما تعلمون ولد بتاريخ ١٢٨٥هـ ولذا فهو ليس بحديث المعرفة وقد استند على كتابته الكثير من الدارسين مثل الشيخ حمد الجاسر والشيخ عبدالرحمن بن عبداللطيف بن عبدالله آل الشيخ الذي حقق وعلق على كتاب ابن ابشر "تاريخ نجد عنوان المجد".

لذا آمل منكم ملاحظة التحفظ عن الدخول والاعتراض في مثل هذه المسائل قبل التأكد ومعرفة الصحة وإذا لديكم أي معلومات مسجلة عن العم عبدالله بن تركي السديري آمل تزويدنا بصورة من التسجيل للاطلاع عليها . والله يحفظكم .

المخلص

عبدالرحمن بن أحمد السديري

Al-Joufe : Al-Soudariya - Saudi Arabia — الجوف ـ السديرية ـ المملكة العربية السعودية

حـول مقـال :

حرة بني عبدالله

اطلعت على ماذكره الأخ ماجد بن طاهر المطيري من تحديد حرة بني عبدالله في جزء الربيعين ١٤٠٧هـ (س ٢١ ص ٦٤٨ إلى ٦٥٩) وهذا عمل يشكر عليه الأخ ماجد ، وحيث أنَّ الإنسان غير معصوم من الخطإ والنسيان فقد لاحظتُ على الأخ ماجد في مقاله الملاحظات التالية عسى أن يتقبلها تَكْمِيلاً لمجهوده في هذا المجال :

أولاً : تكرر ذكر أن بني عزيز من عون . والمعروف أن بني عزيز من عنزة ، تحالفوا مع بني عبدالله مع استمرارهم بالتمسك بعزوتهم (وائل) وصلتهم بِعَوْنٍ صِلَةُ مودةٍ أكثر من غيرهم من قبائل بني عبدالله ، وهذا لايعيبهم ، بل هذا هو المعروف أن قبائل المملكة لا تخلو قبيلة واحدة إلا أن يشاء الله إلا ومعهم حلفاء جمعتهم ظروف معينة في زمانهم ، فقبيلة مطير وعتيبة وحرب وسبيع كلها مؤلفة من عدة قبائل وأسر ولا يعيبهم ذالك ، بل من المعروف أن قبائل العرب لا تحالف إلا كل نزيه وشريف وعفيف .

ثانياً : ذكر عدة مواضع (جبال وقرى وأودية وآبار) في الحقيقة ليست في حرة بني عبدالله مما يوهم القارىء أنَّ هذه المسميات تقع في حرة بني عبدالله أو من قرى بني عبدالله مدار الحديث ، فـذكر مَهْدَ الذهب وحاذةَ وأم الغِيْرَان وهذه قرى معروفة تقع في عالية نجد وكذالك ماذكره من جبال أمثال (رمرم ورايان وهِدَان) جبال معروفة أنها ليست في حرة بني عبدالله ، بل تقع أيضاً في عالية نجد ، أو ما يسمى بـ (المحوى) شرق حرة بني عبدالله .

ثالثاً : ذكر الأخ ماجد الجرْنَانة هجرة للهجَال ، تقع في نهاية الجهة الشمالية من حرة بني عبدالله ، والواقع أنها تقع في الجهة الغربية ، بل نهاية حرة بني عبدالله هي وادي العد والحجرية التي ذكرها في ص ٦٥٤ س ٢١ من المجلة .

رابعاً : ذكر أنَّ العُقَدَ تقع في وادي عريتبة وقد أقيم عليها جهرة للهِجَال .

والصحيح أنَّ العُقَدَ تقعُ في وادي صُبَيْر ، وهِجْرَةُ الهِجَال لم تقم عليها بل أُقيمت في موضع من وادي صبير يسمى الرويضة ، وسميت بهذا الاسم ، والعُقَدُ

آبار قديمة للهجال ، والرويضة بها آبار ارتوازية ومساكن ومدرسة للهجال وهي التي ذكرها الأخ ماجد في ص ٦٥٦ هجرة صقر بن عواض بن لويحق .

خامساً : ذكر الأخ ماجد أن الخُفَيق يقع في وادي شاطا . الصحيح أنه يقع في وادي الرميدة الذي يسمى أعلاه وادي الخُفَيق، ووسطه وادي الحفيرة وأسفله وادي الرميدة ، ويصب سيله في باحة بيضان باتجاه الشرق .

سادساً : ذكر الأخ ماجد بأن خلط بين اسم زار والزَّور فكأنهما اسم واحد بل اكتفى عن ذالك بتلميحه عن جبال الزور ، وأورد عدة أَبْيات شعرية . إذْ أنَّ المعروفَ أن جبل زار يقع جنوباً من جبل مَنْوَرٍ فيما ارتفع من قُرى بني عبدالله ، وجبال الزور المعنية بأبيات الشعر على مايبدو من ظاهر الأبيات التالية :

وبالزور زَوْرِ الرقْمَتَيْنْ لنَا شَجاً إذَا نَدِيَتْ قيعانُهُ ومَذَاهِبُهْ
بلادٌ مَتَى تُشْرِفْ طَوِيلَ جِبَالِهَا عَلَى طَرَفٍ يَجْلِبْ لَكَ الشَّوقَ جالِبُهْ

فجبل زَارٍ ليس حوله جبال طوال ، كما ليس حوله قيعان ، والمعروف أنَّ جبال الزور تقع شمال غرب بلدة صُفَيْنَة ، جبال سود تطل على قيعان الدَّمْثَةِ ، موضع من وادي بيضان ، والمسافة بين جبال الزور وجبل زار مسافة طويلة .

أحببت ذكر هذه الملاحظات عسى أن تزيل الإيهام لما يتصوره القاريء حيث ذكر الأخ ماجد في ص ٦٤٩ س ٢١ أن هذه (أسماء الأماكن من الجبال والأودية والموارد التي تحوي حرة بني عبدالله) . والله الموفق ،

القصيم : العبدلية : عوض بن عويض بن لويحق المطيري

آل حوتان من العبادلة من بني تميم

أشار الأخ عبدالرحمن بن عبدالله آل حُوتَان من بلدة الدَّلم في الخَرْج إلى ماجاء في كتاب «جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد» ص ١٩٩ من أن (آل حوتان في الرياض من عبدل (العبادلة) من بني تميم). وأضاف قائلاً : وهذا هو نسبنا ومنشأ آل حوتان هو حَوْطة بني تَميم ، ومنها تفرقوا ولايزال بعضهم فيها ، ومنهم من في

الرياض وفي الدلم وفي ٱلحَرِيق وفي الكويت .

وأشار أيضاً إلى ماورد عن بني حنظلة ص ١٩٢ وانه لم يرد فيه ذكر العبادل (بنو عبدالله بن دارم) مع أنهم أحد أفخاذ بني حنظلة بن مالك من تميم . وأضاف : وكذالك عند الحديث عن بني تميم ــ أي لم يرد لبني عبدالله ذكر ــ .

«**والعرب**» تقدم للكاتب الكريم شكرها مستزيدةً منه ومن غيره من القراء مافيه إضافات وتصحيح لما وقع في الكتاب المذكور .

(الخـتُّ) و(الحـتُّ)

جاء في الكلام على «المعجم الكبير» ــ «العرب» س ٢١ ص ٧٩٢ ــ ذِكْرُ الحَتِّ موضع بِعُمَانَ . وأضفت إلى هذا بأنَّ صاحب «معجم البلدان» أورده مرة بالخاء المعجمة وأخرى بالحاء المهملة ، وأن (الحت) بالحاء المهملة موضع لايزال معروفاً في عمان .

وأضيف الآن أن اسم (خَـت) بالخاء المعجمة بعدها تاء مثناة ــ : موضع لايزال معروفاً في تلك الجهات ، وهو يطلق على منطقة زراعية واسعة فيها من القرى : خت والحيل وحبحب وأذن الفيل وقلية ، وهذه المنطقة تعد من المنتزهات الطبيعية لإمارة رأس الخيمة (جُلَّفَار) وهي معدودة قديماً من بلاد عُمَان ، وتعتبر المنطقة من أهم المراكز الزراعية في الإمارة ، ففيها نحو ١٧٥ حديقة نخل ، ومن الأمكنة المستثمرة في الزراعة ٢٧٦ وهي أرض منبسطة تمتد بين جبال ٱلحَجْرِ العمانية وبين الكثبان الرملية المعروفة بسهل الدقداقة ، واقعة جنوب رأس الخيمة في مفيض الأودية المنحدرة من تلك الجبال ــ انظر كتاب «دولة الإمارات العربية المتحدة» الصادر عن (معهد البحوث والدراسات في المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم) الصفحات ١٧٥ ، ٢٧٦ ، ٣٣٣ ، ٣٤٩ ، ٥٦٢ .

جبل ابراهيم : البثراء

. . . في جبل السراة ، جنوب شرق الطائف . وفي سراة بني مالك أعلى قمة

بارزة في تلك الجهة تدعى جبل إبراهيم . فهل لكم أن توضحوا للقراء مَنْ إبراهيم الذي يُنْسَبُ إليه ذالك الجبل ؟ !

الطائف: أحد قراء المجلة

العرب: تكرر اسم الجبل المذكور في كتاب «في سراة غامد وزهران» ــ ٣٦٥/٣٣٨/٦٢/٢٢/١٢ ــ فذكر أن ارتفاعه عن سطح البحر ٢٥٠٠ متر (ألفان وخمس مئة) وأنه أعلى قمَّة في السراة ، وأن وادَيَيْ شوقب وعَرَدة تنحدر أعاليهما من سفوح ذالك الجبل الشرقية الشمالية ، ولكن لم يَرِدْ في الكتاب ذكر إبراهيم الذي أُضيف إليه ذالك الجبل .

وأول من رأيته ذكر إبراهيم هو العالم اللغوي الفيروز آبادي في كتابيه «المغانم المُطابة، في معالم طابة» و«القاموس المحيط» فقد قال في الكتاب الأول في الكلام على ٱلعَرْج القرية التي يُنْسَبُ إليها الشاعر عبدالله بن عمر العَرْجيَ : ــ قال: وقد عَرفْتُ هذه القرية ومكانها في مسيري إلى جبل ابراهيم ، وهي ــ يعني القرية ــ على ثلاثة أميال من الطائف . وقال في الكتاب الثاني ـ في رسم بئر ــ: والبثراءُ جَبَلٌ لِبَجِيْلَةَ ، تَعَبَّدَ فيه ابراهيم بن أَدْهَمَ . انتهى . وبَجِيلة عرفوا في عهدنا ببني مالك ، فقد طَغَى اسم فرع من فروع القبيلة وهو (بنو مالك) على الاسم العامّ لجميع الفروع ، كالحال في اسم (شَمَّر) الذي هو اسم لفرع صغير من فروع طيِّءٍ ، فقد أصبح يطلق الآن على كثير من فروع القبيلة وأحلافها.

أمَّا مَتَى أُطْلِقَ اسم جبل إبراهيم فيعرف هذا من الزمن الذي عاشَهُ إبراهيم ــ إنه من أهل القرن الثاني الهجري ، وهو من أئمة الزُّهاد العُبَّاد وقد حَجَّ . ورابط في حدود بلاد الروم وهناك مات سنة اثنتين وستين ومئة وله ترجمة مفصلة في «حِلْيَةِ الأولياء» لأبي نُعَيْم ، وفي «تاريخ دمشق» لابن عساكر ، وفي «سير أعلام النبلاء» للذهبي ، وفي «البداية والنهاية» لابن كثير وغيرها من الكتب ، ولم أر ــ فيما اطلعت عليه ــ ذكراً لتعبده في جبل إبراهيم ، ولكن من مأثور قوله: أَفِرُّ بديني من شاهق إلى شاهق ، ومن جبل إلى جبل ــ ١٧٣/٢ «تهذيب تاريخ ابن عساكر» و«سير أعلام النبلاء»: ٣٩٠/٧ و«البداية والنهاية» ١٣٩/١٠ ــ .

الربع الخالي : (الفج الخالي)

وجه الأخ محمد بن سعد من كلية الآداب في (جامعة الامام محمد بن سعود) إلى المجلة سؤالاً عن (الرُّبع الخالي) المعروف في الجنوب الشرقي من بلادنا ــ متى عرف بهذا الاسم ، وماهو اسمه القديم ؟

★ ★ ★

لَمْ أَرَ فيما اطَّلعتُ عليه من المؤلفات القديمة ــ ذكْراً لاسم (الرُّبع الخالي) وأقدم اسم يقاربه ورد في كتاب «مسالك الأبصار ، في ممالك الأمصار» لابن فضل الله العمري المتوفي سنة ٧٤٩ وهو (ٱلفَجُّ الخَالي) فقد جاء في الجزء الأول من هذا الكتاب ــ ٢٣٢ ــ مانَصُّهُ : الأُخْدُودُ المحتفر لأصحاب الأُخْدُود المذكورين في القرآن الكريم وهو بنجران من بلاد اليمن . ومن ذالك البِئْرُ المُعَطَّلَةُ والقصْرُ المَشِيْدُ وهما قُرْب ٱلفَجِّ الخالي بمشارق اليمن . ومن ذالك سَـدُّ مَأْرب ، وهو ببلاد سَبَإٍ من اليمن ، وبه قَصْرُ القَشِيب لبلْقِيس . انتهى . وعلق العلامة أحمد زكي باشا ــ محقق الكتاب ــ على (الفجِّ الخالي) قائلاً: هو الذي يسمى الآن بِالرُّبْع الخالي في الجنوب الشرقي من بلاد العرب .

وقد تحدثت عن (الرّبع الخالي) في قسم المنطقة الشرقية من «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» ــ ٧٣٩ ومابعدها ــ فذكرت أنه يطلق عليه قديماً صحراء صَيْهَد ، ورمال وبَار ، وبلاد الحُوش ، وأُضِيفُ: ورمال يَبْرين ، وأوردت رأياً في تعليل الاسم ، أمَّا البِئْرُ المعطلة والقصر ٱلمَشِيد فإنَّ الهمدانيَّ في كتاب «الاكليل» ج ٨ ص ١٦٦ ــ طبعة سنة ١٣٩٩ ــ ذكر أنه قصر رَيْدة وبئرها ــ وريدة معروفة من بلاد همدان في شمال صنعاء ــ والمسافة بين ريدة وبين جانب الرُّبع الخالي المُوالي لليمن ليست شاسعة.

آل ثويني من آل شِمَاس من الدواسر

بعث إلى مجلة «العرب» الأخ الرائد سعد بن ابراهيم الثُّوَيْنِي ــ قيادة سلاح المهندسين ــ بحثاً وافياً عن نسب أسرته آل ثويني وتفرعهم من آل شِمَاس أهل قرية الشِّمَاسِيَّة من ملحقات مدينة بريدة الذين يرجعون إلى الوداعِين من قبيلة

الدواسر ، وذكر جوانب من تاريخ هذه الأسرة الكريمة (آل شِمَاس) ومنهم آل ثُوَيني وغيرهم من الأسر الكثيرة التي انتقلت إلى مدينة بريدة .

كما ذكر الأخ الكريم أنَّ من الأُسَر التي تُدْعَى آل ثويني : ــ

١ ــ آل ثويني من سُبيع في رياض الخبراء وبريدة وبعض قرى القصيم .
٢ ــ آل ثويني من الدواسر في حائل والقُرَيَّات والقصيم .
٣ ــ آل ثويني من بني خالد أبناء عمومة للطويان والشويعر وهاؤلاء في بريدة .
٤ ــ آل ثويني أسرة أخرى تنتسب إلى بني تميم ــ ولم يذكر الأخ منزلها ــ .
٥ ــ آل ثويني من القشعم من شمر .
٦ ــ آل ثويني من عبدة من شمر .

وقال: هناك أسر تسمى بهذا الاسم تنتسب إلى عتيبة وإلى مطير . ولم يوضح الأخ عنهم شيئاً .

العرب: تقدم للكاتب الكريم الشكر على إيضاحه وترجو أن يكون في الإمكان إضافته إلى كتاب «جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد» عند إعادة طبعه .

المثيني من الهوارنة من عتيبة

كتب الأخ الكريم محمد بن سعود المثيني المدرس بمدرسة ابن سينا الابتدائية في المبرز إلى مجلة «العرب» بأنه ورد في كتاب «تحفة المستفيد» للشيخ محمد بن عبدالقادر ــ رحمه الله ــ ص ٤٢ ــ نسبة أسرة المثيني إلى قبيلة زعب ، وذكر الأخ أن هذا خطأ وأن تلك الأسرة من النجدة من الهوارنة من فخذ المُقَطة من برقاء من عُتَيْبَةَ ، وأنهم من قدماء الساكنين في حيِّ العُتْبان بمدينة المبرز ، انتقلوا من الحجاز زمن ابن عريعر واستقروا في هذه الحلة مع من تحضر وبقي منهم بدو ، وهذا الحي (حي العتبان) يسكنه أسر ، منهم :

النفجان من زعب .
والشُّهيل من بني خالد . ←

■ **أخبار مكـة** :

محمد بن اسحاق بن العباس الفاكهي المكي من أهل القرن الثالث الهجري يعد من أقدم مؤرخي مكة ، وكتابه «أخبار مكة» من أشمل الكتب في موضوعه ، وصفه تقي الدين الفاسي مؤرخ البلد الأمين بأنه كتاب حسنٌ جداً لكثرة مافيه من

والشُّدَيِّد من الدغالبة من برقا من عُتَيْبَةَ .
وأسرة الرحيلي من العصمة وهم آل دهش، من الجلادين.
ومن سكان (حي العتبان) من مطير ، ومن عجمان الرخم من سبيع .

وذكر الأخ محمد بن سعود أن الهوارنة تنقسم إلى أفخاذ منهم : النجدة وذوو صالح وذوو هديب وذوو كايد وذوو خصيفان . وقال: إن أسرته المثيني من النجدة .

هذا ماكتب به الأخ الأستاذ محمد بن سعود ، وحبذا لو أنه فصل عن بقية السكان ، وأوضح كتابة الأسماء .

الزَّيَرَةُ من بني وائل

وقعت أخطاء (تطبيعاً أو سبق قلم) في المقال الذي نشر س ٢١ ص ٨٣٨ .

الصفحة	السطر	الخطـــأ	الصـــواب
٨٣٨	الأخير	والد سليمان الراشد	والد سليمان وراشد
٨٤٠	٤	سليمان بن حمد الزهير	سليمان بن محمد الزهير
٨٤٢	٢٢	آل نصـر	آل ناصـر

الفوائد النفيسة ، وفيه غنية عن كتاب الأزرقي ، وكتاب الأزرقي لايغني عنه . وقد تحدثتُ عن هذا الكتاب مفصلاً ــ «العرب» س ٨ ص ٨٠١ إلى ٨٥٣ ــ وفكرت في القيام بتحقيقه ، ولكنني علمت بأنَّ أحد طلاب جامعة أم القرى يُعْنَى بدراسته لنيل إجازة (الدكتوراه) . وأنه انتهى من إعداد رسالته عنه ، وأعدَّهُ للنشر .

ثم في هذه الأيام وصل إليَّ جزءٌ منه بتحقيق صاحب الفضيلة الشيخ عبد الملك بن عبدالله بن دهيش ، فسررت من البدءِ بنشر هذا الكتاب الذي لم يُعْثَر منه ــ على ما أعلم ــ إلا القسم الثاني في مخطوطة وحيدة أصلها في مكتبة جامعة ليدن (هولندا) قد وصفتها في مجلة «العرب» ، وهذا الجزء المطبوع منه هو يحوي ترجمة للفاكهي وحديثاً مفصلاً عن كتابه ، ثم الجزء المبدوء بـ (فضل الركن الأسود وماجاء فيه) والمحقق الفاضل ذو عناية بتخريج الأحاديث ، وذكر منزلة الرواة من حيث الجرح والتعديل مع الإشارة إلى المصادر التي يوجد فيها الخبر .

وطباعة الكتاب جيدة ، والكلمات التي تحتاج إلى ضبط مضبوطةٌ بالحركات وقد جاء هذا الجزء في ٤٩٢ صفحة تقع المقدمة في ٨٠ صفحة مطبوعاً بمطبعة النهضة الحديثة في مكة المكرمة وقد صدر هذا العام ١٤٠٧هـ (١٩٨٦ م) .

■ منقولات الجاحظ عن أرسطو في كتاب الحيوان :

ونشر (معهد المخطوطات العربية) كتاب «منقولات الجاحظ عن أرسطو في كتاب الحيوان» للدكتورة وديعة طه النجم من جامعة الكويت ، وهي نصوص ودراسة ترتكز على الجمع مع التعمق في البحث تعمقاً يدل على طول أناة وصبر ، وجلد على المواصلة وطلب الاستيعاب .

ويقع هذا الكتاب في ٢٨٠ صفحة من القطع الكبير بطباعة حسنة ، وقد صدر عام ١٤٠٥هـ (١٩٨٥م) ولم يذكر فيه اسم المطبعة ، وقد تكون من مطابع الكويت .